اقرأ

حسين قدري

عدد ممتاز

الطبعة الثانية

مذكرات شاب مصري

يغسل الأطباق في لندن

إقرأ

تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: السيد أبو النجا سنة ١٩٧٦

دار المعارف بمصر

اهداءات ٢٠٠١

الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

حسين فتحي

مذكرات شاب مصري

يغسل الأطباق في لندن

الطبعة الثانية

إقرأ ٣٨٣
دار المعارف بمصر

(اقرأ ٣٨٣)

الناشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. م. ع.

□ الإهداء . . □

إليها . .

هذه الرحلة كلها . . بذكرياتها ومتاعبها وسهر الليالى فيها . . بمطر لندن الذى شربناه فوق رؤوسنا ونحن تائهان فى شوارع لا نعرفها . . بوقفاتنا على محطة أوتوبيس رقم 81 . . وأروقة وممرات الفندق الذى كنا نعمل فيه معا ، وطالما شهدتنا معاً ، وشهدت علينا معاً . .

إليها . . وهى عارفة نفسها ! !

« حسين قدرى »

مقدمة

إسمى

حسين

قدرى . . عمرى ٣٩ سنة وشوية . . أعمل صحفياً فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » . . طول عمرى أبحث عن المغامرة . . عن الجديد . . ووراء الجديد ووراء المغامرة مستعد أن ألقى بنفسى إلى التهلكة . . ولعل هذا هو السبب الأساسى وراء اشتغالى بالصحافة ، مع أنها أبعد ما تكون تماماً عن دراستى الأصلية . . أحب أن أغوص فى أعماق الناس . . أحب أن أنكش فى الموضوعات الغريبة التى لم يطرقها أحد قبلى . . الرحلات هوايتى . . زرت أغلب دول العالم . . التصوير . . . . . .

هذا ما قد يعرفه عنى القراء الذين يتابعون رحلاتى التى أنشرها ، لكننى أريد منهم الآن أن ينسوا ذلك كله وهم يقرأون هذه الرحلة . . ولنبدأ « نتعارف » من أول وجديد ، بالصورة التى سيرونى عليها طوال فصول هذه الرحلة . . .

إسمى « حسين قدرى » . . سنفترض أن عمرى ٢٢ سنة : . وأننى طالب فى أى سنة فى أى كلية فى أى جامعة مصرية تعجبكم . . سمعت فى الأعوام الأخيرة الماضية عن ومن « زملائى الطلبة » المصريين فى الجامعات ، الذين سافروا ليعملوا فى أوروبا خلال عطلة الصيف . . كلامهم فتح أمام عينىّ عالماً غريباً مهولاً رائعاً وردياً . . عالماً جميلا مفروشاً بالزهور والفلوس والشقاوة والسياحة والهدوم الشيك والپولوڤرات الـ « سان مايكل » والبنطلونات الآخر موضة والعملة الصعبة الإسترلينية التى عادوا بها معهم من أوروبا . : عالم منطلق متحرر ملىء بصور البنات الأوروبيات الشقراوات ذوات العيون الزرق والشعر الذهبى السايح والإبتسامة

الدائمة ، اللاتى لا يخفن من ماما ولا يعملن أى حساب لبابا ،ويستطعن أن يسهرن خارج البيت حتى الفجر ،وأحيانا لا يعدن إلى البيت على الإطلاق..

باختصار : قررت أن أسافر إلى أوروبا لأعمل هناك هذا الصيف .. واخترت لندن بالذات لأن أغلب أصدقائى وزملائى كانوا فى لندن فى الأعوام السابقة وحكوا لى عنها الكثير ، حتى إننى أتصور من الآن أننى أعرف شوارعها وحواريها والأماكن « الإستراتيجية » فيها ، بالرغم من أننى لم أسافر من قبل إلى أبعد من الإسكندرية شمالا وبنى سويف جنوبا .. وتوكلت على الله وقررت أن أذهب مع زملائى لأعمل معهم فى لندن هذا الصيف ، وأعود لأحكى مثلهم عما حدث لى فى لندن . . سوف أحيا حياتهم وأقابل نفس ظروفهم ونفس مشاكلهم ، ونفس معاناتهم إذا لزم الأمر . .

اتفقنا ؟!

إذن

ستنسى تماما طوال فصول هذه الرحلة أننى « حسين قدرى الصحفى » ، وسأكون مجرد « حسين قدرى طالب الجامعة المصرى » الذاهب ليبحث عن حظه ويعمل فى لندن فى إجازة الصيف . .

شىء واحد أحب أن أوضحه قبل أن نبدأ معا هذه الرحلة : بعض الأسماء التى سوف يأتى ذكرها فى هذه الرحلة أسماء مستعارة ، أسماء غير حقيقية لأشخاص حقيقيين . . لكن لظروف خاصة أو لحساسيات خاصة أو « لأن ربنا أمر بالستر » ، فليس مهماً أن يعرف القارئ من هم أصحاب هذه الأسماء المستعارة . . ويكفى أن كل واحد منهم سوف يجد نفسه قطعا فى هذه الرحلة ، وسوف يتعرف عليه الذين كانوا حوله أو إلى جانبه . .

« حسين قدرى »

(١)

□ القاهرة – لندن . .

سيراً على الأقدام ! ! □

لم
أصدق

أننى فى طريقى إلى تحقيق حلمى فعلا إلا وأنا أضع شنطتى ال « هاند باج » تحت مقعدى فى الطائرة ، ثم أربط الحزام حول وسطى ، وأقرأ الفاتحة ، والطائرة تدرج على ممر المطار بسرعة شديدة ، ثم ترفع مقدمتها لتترك عجلاتها أرض مطار القاهرة وتبدأ تشق « أجواز الفضاء » فى طريقها إلى : لندن . .

الرحلة سوف تستغرق ٥ ساعات فى الجو و ٤ ساعات فى مطارى أثينا وجنيف . . عندى وقت طويل لأستعرض – ولأستريح من – المعاناة التى لقيتها خلال الأسابيع الأخيرة . . من الجرى بين مكتب الجوازات فى الجامعة وإدارة الجوازات فى مجمع التحرير لاستخراج جواز سفر الطلبة المحدد بأربعة شهور الصيف فقط ، ثم ينتهى بعد ذلك تماما ولا يعود صالحا للإستعمال مرة أخرى . . وحضور محاضرة التوعية القومية اليتيمة التى تسبق الحصول على الباسبور وتأشيرة الخروج . . ثم الذهاب للبنك لاستبدال ال ٣٠ جنيها العملة الصعبة المسموح بها لك ، والوقوف فى طابور – أقصد طوابير – الحجز فى شركة الطيران . . ثم النوم على رصيف سفارة

إنجلترا ليلة بطولها حتى أستطيع أن أحجز دوري في الصباح في الطابور للهول للطلبة الراغبين جميعاً في السفر إلى لندن للعمل في الصيف . . والكذب وادعاء البراءة والكبرياء المفتعلين أمام موظف السفارة الإنجليزي حتى أستطيع أن أقنعه بأنني ذاهب إلى لندن للسياحة والمشاهدة والفرجة فقط لاغير، وأنني — والله العظيم ثلاثة — لن أعمل هناك حتى لو تحايلوا علي . . لأفوز في النهاية بتأشيرة الدخول إلى الجنة التي إسمها لندن ، في ختم صغير يقول في كلمات إنجليزية صريحة وواضحة إنه : « غير مسموح لي بالعمل في إنجلترا بأجر أو بدون أجر » ، وأن المدة التي سأقضيها في لندن غايته أسبوعين ثلاثة وبالكثير شهر . . وحتى بعد هذا الختم وهذه التأشيرة لن أستطيع أن أعتبر نفسي في لندن فعلا إلا بعد أن أدوس شوارعها بقدمي حقيقة ، فإن أمامي أن أمر بنفس الامتحان العسير مرة أخرى أمام موظف مكتب الهجرة في مطار لندن ، فإما أن يقتنع بكلامي هو الآخر فيفتح لي الباب لأدخل لندن، أو لسبب أو لآخر لا يجد كلامي مقنعا فمن حقه وسلطاته في هذه الحالة أن يعيدني إلى مصر على نفس الطائرة التي جئت عليها — كما حدث مع كثيرين آخرين قبلي — دون أن أرى من لندن إلا مطارها فقط ! !

على أي حال ، وبنا يستر . .

كنا

مجموعة

واحدة مكونة من ١١ شابا وفتاة مصريين : ٨ طلبة ، وطالبتين ، وأنا . . المفروض أنني أستاذ ، مدرس ، على رأس هؤلاء الطلبة العشرة المسافرين إلى لندن في رحلة سياحية . . ده المفروض ، لكن الحقيقة أنني لم أتشرف بمعرفة أي واحد منهم من قبل ، إنما كان ذلك هو الترتيب المعمول حتى أستطيع أن أسافر على الطائرة بالتخفيض المسموح به للطلبة

والشباب تحت سن ٢٦ سنة . وللأساتذة والمدرسين فى أى سن على شرط أن يكونوا على رأس مجموعة لا تقل عن ١٠ من الطلبة . وهكذا حدث . .

عندى الوقت والفرصة الآن لكى أتأمل « تلامذتى » على المقعدين المحاورين لى الفتاتان الوحيدتان فى المجموعة . « إسراء » و « سامية » .

« إسراء » تلميذة فى الثانوية العامة تنتظر النتيجة ، ولا تعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية وهى رايحة لندن . وعلشان تشتغل هناك !! لدرجة أنها حين احتاجت أن تشرب سألتنى أن أطلب من المضيفة أن تحضر لها كوب ماء ! ! . و « سامية » طالبة فى سنة أولى فى كلية الآداب ، وحالها لا يزيد كثيراً عن حال زميلتها . .

الـ ٨ شبان ينقسمون إلى « شلتين » : أربعة وأربعة ، أربعة منهم أصدقاء أو زملاء فى كلية واحدة : تجارة أسيوط : « علاء » و « ممدوح » و « على » ورابعهم « محيى » شقيق « علاء » الأصغر . تلميذ فى ثانوى . . والأربعة الآخرون : « عماد » طالب فى كلية صب عين شمس ، و « فهمى » و « محمود » و « أبو زيد » طلبة فى كليات مختلفة . .

كان هؤلاء الطلبة العشرة هم « العينة » المفروض أن أسافر فى وسطهم لكى أمر بنفس ظروفهم وأعيش تجربتهم كاملة ، حتى أكتبها بصدق وبواقعية وبانفعال حقيقى . . وكانوا كأنهم قد اختارتهم على مزاجى فعلا . . فيهم ابن الذوات وابن الـ . . . مش ذوات . . فيهم المصقول اللميع المتوضب إلى حد كبير ، وفيهم اللى لسه جاى من أعماق الصعيد فى « قفة » مغلقة سوف تفتح لأول مرة فى لندن . . فيهم الثقيل الراسى الملىء بالذكاء والخبث والدهاء . . وفيهم الذى تدلى فكه هلعا وانبهاراً بمجرد أن رأى شكل الطائرة من بعيد وهى لسه على أرض مطار القاهرة قبل أن نركبها ، وكان فكه لا يزال مدلى وفمه مفتوحا فاغراً حين تركته فى شوارع لندن بعد ١٢ يوماً من وصولنا . . وأتصور أنه لن يستطيع أن يعدل فكه بعد ذلك أبداً . . تمثال حى للبلاهة والعبط . . قروى ساذج جاء إلى القاهرة

فشاهد تمثال رمسيس فانحرف ! ! . . وكما يقال « الكتاب يبان من عنوانه » . فإنه كان الوحيد فى المجموعة الذى أشرت سفارة لندن فى القاهرة على جواز سفره بعبارة « زيارة قصيرة » . وفهم موظف مكتب الهجرة فى مصر لندن الرسالة ، فكاد أن يعيده من المطار ، لولا أنه — لأسباب سياحية قطعا أراد ألا يحرم السائحين فى لندن من متعة مشاهدته . فسمح له بدخول لندن لمدة أسبوع واحد ، فقط لاغير ! !

أخيراً . .

أستطيع

أن أطمئن الآن ، فأنا فى هذه اللحظة أضع قدمى على أرض لندن نفسها . . مررنا جميعا من موظف مكتب الهجرة المتجهم الوجه . . كل من خرج بتأشيرة على جواز سفره تسمح له بالبقاء مدة معينة فى لندن . . « ممدوح » حصل على أسبوع واحد . باقى الشبان وأنا أخذنا شهراً واحداً . . « إسراء » و « سامية » حصلت كل منهما على تأشيرة لمدة سنة كاملة « إسراء » و « سامية » أحسن حالا منا جميعا ، فإنهما قادمتان وفى جيب كل منهما تصريح عمل من وزارة العمل البريطانية يسمح لها بالعمل فى إنجلترا . . استطاعتا الحصول على هذه التصاريح بواسطة أحد المكاتب الأهلية فى القاهرة التى تقوم بتشغيل المصريين فى لندن ، وتسلمتا عملهما فعلا فى نفس الليلة . . أما نحن فيا عالم ، ماذا سوف تفعل لندن بنا وماذا سوف نفعل نحن مع لندن . . صحيح معنا — فى مقابل ٥٠ جنيها دفعها كل واحد منا — تحطانات من نفس هذا المكتب إلى مكتب آخر فى لندن قيل إنه سوف يقوم بتشغيلنا فوراً ، لكنه سوف يفعل ذلك « دكاكينى » وسراً وبدون تصاريح عمل ، ولو تفشنا البوليس الإنجليزى فى أى لحظة ونحن نعمل بدون تصاريح فسيقوم بترحيلنا إلى مصر على الفور ، بعد توقيع العقوبات والغرامات التى ينص عليها القانون

الإنجليزى . لكن أملنا كبير فى أن الله لن يضع البوليس الإنجليزى فى طريقنا ولا يضعنا فى طريق البوليس الإنجليزى فى مدة شهور الصيف الأربعة التى سوف نقضيها هنا . . وياما عبر آلاف جاءوا إلى لندن واشتغلوا طول الصيف ورجعوا دون أن يكتشف البوليس الإنجليزى أمرهم .

على أى حال . هذه هى لذة المغامرة

وقادتنا

التعليمات

المطبوعة المعلقة لنا من هذا المكتب فى القاهرة إلى فندق من فنادق الدرجة العاشرة فى لندن يملكه باكستانى اسمه « محمد أكبر » . لنبيت ليلتنا الأولى فى لندن فى غرفة فى بدروم تحت الأرض ، نمنا فيها ثلاثة أشخاص . ودفع كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترلينى . يعنى أكثر من أربعة جنيهات مصرية . منه لله !

وفى الصباح لبسنا أشيك ما عندنا وذهبنا لنقابل الرجل الإنجليزى الذى تحمل خطابات إليه من المكتب الذى فى القاهرة ليقوم بتشغيلنا . مستر « برايان وورثنجتون » الرجل الذى سوف يفتح لنا أبواب الجنة التى إسمها لندن . . لكن يبدو أن « مش وش جنة » ، فإن مستر « وورثنجتون » بعد أن لطعنا فى انتظاره فى مكتب الإستعلامات ساعة ونصف لم يسمح لنا بعدها حتى بأن نصعد إليه لنقابله فى مكتبه ، إنما نزل هو ليقابلنا تحت فى الإستعلامات ، وهو مندهش ومستغرب جداً أننا نطلب مقابلته : ليس لديه أى فكرة عما على الإطلاق ، وليست له أى صلة بنا — ده كلامه . بذلك المكتب فى القاهرة الذى بعث بنا إليه ، وأنه متأسف جداً لأنه لن يستطيع — بناء على ذلك — أن يفعل لنا شيئاً ! ! ، وقال أيضاً إنه أرسل أكثر من مرة إلى ذلك المكتب الذى فى القاهرة يطلب منه ألا يرسل إليه أحداً لأنه ليس مسئولا عن تشغيل

هؤلاء الذين يرسلهم ! ! . . فلما احتج « علاء » بأن كل واحد من دفع لذلك المكتب الذى فى القاهرة حسبن جنيها كاملة مقابل تشعيله فى لندن بواسطة مستر « وورثنجتون » . أبلغ مستر « وورثنجتون » دهشته لبلاغة وقال إن هذا الكلام خطير ومخالف للقانون الإنجليزى ، لأن تصريح العمل فى إنجلترا تستخرج مجانا ولا يدفع طالبه مليما واحداً ، ولا تتقاضى الشركة التى يمثلها مستر « وورثنجتون » عنها ولا مليم . « واللى أخد منكم الخمسين جنيه فى مصر ضحك عليكم . وروحوا له مصر طالبوه بيهم . . وعن إذنكم وباى باى » !! . . وتركنا مستر « وورثنجتون » وعاد إلى مكتبه وعدنا نحن إلى الشارع بخفى وورثنجتون ! !

يانهار

إسود . .

وبعدين ؟ ! هو احنا فى اسكندرية علشان ناخد الديرل المجرى ونرجع القاهرة نطبق فى زمارة رقبة ذلك الدكتور بتاع مدير المكتب الذى فى القاهرة ، الذى خدعنا وضحك علينا وأخد فلوسنا ورمانا الرمية دى وما شغلناش ؟ ! . . ده احنا فى لندن ، فى انجلترا ، على بعد كذا ألف ميل من مصر . . ماذا سوف نفعل الآن ؟ ! .

وتذكرت أن فى جيبى حصبين آخرين من ذلك « المكتب الذى فى القاهرة » إلى اثنين من مساعديه (!!) الموجودين فى لندن . . كان قد أعطاهما لى فى آخر لحظة قبل السفر ، على أساس أن نلجأ إليهما إذا واجهتنا أية عقبات . . فلما استفسرته — قلقا — عن شكل « العقبات » التى يتوقعها ، قال إن مستر « وورثنجتون » ممثله فى لندن ، رجل يسافر كثيراً إلى خارج إنجلترا بحكم عمله ، وإنه « يوم فى أسبانيا ، ويوم فى سويسرا ، ويوم فى الفلبين ، بحثا وراء المزيد من الأيدى العاملة ، ويحتمل يوم ما توصلوا لندن يكون هو مسافر هنا وإلا هنا . . فعلى ما يرجع

تقدروا تتصلوا بفلان أو فلان دول . وهما يتصرفوا ويشغلوكم » ! ! :

لكن مستر « وورثنجتون » لا هو مسافر هنا ولا هنا . . آهو هنا . : بقابلنا هنا ، وطردنا من هنا ، وقال لنا ماتجوش تانى هنا . . ومع ذلك ، خلينا وراء « الدكتور » لغاية باب الدار . . حانخسر إيه أكثر مما خسرناه فعلا ، و « آهو يا طابت يا اتنين عور » ! ! .

ومن كشك التليفون فى الشارع رفعنا سماعة التليفون واتصلنا بمساعده الأول « مستر » كامل دسوقى » . . وآهو مصرى زينا ، وعلى الأقل حانعرف نلحد وندى معاه ، وحايشوف لنا حل . . لكن الرد الذى جاء من مستر « كامل دسوقى » لم يختلف كثيراً عن رد مستر « وورثنجتون » : « وأنا مالى ومال الشغلانة دى ؟ . . هو أنا فاضى والا عندى وقت للحاجات دى ؟ . . هو أنا قادر أشغل نفسى لما حاشغلكم إنتم ؟ » . . « طيب يا سيدى كتر خيرك ، متأسفين لإزعاجك » ! ! . . أما « المساعد الثانى » مستر « محمد أحمد إبراهيم » فقد ريح نفسه وأخدها من قصيرها ورد علينا فى التليفون ليقول إنه : « مش موجود . . دخل المستشفى يعمل عملية وما نعرفش حايخرج إمتى » ! ! . .

صعنا

— من

الصياعة - والحمد لله : . ماذا سوف نفعل الآن وقد سدت فى وجوهنا كل السبل ؟ ! .

ونجلس جميعا على الرصيف فى ميدان « راسل اسكوير » نحاول أن نبحث عن حل . . وبالرغم من أننى أنا شخصيا فى داخلى كنت مبعثراً تماما وأعانى — بصدق — هلعا مما ينتظرنا الآن بعد أن فقدنا الأرض التى كنا نتصور أننا واقفين عليها . أشعر تماما بمشاعر « الطالب » المصرى الذى وجد نفسه فجأة « صايعا » فى بلد غريبة فى أوروبا ، ونسيت تماما

أنني صحفي ولست طالبا . إلا أن المجموعة التي معي اتجهت أنظارهم جميعا إلي ، على اعتبار أني الكبير فيهم . وصحفي ، ولندن ليست جديدة علي ، وعلى ذلك فيجب أن أتصرف أنا ! ! :

أنا ؟ ! أنا اللي أتصرف ؟ ! أتصرف إزاي ؟ ! أنا لاعمري كنت « مخدم » ولا باعرف أشغل حد . ثم ده احنا في لندن . . يعني لو في مصر كان ممكن أعطيك كارت توصية تروح بيه لأي حد وانت وحظك . . لكن في لندن ممكن أعمل ايه ؟ ! ، أشغلكم إزاي إذا كنت أنا نفسي جاي عشان أشتغل وأديني زيي زيكم آهه مش لاقي شغل ! ! .

ومع ذلك ، فلنبذل محاولة ، مش حاتخسر حاجة . . رفعت سماعة التليفون مرة أخرى وطلبت « ليلى سليمان » : صديقة مصرية مقدمة برامج في إذاعة القاهرة تعيش وتعمل في لندن منذ سنتين . . وقطعاً أصبحت عندها خبرة الآن بهذه الأشياء . . وجاءت « ليلى » وأخذتنا جميعا إلى مكتب « ماسكوت » : مكتب من مكاتب التشغيل أو التوظيف العديدة المنتشرة جداً في لندن . . لكن مستر « ماسكوت » يعتذر لنا بأن لديه في الوقت الحالي أسماء ٦٥ طالبا مصريا يريد أن يعثر لهم على وظائف ومش عارف ، لأنهم جميعا جاءوا متأخرين جداً عن بداية موسم الشغل . . فنحن الآن في منتصف يوليو ، وبالفروض أنه كلما وصل الطالب إلى لندن بدري كانت فرصته في العمل أكبر وأحسن . . ولكن أن تمتلىء لندن فجأة بعدة آلاف من الطلبة المصريين في وقت واحد ، أغلبهم لا يتكلم ليس فقط لا يجيد ، لكنه حتى لا ينطق — اللغة الإنجليزية . إلى جانب عدة آلاف آخرين من الطلبة الأجانب من مختلف الجنسيات ومختلف الدول ، فيزيد العرض ويقل الطلب . . الطلبة كثيرون والأعمال والوظائف محدودة ، فيضيع الأولاد في الشوارع . . وهنا لا تنفع الفهلوة ولا الفتاكة المصرية . . عشان تلاقي فرصة عمل وتشتغل في وسط هؤلاء الآلاف الموجودين في لندن لابد وأن تكون أحسن من غيرك : : أحسن من غيرك

إزاى إذا كنت لا تعرف اللغة الإنجليزية ؟ وصاحب العمل يشغلك ليه إذا كنت إنت مش عارف تتكلم وياه هو شخصياً ، وفى الوقت نفسه بيجد أمامه عشرات من الشبان من مختلف الجنسيات يتكلمون إلى جانب الإنجليزية عدة لغات أخرى ؟ ! .

ويعتذر

مستر

« ما سكوت » بأنه لن يستطيع أن يفعل شيئاً من أجلنا . . وتصرف « ليلى » هى الأخرى لكى تلحق ميعاد شغلها ، لكن بعد أن نضع أيدينا على طرف الخيط : « مكاتب التشغيل » أو « وكالات التوظيف » : فى كل شارع من شوارع لندن تجد العديد من هذه المكاتب أو « الوكالات » : محل عادى فى مستوى الشارع له « فاترينة » زجاجية كل ما هو معروض فيها بطاقات وكشوف بالوظائف المعروضة ، والمفروض أن يستعرض طالب العمل هذه الوظائف المعروضة من خلال زجاج الفاترينة ، فإذا وجد فيها شيئاً يناسبه دخل المكتب أو الوكالة ليعرض خدماته . .

ودخلنا دخلة الإبل فى صحراء « كالاهارى » ونحن نلف شوارع لندن كلها على كعوب رجلينا نبحث عن عمل فى هذه المكاتب أو الوكالات ، حتى تصورت أننا لو حسبنا المسافات التى مشيناها على أقدامنا لكانت قدر المسافة بين القاهرة ولندن ، سيراً على الأقدام ! ! . . وامتلأت جيوبنا بعشرات من الكروت والبطاقات فيها عناوين مكاتب أخرى من هذا النوع . : وتدخل المكتب فتقابلك البنات الموظفات بابتسامة عريضة واسعة رائعة ، فتظن أن البنت قد طبت فى غرامك وأصبحت صريعة هواك ، لكنها تعتذر لك بأنهم فى الوقت الحالى ليس لديهم الوظيفة التى تناسب « إمكانياتك » ، وإلى فوت علينا وقت تافى و : « باى باى » ظريفة رقيقة ناعمة وتلاقى نفسك فى الشارع مرة أخرى ! .

إذ كنت « فتاة » فسوف تجد عملا فى لندن بعد نصف دقيقة من وصولك . فالبنت فى لندن — أى بنت . من أى جنس وصنف ولون — عملة صعبة يتخاطفها الجميع ، لوجه العمل فقط فعلا . . أما إذا كنت « ولداً » فينبغى أن يتوافر فيك شرط واحد على الأقل من هذه الشروط الثلاثة : إما أن يكون معك تصريح بالعمل فى إنجلترا . . أو تكون من إحدى دول السوق الأوروبية المشتركة : فرنسا . هولندا — بلجيكا — لوكسمبورج — ألمانيا الغربية — إيطاليا — إيرلندا الجنوبية . . أو من إحدى دول الكومنولث : الهند — بنجلاديش — سيلان — استراليا — نيوزيلاندا كندا قبرص — جامايكا — مالطة سنغافورة . . إلخ : : أما غير ذلك فمجرد وجودك فى لندن للبحث عن عمل مخاطرة كبرى . . وكل وكالة من وكالات التوظيف دخلتها قيل لنا فيها إن لديهم ٣٠٠٠ طالب على الأقل يبحثون لهم عن وظائف ، ويطلبون منا أن نمر عليهم بعد ٣ أسابيع ! ! . .

بعد ٣ أسابيع حاتكون فلوسنا خلصت ، وحانقف فى « أوكسفورد ستريت » نشحت باللغة العربية بإذن الله ! ! .

(٢)

□ عليوة . . يفرض شروطه على لندن ! □

ونحن

جالسون

على رصيف ميدان « راسل اسكوير » نتدبر أمورنا . انضم إلينا شاب مصرى آخر جاء وحده بخطاب — أيضا — من ذلك « المكتب الذى فى القاهرة » (! !) . ولم يكن حظه أسعد كثيراً من حظنا ، فقد طرده الخواجة « برايان وورثنجتون » شر طردة هو الآخر حتى دون أن يكلف نفسه عناء مقابلته . . . فجاء لينضم إلينا ويتم المتعوس على خايب الرجا ، وعيشة على أم الخير ! : . « سيد » : موظف شاب مرموق فى هيئة التليفونات فى القاهرة ، سمع « الحواديت » التى يحكيها الطلبة المصريون الذين سافروا إلى أوروبا فى الأعوام الماضية ، ولأنه طموح وابن بلد و « فهلوى » فقد حصل على أجازته السنوية وجاء يغزو لندن هو الآخر . . وها نحن جميعا الآن نبدأ « غزو » لندن من على رصيف « راسل اسكوير » ! ! .

وأكتشف مع نهاية اليوم الأول لنا فى لندن أنى قد أنفقت عشرة جنيهات إسترلينية فى يوم واحد . . بين إقامة ومواصلات و «شبرقة».. الفلوس الإنجليزى تتبخر من بين أصابعنا بسرعة البرق . . ولم يكن ممكناً وقد ضاعت آمالنا فى العمل السريع الفورى الذى سنتسلمه « فى نفس يوم وصولنا » كما قيل لنا فى ذلك المكتب الذى فى القاهرة ! . لم يكن ممكناً

أن نستمر فى الإقامة فى ذلك الفندق الباكستانى الذى يتقاضى من كل منا جنيهين ونصف جنيه إسترلينى فى الليلة الواحدة . . وبدأنا جميعاً نشعر بخيبة الأمل والرعب الشديد من « الفلس » وما يمكن أن يحدث لنا بعد أن ينتهى المبلغ الإسترلينى المتواضع جداً الذى خرج به كل منا من القاهرة : ٣٠ جنيهاً : ضاع منها ١٠ جنيهات فى ليلة واحدة ! . يعنى علينا بعد ٣ أيام فقط . أو يومين آخرين من الآن، أن نحمل حقائبنا ونتجه بأسرع وسيلة مواصلات ممكنة إلى مطار « هيثرو » لنعود إلى القاهرة فى أول طائرة ، ونقابل شماتة الأهل وسخرية الأصدقاء أفضل وأكرم لنا ألف مرة من أن نقابل البهدلة والمرمطة والمبيت على دكك الـ « هايد بارك » والتعرض لظرف وأدب وحسن رعاية أمناء الشرطة الإنجليز ! ! . . الشىء الوحيد الذى شعرت بالامتنان من أجله هو أن السفارة الإنجليزية بالقاهرة لم تكن تعطى تأشيرتها لأى طالب مصرى إلا بعد أن تطمئن إلى أن معه تذكرة الطائرة إلى لندن ذهاباً وإياباً . . أهم حاجة فى الدنيا الآن هى حكاية « إياباً » هذه . تذكرة « الإياب » على الطائرة فى جيبى ، وحينما أضع يدى فى جيبى فلا أجد فيه غير ٥٠ بنساً فقط ، فسأركب أول أوتوبيس إنجليزى إلى المطار ، فإلى القاهرة فوراً ، وأفوز من الغنيمة بالإياب !

لكن

على

أى حال لا داعى لليأس والإستسلام من الآن ، فما زال فى جيب كل منا عشرون جنيهاً كاملة ، يعنى ما زال أمامنا بعض الفرصة وبعض الوقت ، على شرط أن نربط الأحزمة من الآن ونتعامل مع أنفسنا بحزم وصرامة : لا إنفاق على الإطلاق إلا للضرورى والشديد القوى ! . . وأول بند فى الشديد القوى هو أن نرحل فوراً وبأقصى سرعة ممكنة عن ذلك الفندق الباكستانى قبل أن يحسب علينا ليلة أخرى بجنيهين ونصف آخرين . .

« طيب ونروح فين ؟!» .. لنبحث إذن عن بيوت الشباب التي سمعنا أنها رخيصة جداً في أي مكان في العالم . . لكنني لست عضواً في جمعية بيوت الشباب المصرية . ونصح أن أعب الأولاد أذكياء ولم تفهم هذه النقطة . فقد اشتركوا في جمعية بيوت الشباب في القاهرة وحصلوا على بطاقة عضويته لكي يستعملوها هنا وقت اللزوم . . لكننا لا نعرف مكان بيوت الشباب في لندن . إذن نضع حقائبنا في الأمانات في المحطة النهائية لأوتوبيس شركة « B.E.A » قبل أن نذهب للبحث عن بيوت الشباب . .

وأتذكر

أن في

جيبي عدة أرقام تليفونات لعدد من الأصدقاء المصريين الذين يقيمون في لندن في الوقت الحالي . . أرفع سماعة التليفون من الشارع وأطلب « هدى » : صديقة مصرية قديمة تزوجت وعمرها ١٥ سنة من شاب يقيم ويعمل في لندن ، ومنذ ذلك الحين وهدى تعيش متنقلة بين بيتين لها : واحد في القاهرة والآخر في لندن . . « هدى » مشهورة بين أصدقائها بأنها « عملة لندن » التي تعرف حواريها وأزقتها وكل شبر فيها . وتعرف إلى جانب الإنجليزية ١٥ لغة أخرى من اللغات الحية والميتة ، وفيها شهامة وجدعنة تكفي لعشرة رجال ! .

وكأن « هدى » كانت لابسة وجاهزة وتنتظر تليفوني — بالرغم من أنها لم تسمع صوتي منذ ١٠ شهور — فبعد دقائق كانت بيننا معرفة في الضحك على شكلنا البائس بعد لف ودوران طول النهار في البحث عن عمل ، وحقائبنا مرصوصة أمامنا على الرصيف تنتظر الفرج ، بعد أن اكتشفنا — أيضاً — أن مخزن الأمانات يغلق أبوابه في الخامسة مساء ، وبيوت الشباب لا تقبل نزلاء جدداً بعد الثامنة مساء ، ونحن الآن في العاشرة . . يعني

مقفلة من كل ناحية . . و « تفتكرى نعمل إيه دلوقتى يا هدى ؟ ! » : ويبدو أن حالتنا صعب علينا . فكان الحل هو آخر شىء يمكن أن نوقعه أو حتى نفكر فيه . بعد الليلة ننام على الأرض فى غرفة الصالون فى بيت « هدى » ! ! .

وأسلمنا

قيادتنا

تماما إلى « هدى » ، التى راحت توجهنا وترشدنا إلى السبيل الصحيح للحصول على عمل فى لندن . لا تدعوا جماعة للبحث عن عمل . فالإنجليز لا يحبون أن يسلموا العمل لشلة تعرف بعضها . حتى لا يضيع وقت العمل فى الدردشة والرغى . قسموا أنفسكم اثنين اثنين . وكل اثنين يذهبان للبحث عن عمل فى شارع مختلف . ابعدوا عن منطقة وسط لندن فهى مزدحمة بطالبى العمل إلى حد التكدس . وفى الوقت نفسه ليس فيها أى حرم إدارة ممكن أن تنفذ منه إلى عمل . . لا تتركوا أنفسكم مدلين أو منكوشين أو ذقونكم غير محلوقة . لا تسألوا عن العمل بذلة ومسكنة واستجداء ، لكن ببساطة وأدب وكبرياء . .

وبالرغم من أننا نفذنا نصائح « هدى » بحذافيرها ، إلا أن الأيام ظلت تجرى يوماً بعد يوم دون أن يجد واحد منا أى عمل . لأسباب عديدة ، أهمها أننا ليس معنا تصاريح عمل ، وثانيها أن أغلب الأولاد لا يعرفون مجرد مبادئ اللغة الإنجليزية ويتكلمونها كما لو أنها اللغة الصينية . حتى مجرد الجمل البسيطة التى يسألون بها أصحاب الأعمال عن عمل كنت أنا و « هدى » نقوم بتحفيظها لهم كما هى ، وأحياناً كتبتها لهم فى ورقة فى يدهم . وبعد منهم كتبها على كفه ! ! — وبرضه مكانوش بيعرفوا يقولوها . وكنا نخرج من بيت « هدى » فى الثامنة صباحاً فنظل نلف على كعوب رجلينا حتى قرب منتصف الليل ، فنعود إلى البيت ونحن نجرجر أقدامنا

المهالكة من التعب والإرهاق . . ولأنه لم يكن لديه الوقت ليبحث عن عمل ويبحث في الوقت نفسه عن مسكن . فقد احتملنا سخافة غرفة الصالون في بيت « هدى » أسبوعاً كاملاً ! !

وبالرغم

من

أنني أعتبر نفسي من أبطال « المشي » في مصر . لأنني أحب المشي جداً ، إلا أنني كرهت المشي الاضطراري هذا ، الذي يجعلني أمشي ١٨ ساعة في اليوم ولا أكاد أستريح أو أهدأ لحظة واحدة طول اليوم . فقد كنت - وكنا جميعاً - في سباق ليس مع الزمن وحده هذه المرة ، وإنما أيضاً في سباق مع العشرين جنيهاً المتبقية مع كل منا . . فلو انتهت هذه الجنيهات العشرون قبل أن نجد عملاً لكان علينا أن نرفع راية التسليم ونعود إلى مصر نجرجر أذيال الخيبة والفشل . .

وبينما الأمر كما لو أن الإنجليز يتسلون علينا : نمضغ مطعماً من سلسلة مطاعم الـ « A.B.C. » في « أوكسفورد ستريت » مثلاً في وسط لندن ، فيقابلنا مديره بابتسامة طيبة وباعتذار رقيق ويقول لك : « متأسفين . الفرع بتاعنا ده مش عندناش فيه أعمال خالية في الوقت الحالي . . لكن لو ذهبت لفرعنا في (إيلينج برودواي) حاتلاقي عندهم شغل عشانك » . وتركب الـ (أندرجراوند) أو المترو تحت الأرض لمدة ساعة كاملة ذهاباً ومثلها إياباً ، وتدفع جنيهاً إنجليزياً في المواصلات رايح جاي ، ويقابلوك في الـ « A.B.C. » في (إيلينج برودواي) بابتسامة أطيب وباعتذار أرق : « متأسفين جداً . . لو كنت جيت إمبارح كنت لقيت شغل ، لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللي في (بريكستون) أكيد حاتلاقي هناك شغل » . . وزيادة في التأكيد يرفع سماعة التليفون ويتصل بـ (بريكستون) ويوصيهم عليك خيراً . . وتركب الـ (أندرجراوند) ساعة أخرى وتدفع جنيهاً آخراً

لتقابلك فى (دريكسفود) نفس المقابلة الطيبة ونفس الابتسامة الرقيقة و « لو كنت قدمت ١٠ دقايق بس كنت لحقت الوظيفة . . لسه معينين فيها واحد اللى ذوقى حالاً . . لكن لو رحت الفرع بتاعنا اللى فى ريتشموند . . . » إلخ . وإذ ذاك تكتشف أن الإبتسامة الرقيقة لم تكن إلا ابتسامة سخرية ، وتكتشف أنك أصبحت يوماً كاملاً وجيبين أو ثلاثة لكى يتسلى عليك السادة الإنجليز ويشوروك فى طول لندن وعرضها مشورة الأرامل فى إدارة المعاشات فى وزارة الخزانة فى القاهرة !

أسبوع
كامل

مر علينا الآن فى لندن دون أن نجد عملاً بعد ، لا أنا ولا باقى « الزملاء » . . وأصبحت المسائل شكلها كئيب جداً ولا تبشر بأى خير ، ولا أمل قريب يبدو فى الأفق ، حتى الأبواب التى كانت مواربة وقابلة للفتح أصبحت الآن مسدودة ومقفلة تماماً ! . . وهرب منى تماماً شعور الصحفى الذى يجرى وراء تجربة صحفية جديدة ، ولم يبق إلا شعور العاطل الذى يبحث عن عمل ويقلقه الغد وفلس الغد وما يمكن أن يترتب على هذا الفلس ، وبدأت أندم على أنى وضعت نفسى فى هذا الموقف وهذه الظروف : مالى أنا ومال الطلبة المصريين اللى بيسافروا أوروبا فى الصيف !؟ ما كنت قاعد فى مكتبى فى المحلة فى مصر باكتب عن مذيعات الإذاعة وحسناوات التليفزيون ، وباقبض مرتبى كل أول شهر وأنا مستريح . وكنت باتحدم وييجى لى الشاى واللبن كل يوم الصبح فى سريرى وأقوم من النوم ألاقى الفطار جاهز ومتحضر والجرايد إلى جواره ، وأصحى وقت ما أنا عايز وأنام وقت ما أنا عايز . . كنت باسهر لغاية الساعة ستة الصبح — أكتب طبعاً — وأنام لغاية الظهر . . حتى عادتى البسيطة قد تغيرت : كانت عادة مقدسة عندى أن أنام فترة

الظهيرة كل يوم . فعملت نوم العصر لأنني أبحث عن عمل . ولأن الشمس تغرب في لندن في هذا الوقت من العام في العاشرة مساءً . . وكنت أتعامل مع الدش في الصيف عدة مرات في اليوم الواحد ، لكنني الآن أقضي ١٨ ساعة في اليوم بنفس الملابس التي خرجت بها من الصباح حتى منتصف الليل . دون أن تتاح لي الفرصة لمجرد أن أتشطف أو أغسل وجهي مرة واحدة خلال اليوم ! !

وكأن

متاعي

لم تكن تكفيني . فقد زاد عليها إحساسي بنوع من المسئولية تجاه الجزء من مجموعة الأولاد المصريين الذين معي هنا ولا يعرفون عن اللغة الإنجليزية إلا أن هناك لغة ما في العالم إسمها كده ، بالرغم من أنهم طلبة في الجامعة ! ! . . فقد وجدت نفسي فجأة أعمل مترجماً لهم وأضطر إلى مرافقتهم في كل خطواتهم أو اصطحابهم معي في كل خطواتي ، حتى أتصدى أنا للكلام والترجمة وقت اللزوم ، يعني باختصار أصبحت « آخاهم في إيدي » كل يوم الصبح لكي أبحث لهم أنا عن أعمال : ممدوح » و « سيد » و « عليوة » . . « ممدوح » و « سيد » كانا متواضعين ومسلمين أمرهم لله ومستعدين يشتغلوا أي حاجة وبأي أجر . . أما «عليوة» فهو نموذج طريف جداً وغريب جداً وحدوتة لوحده إذا قابلته في القاهرة ، فما بالك به في لندن : طالب في كلية التجارة بجامعة أسيوط . . طول وعرض وجثة ولا شيال في محطة مصر . . يتكلم باللهجة الصعيدية على طول ، ولم يسمع أصلاً عن أن هناك لغات أخرى في العالم غير اللغة العربية ، ما عندوش خبر ، ما حدش قال له . . غشيم ومتعالي . . حواديته لا تنتهي عن مغامراته وغزواته بسيارته الـ « تاونس » التي يقتحم بها شوارع القاهرة ، وفتوته وخناقاته مع كل الناس . . ويبدو أن أسرته لها في

قريتهم عزوة وعصبية وكلمة مسموعة ماشية على الكل ، لذا يتصور أن لندن فرع من (ملوى) . . يريد أن يمشي كل شيء هنا أيضاً على مزاجه ، ويتصور أن الناس الإنجليز هنا ينبغي أن يعاملوه كما يعامله أناس الفلاحين في قريته . . هنا أيضاً يريد أن يضرب كل الناس ويشتم كل الناس ويرغم كل الناس على تنفيذ رغباته وتعليماته وأوامره . . يعارض - بغشومية وبجهل — في كل شيء ويريد أن يفرض آراءه هو على الجميع : كل ما يقوله الجميع خطأ وهو الوحيد الذي يتكلم صح وكل ما يقوله هو عين الصواب وعين العقل . . الرأي رأيه والشورة شورته . ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية ويفترض أن الإنجليز هم اللي كان لازم يكونوا بيعرفوا عربي ما دام « عليوة » جاي لندن ! ! .

لاحظ « عليوة » إعجابي بتكوين شخصيته ، فقد يتصرف كأني ما جئت إلى لندن إلا خصيصاً لكي أكون مرافقه الخاص ومترجمه الملاكي : يريدني ألا أبحث عن عمل لنفسي إلا بعد أن « أعثر » على عمل له هو أولاً . ليس ذلك فقط . لكنه قبل أن ندخل أي مكان نسأل عن عمل « له » يعطيني « تعليماته » وأوامره فيما يتعلق بالأجر الذي « يطلبه » : الطلبة عادة يعملون بأجر أسبوعي في حدود ١٥ جنيهاً . لكن « عليوة » يشترط أن يتقاضى ٣٥ جنيهاً في الأسبوع ، ومع « الإقامة الكاملة » على نفقة صاحب العمل أيضاً ! ! . كما أنه يشترط أن يكون صاحب العمل بيعرف يتكلم عربي : « أمل أن ما أعرف أتفاهم معاهم إزاي » ؟ ! !

الإنجليز

يسمون

الأندرجراوند أو المترو الذي يسير تحت الأرض عندهم ، يسمونه الـ « تيوب » أو « الأنبوبة » ، لأن الأنفاق التي يسير فيها تحت أرض لندن تشبه الأنبوبة فعلاً . . وعلى ذلك فقد دخلنا دوخة الشكاوى اليوم في

« الأتوبة » . صون النهار راكبين « الأتوبة » رايحين جايين فيها لما اتكسرت رجايلنا واتهد حيلنا تسعة أيام فى لندن الآن ونحن نبحث عن عمل دون جدى ودون أى نتيجة .. الجميع يشترطون أن تكون معنا تصاريح عمل من وزارة العمل الإنجليزية ؛ لأنه بدون تصاريح عمل فالسفارة الإنجليزية فى القاهرة تختم على الباسبور بأنه غير مسموح لحامله بالإشتغال فى إنجلترا بأجر أو حتى بغير أجر . . ذهبنا مرة أخرى إلى الخواجة « ماسكوت » مدير وكالة التوظيف ، فقال لنا إن لديه ١٠٠٠ وظيفة لنا إذا كان معنا تصاريح عمل . لكن بدون تصاريح عمل فهو متأسف جداً . . الأعمال الحقيرة التى يرفضها الإنجليز وكل الناس هنا ولا يقبلها إلا الزنوج ، يقبلها الطلبة المصريون الذين يصلون إلى لندن فى وقت مبكر بعد انتهاء الإمتحانات مباشرة ، أما الذين يصلون متأخرين زى حالاتنا فهؤلاء يتوصون لوصة مهمة ، ويحتاسون حومة الإبل فى عاصفة رملية على الصحراء ! .

يا ترى مكافئتى مصر تنضم للسوق الأوروبية المشتركة ، ولو عشان خاطرنا ؟ ! ؟ :

وتلتقى بالوجوه

المصرية وبالطلبة المصريين وباللغة العربية باللهجة المصرية فى كل شبر تمر فيه فى لندن ، حتى تصورت فى وقت من الأوقات أن فى لندن من المصريين الآن أكثر مما فى مصر نفسها ! ! . . وتلتقى أيضاً فى كل مكان بقصص النجاح الوهمية الخرافية من الطلبة المصريين الذين تقابلهم . فيدعون أنهم يتقاضون ٥٠ جنيهاً فى الأسبوع غير الأكل والشرب والنوم ! ! . ولما نجد أن هذه الحكايات « واسعة شوية » نسألهم : « وانتوا بقالكم قد إيه فى لندن ؟ » ، فيقولون أسبوع أو عشرة أيام . . تسألهم : « طيب

تشتغلوا فين علشان نيجي نشتغل معاكم ؟ » فيتهربون منا ولا يذكرون لنا أماكن عملهم . أو يعطوننا أي عناوين غير صحيحة تخطر على بالهم ، ونذهب فنجد هذه العناوين لكنيسة أو سفارة أجنبية أو مدرسة أطفال أو محطة سكة حديد ! ! . .

وجاء

الفرج

أخيراً . . أو ما اعتبرناه نحن بداية الفرج أيضا . وكان ذلك بسبب : « الطفاسة » ! ! . كنا كل يوم ننقل مجال بحثنا عن عمل إلى منطقة جديدة أو حي آخر جديد من أحياء لندن غير الحي الذي بحثنا فيه بالأمس . . ذهبنا اليوم نبحث عن عمل في منطقة « فليت ستريت » أو شارع الصحافة في لندن . . وانقطع قلبنا وانكسرت رجلينا والمطر غرقنا وتعبنا من الجوع . . ثم أتت الطفاسة بنتيجة حين دخل « علاء » و« ممدوح » ليشتريا صاندوتشات من مطعم أو رستوران . فخرجا منه — إلى جانب الصاندوتشات — بوعد بالعمل في نفس المطعم اعتباراً من الغد . . لذا ، فبعد خروجهما بقليل دخل « محيي » و « عماد » نفس المطعم ليلعبا نفس اللعبة ، يشتريان صاندوتشات ويسألان عن عمل ، وخرجا بنفس النتيجة : الصاندوتشات والوعد بالعمل في الغد ! ! . . هيل . . الحمد لله ، بدأت تفرج ، ويبدو أن هذا المطعم لقطة . لكن لما دخلت بعد ذلك أنا و « عليوة » قالوا لنا : « متأسفين . خلاص الوظائف اللي عندنا خلصت » الظاهر علشان لم نشتر صاندوتشات ! ! . .

الطريف أنه حين ذهب « علاء » و « ممدوح » في اليوم التالي ليتسلما عملهما حسب الوعد . وكانا هما اللذين تلقيا الوعد أولاً — اعتذرت مديرة المطعم لهما أن الوظائف الخالية قد شغلت . . وذهب « محيي » و « عماد » بعدهما بدقائق فتسلما العمل فعلاً ! ! . . غريبة جداً هذه الحكاية . . .

لكنني أعتقد أن شكل « ممدوح » المذهول دائماً المتدلي الفك دائماً هو الذي جعل الست المديرة ترقص « ممدوح » و « علاء » معاً ! ! . .

[وفي اليوم التالي استطاعت قائمة «هدى» أن تعثر لـ « سيد » على على وظيفة مساعد طباخ في مطعم متواضع في (بيكو ستريت) . يقشر بطاطس حتى اليوم ثم يمسح المصبخ قبل أن ينصرف] . في مقابل ثلاثة جنيهات إسترلينية يومياً . لثلاثة أيام فقط في الأسبوع . وإذا مسح الجزء من الرصيف الذي أمام المطعم يتقاضى ٥٠ بنساً أخرى ! ! .

لكن « سيد » رفض حكاية مسح الشارع هذه . مركزه الاجتماعي - في مصر - لا يسمح له بمسح الشارع . لكن بتقشير البطاطس معلش ! ! . .

ثم وجد « علاء » أيضاً عملاً : « ووشر Washer » أو غسل أطباق في مطعم إيطالي : يغسل الأطباق بيديه طول اليوم ، يعني حتى ليس على ماكينة غسيل الأطباق الأوتوماتيكية الشهيرة التي تغسل الأطباق وحدها . ومن يعمل عليها لا يكون عليه إلا أن يرص الأطباق المستعملة على رفوف خاصة ثم يدفعها إلى داخل الماكينة ويقفل عليها ويضغط على زر فتقوم الماكينة وحدها بكل العمل ، ثم يرص الأطباق بعد غسلها على رفوف أخرى حتى تصبح جاهزة للاستعمال . . أما صديقنا « علاء » فهو يغسل الأطباق بيديه طول اليوم في مقابل ثلاثة جنيهات ونصف يومياً لخمسة أيام في الأسبوع . .

كويس . . العجلة دارت ؟ . ولم يبق غيري أنا و « ممدوح » و « علبوة » ؟ . .

وبهذه

إنفراج

الأزمة - جزئياً - بدأت الأخلاق تظهر على حقيقتها : « الأستاذ » علاء اشتغل ، فعين نفسه قائداً وزعيماً لنا جميعاً ، وبدأ يصدر تعليماته

وأوامره وإرشاداته و « توجيهاته » . وبدأت « المريسة » تظهر والحركات اللى مش ولابد : عاد ذات مساء من « شغله » ليبشرنا أنه قد وجد عملاً لـ « ممدوح » من الغد فى مطعم صغير يتفق مع صاحبه التونسى على أنه سوف « يرسل إليه » زملاً مصرياً يعمل عنده . . ولما كان « ممدوح » لا يتكلم الإنجليزية على الإطلاق ويتكلم العربية بصعوبة ، فقد « كفى » الأستاذ «علاء» بأن أذهب مع « ممدوح » لأقدمه لصاحب المطعم . نعما ذهبا فى اليوم التالى بدرى جداً فى موعد العمل ، وجئ بنا الرجل التونسى ، وصردنا بجفاء شديد على اعتبار أن كل ما حدث أمس هو أن « علاء » سأله عن عمل فقال له « معيش » وذهب الأمر عند ذلك ! ! . .

وتكررت هذه القصة أكثر من مرة من الأخ « علاء » ، وذهب فلا نجد شيئاً ، حتى بدا أن المصريين هم الذين يتسلون علينا الآن بدلاً من الإنجليز ! ! . .

تحيح

أنه

مازال ثلاثة مما لم يعملوا بعد : « ممدوح » و « عليوة » وأنا . . لكن كان لابد وأن نأكل بيت « هدى » بشكل عاجل جداً . . البيت الإنجليزى النظيف الأنيق الرشيق المحنق تحول إلى مزبلة هائلة نتيجة مبيت سبعة أفراد على أرض غرفة الصالون كل ليلة ، ويخرجون الصبح بدرى جداً ويتركون الدنيا تضرب تقلب : البهوات اللى اشتغلوا رايحين شغلهم ومش فاضيين يوضبوا مطرح ما ناموا ، والبهوات اللى ما اشتغلوش مسروعين عايزين ينزلوا جرى علشان يبحثوا عن شغل . . وينهد حيل « هدى » المسكينة فى إعادة التوضيب والتنظيف كل يوم حتى فاض بها الكيل ولم تعد تحتمل أكثر من ذلك فقالت لنا ما معناه : « يا بخت من زار وخفف ، وإن كان حبيبك عسل ، وتتوا آنستونا خالص وما تعطلكوش بأه » ! ! . .

وصحبتنا « هدى » إلى (كارميل هاوس هوتيل) : فندق صغير متواضع صاحبه تونسي متزوج من إنجليزية إسمه « محمد والى » . . ويوافق الرجل على أن يؤجر لنا غرفة واحدة تصمنا جميعاً على أن يدفع كل منا ستة جنيهات ونصف كل أسبوع ، ويوافق نحن من باب « مكره أخاك لا بطل » ، ويتقاضى منا العربون فعلاً . . لكن « هدى » الطيبة الساذجة التي تتصور أن شهرتي كصحفي قد طبقت الآفاق وعبرت البحار والمحيطات ووصلت إلى لندن ، تقول للتونسي صاحب الفندق : « إنك ما تعرفشي الأستاذ حسين قدري ؟ ! .ده الصحفي المصري المعروف » ! ! . . ويبدو أن الرجل كان يعرفني فعلاً ، لأنه رد لنا العربون على الفور وسحب موافقته على تأجير الغرفة لنا ! ! ؟ .

رضينا بمحمد والى ومحمد والى مش راضي ! ! .

ويقطع

رقيمنا

الجديد الأخ « علاء » بأن « يهتم شخصياً » وبنفسه « بحل المشكلة . فيغرقنا زيادة . . ويذهب ليبحث عن فندق آخر نقيم فيه ، فيؤجر — باسمنا وبالنيابة عنا — غرفة حقيرة جداً تحت السلم في فندق آخر إسمه (روس هاوس هوتيل) بإيجار أسبوعي قدره ١٤ جنيهاً للفرد الواحد منا !! وكنا قد أصبحنا الآن خمسة فقط . . وذلك معناه أن ندفع ٧٠ جنيهاً إيجاراً هذه الغرفة الحقيرة في الأسبوع ، أو ٣١٥ جنيهاً استرلينياً في الشهر ، وبالمصري ٥٣٥ جنيهاً في الشهر ! ! . . هايل « علاء » ده ! !

لكن مضطر يركب الصعب . والصعب هنا هو هذه الـ ١٤ جنيهاً كل أسبوع ، وبالعملة الصعبة ، إنما لم يكن أمامنا إلا أن نقبل أي شيء قبل أن تطردنا « هدى » . ويكفي ما سببناه لها من متاعب . . فلم يكن يخطر على بالي في وقت من الأوقات أن تستضيفني « هدى » أنا — برغم

صداقتنا في بيتها، فكيف بهذه « المدرسة الداخلية » أو « الحضانة » التي فتحتها في غرفة الصالون ! . ولعلها كانت وهي تفتح لنا بيتها بالكرم المصري المعهود فيها والذي لا ينفع في لندن . قد تصورت أن المسألة لمة واحدة وتعدى ، فلما وجدت أنها قد وصلت إلى أسبوع كامل ومش باين لها نهاية . قالت : لأ يأه . خلينا إنجليز أحسن ! ! .

وكان

« سيد »

هو أول من مس ورفع راية التسليم . : فبعد ٣ أيام عمل فقط في تقشير البطاطس قرر أن المسألة لا تستحق كل هذه البهدلة ، وأنه مش حاي لندن علشان يقشر بطاطس . كما أن مجموعة « التلامذة » تنبذه بعيداً عنها لأنه موظف ولأنه أكبر منهم سناً .. فقرر أن يعود إلى عمله في مصلحة التليفونات في القاهرة ويلبس بلطته الشيك ويمارس مهام منصبه ويتآمر على السعاة ويشخط في صغار الموظفين اللي تحت إيده ! . وسلم « سيد » العهدة لمطعم (بيكر ستريت) : المريلة للشمع وسكينة تقشير البطاطس ، وعاد إلى القاهرة فعلاً بعد يومين ! !

وفي نفس الليلة عثر « علاوة » و « ممدوح » على عمل .. « علبوة المهم » سوف يتولى أعمال « النظافة » في بار صغير لمدة ٥ ساعات يومياً خمسة أيام في الأسبوع بأجر قدره جنيهان – بحالهم ! – في اليوم . . يعني ١٠ جنيهات أسبوعياً ، والمطلوب منه أن يدفع ١٤ جنيهاً كل أسبوع كإيجار لسريره في الغرفة التي ورطنا فيها الأخ « علاء » ! ! . . معدلة صعبة فعلاً . ٥

أصبحت

أنا

الوحيد فى المجموعة الذى لم أجد عملاً حتى الآن . . وأصبحت أيضا فى موقف حرج جداً بعد أن أوشكت نقودى أن تنتهى تماماً . . الباقى معى جنيهات قليلة تعدّ على أصابع اليد الوحدة لكنى كنت أحتفظ أيضاً بكارت أخير . . ورقة أخيرة . . كنت مصراً على ألا أستخدمها إلا فى حالة الضرورة القصوى وحين تقفل فى وجهى كل الأبواب . . وأظنى الآن مضطراً لأن ألعب هذا الكارت الأخير . . من كشك التليفون فى الشارع طلبت صديقتى الإنجليزية « Jocelyn Clements جوسلين كليمنتس » التى تعمل كمساعدة مدير عام المستخدمين فى سلسلة فنادق « سمر هوتيلز » التى تضم ٢٢ فندقاً من فنادق الدرجة الأولى منتشرة فى كل أنحاء إنجلترا ودعتنى « جوسلين » للذهاب إليها فى مكتبها الآن فوراً . .

وسمعت « جوسلين » حكايتى بسرعة وباختصار ، ثم رفعت سماعة التليفون وكلمت شخصاً إسمه مستر « هويكنز » . . وبعد دقيقة واحدة وضعت السماعة مرة أخرى وقالت لى وعلى وجهها الجميل ابتسامة تضىء حتى شبرا بحاله : « مبروك . . لقد تم تعيينك فى وظيفة تناسبك تماماً وتخدم جداً الفكرة الصحفية التى تبحث عنها . . »

* * *

وفى نفس الليلة أيها السادة ، بعد ١٢ يوماً من البطالة والتحصل فى لندن ، وفى فندق « سنتر إيربورت هوتيل » بمطار « هيثرو » الشهير ، تسلمت عملى عقبال ما تشوفوا أولادكم — : بواباً ! ! ؟ ؟

(٣)

□ لوغاريتمات إنجليزية !! □

ذهبت

فقابلت

مستر « هوبكنز W Hopkens » المدير المساعد لفندق « سنتر إير بورت هوتيل Centre Airport Hotel » الذى اتصلت به صديقتى « جوسلين كليمنتس » ، وشرحت له فكرة وشكل العمل الصحفى الذى أقوم به . وأعجب مستر « هوبكنز » بالفكرة وبطريقة تنفيذها ، واتفقنا على أن يظل هذا الأمر سراً بينى وبينه هو فقط ، يعنى لا يعلم أحد من العاملين فى الفندق أننى صحفى ، حتى لا يتحرج الإنجليز الذين سيزاملوننى فيعاملونى معاملة خاصة ، وحتى لا يتحفظ معى المصريون الذين يعملون فى نفس الفندق .

كانت الوظيفة التى رشحتنى لها « جوسلين » هى وظيفة « نايت بورتر Night Porter » ، و « بورتر » كما تعلمناها فى حصص اللغة الإنجليزية فى المدرسة وكما قرأناها فى قواميس الإنجليزى / عربى ، معناها « شيال » أو « حمال حقائب » . إذن « نايت بورتر » معناها « شيال يعمل بالليل » . وكانت هذه فعلاً هى الصورة التى رسمتها فى ذهنى وأنا ذاهب فى نفس الليلة لأتسلم عملى : « نايت بورتر » :

ويتسلمنى مستر « جون أوليرى John O'leary » كبير الـ « بورترز » شاب طول وعرض ومنظر وأبهة ووسامة وشياكة كأنه ممثل سينما أجنبى أو ضابط فى الأسطول البريطانى . يتسلمنى ليأخذنى إلى غرفة الملابس

لأختار الـ « يونيفورم » الذى يناسب مقاسى . . وضحكت جداً على نفسى وأنا أرى شكلى فى المرآة مرتدياً بدلة الـ « بورتر » الرمادية ذات الأزرار النحاسية الصفراء والياقة والأكمام الحمراء والبنطلون ذو الشريط الأحمر على الجانبين ، والكرافتة الكحلى المنقوش عليها شعار سلسلة فنادق الـ « سنتر هوتيلز » ! ! . . الله يرحمك يا أمى . . يا ما نصحتينى وقلتى لى : « إبعد عن الصحافة . الصحافة حاتبهدلك . . روح ، قلبى مش راضى عنك ، وبكرة حاشوفك شيال فى محطة مصر » . وآهو حصل ودعوتها تحققت . لكنها قطعاً لم يكن يخطر على بالها أن دعوتها سوف تستجاب على هذه الصورة : شيال صحيح ، لكن ببدلة شيك ، وفى مطار لندن ! ! . .

ويشرح
لى

« جون أوليرى » بشكل سريع عملى الذى سأقوم به ، ثم يقدمنى إلى رئيسى الجديد الذى سأعمل معه فى وردية الليل : « ريتشارد برايان Richard Brayn » . . على أن يتولى « ريتشارد » شرح التفاصيل لى شيئاً فشيئاً أثناء العمل . . وكنت أتصور أن المسألة مش محتاجة لشرح تفاصيل ولا حاجة . . فأية تفاصيل ممكن أن تكون فى عملية حمل الحقائب ؟ ! . حقائب وبنشال عن أى صورة من الصور . . يعنى هو انا حاشيل قنابل ذرية ؟ ! . .

لكن يتضح من ليلتى الأولى فى العمل أن الأمر مختلف تماماً فعلاً عما تصورته ، وأن المسألة ليست مجرد حمل حقائب النزلاء وتوصيلها إلى حجراتهم . . فالـ « نايت بورتر » هو الحاكم الفعلى للفندق خلال فترة الليل : مكتب طويل عريض عليه ٣ تليفونات يدير من خلالها حركة الفندق كله خلال الليل : هو المسئول مسئولية كاملة عن الفندق ونزلائه من لحظة وصولهم إلى الفندق وبمجرد تسلمهم مفاتيح غرفهم منه ، حتى يسددوا حسابهم

ويسلمونه مفتاح الغرفة مرة أخرى.. كل علاقة النزلاء بمكتب الإستقبال Reception هو أن يملأوا عنده البيانات الموجودة فى الاستمارات ويتسلموا « رقم » الغرفة فقط ، ثم تنقطع صلتهم بـ « الإستقبال » تماماً بعد ذلك ويكون الـ « بورتر » هو المسئول عنهم : النزيل الذى يريد أن يستيقظ فى ساعة معينة ، أو يريد الإفطار فى غرفته ، أو يريد كذا وكذا من صحف الصباح .. النزيل الذى يريد أن يحجز لنفسه مكاناً على الطائرة المسافرة إلى أى مكان فى العالم ، الـ « بورتر » هو الذى يحجز له بالتليفون .. النزيل الذى سيقضى ليلة واحدة فى لندن ويريد أن يسهر فى مسرح أو سينما أو ملهى : « بورتر » هو الذى يحجز له بالتليفون . النزيل الذى يريد أن يستأجر سيارة خاصة يقودها بنفسه طول المدة التى سوف يقضيها فى لندن : الـ « بورتر » هو الذى يستأجرها له بالتليفون .. النزيل الذى لديه يوم واحد يقضيه فى لندن ويريد أن يقوم بجولة سياحية فيها ليرى أشهر معالمها : الـ « بورتر » هو الذى يرتبها له .. النزيل الذى يريد أن يسأل عن مواعيد قطارات السكة الحديد بين لندن وباقى إنجلترا .. النزيل الذى يملك سيارة ولا يعرف الطريق إلى المكان الذى يريد أن يذهب إليه . النزيل الذى يريد أن يتصل بالتليفون أو يرسل برقية إلى أى دولة فى العالم : الـ « بورتر » هو الذى يقوم بكل ذلك . بالتليفون من على مكتبه .. النزيل الذى يريد أى شىء يخطر على باله ما عليه إلا أن يرفع سماعة التليفون فى غرفته ليطلب رقم تليفون مكتب الـ « بورتر » ويخبره برغبته ، وعلى الـ « بورتر » أن يحقق له ما يريد فى أسرع وقت ممكن حتى لو طلب لبن العصفور أو جناح نملة يتيمة الأب .. وذلك كله فى فندق به ٣٦٠ غرفة مزدوجة .. يعنى ممكن أن يتعامل الـ « بورتر » مع رغبات ٧٢٠ نزيلا كل ليلة لو أن كل نزيل طلب منه طلباً واحداً فقط !!.

وطبعاً

فإن

الـ « بورتر » يستعين فى تنفيذ كل ذلك بكل ما يحتويه مكتبه الهائل من قوائم مواعيد الطائرات على اختلاف شركاتها من لندن إلى أى مكان فى العالم . وقوائم مواعيد القطارات والأوتوبيسات والمترو تحت الأرض « الأندر جراوند » . وقوائم وأرقام تليفونات الوكالات التى تؤجر السيارات الخاصة ، وتحت يده البرامج الأسبوعية لكل مسارح وسينمات وملاهى لندن ، ومجموعة هائلة من الخرائط لكل شبر فى إنجلترا يعنى باختصار فإن الـ « نايت بورتر » ، أو الـ « بورتر » عموماً سواء كان يعمل بالليل أو بالنهار ، مفروض فيه أن يكون دائرة معارف متحركة . وأن يجيد استخدام كل الوسائل والمراجع التى تحت يده لتنفيذ رغبات النزلاء ، وبسرعة جداً . . والمفروض أيضاً أن يكون لبقاً وطريفاً وذكياً ومتسعاً ومحترماً وواثقاً من نفسه وحسن التصرف .

وطبعاً لم يكن مطلوباً منى أن أقوم بذلك كله من أول ليلة . . لكن المفروض أن أصل إليه بالتدريج يوماً بعد يوم طبعاً .

ليس ذلك فقط هو كل عملنا — كما شرح لى زميلى أو رئيسى الإنجليزى « ريتشارد » . لكن « أمن » الفندق خلال فترة الليل هو جزء من مسئوليتنا أيضاً ، بل لعله الجزء الأهم . لو أن أحد المسافرين فى كافيتيريا الفندق شرب شوية زيادة وأساء التصرف والمفروض أن ذلك يدخل فى اختصاص الـ « بورتر » ، ابتداءً من تهدئة الزبون السكران وإخراجه من الكافيتيريا سواء بالحسنى وبالدوق أو بالعنف ، ثم بالبوليس إذا لزم الأمر . مفروض أن أعرف شكل النزلاء بحيث لا أسمح بوجود غرباء فى الفندق خلال واردية الليل بالذات . المفروض أن أمر على الفندق كله شبر شبر بغرفه الـ ٣٦٠ ثلاث مرات خلال الليل فى

حولة تستغرق نحو نصف ساعة كل مرة للاطمئنان إلى أن كل شيء على ما يرام .. إذا حدث واحتاج الأمر إلى استدعاء البوليس فإن الوحيد الذى من سلطاته ومسئولياته أن يفعل ذلك فى الصدق كله هو « بورتر » فقط لا غير . .

وبعد كل ذلك ، فإن آخر وأبسط وأسهل مهام « بورتر » هو حمل الحقائب من وإلى غرف الزلاء ! .

رئيسى

الجديد

« ريتشارد » شخصيه طريفة جداً فعلاً : شاب إنجليزى عمره ٢٤ سنة . من منطقة « ويست إند » فى لندن التى تشبه عندنا فى القاهرة بولاق وأبو العلا والحسينية . يعنى منطقة « أولاد البلد » الإنجليز . . وأولاد البلد الإنجليز كما هو الحال مع أولاد البلد عندنا فى مصر ، لهم طريقة أو « لكنة » خاصة فى الكلام واصطلاحات خاصة لا يكاد يفهمها إلا هم . فهم يتكلمون وأفواههم مقفلة وبالضبط يتكلمون بشفاههم فقط وأسنانهم مضمومة لا تنفرج ، يعنى لا يفتحون أفواههم عندما يتكلمون رى كل مخاليق ربنا ، فيخرج الكلام من بين أسنانهم مضغوطاً غير واضح وقد « تأكل » نصفه فلا تفهم ماذا يقولون ، ولا تعرف إن كانت اللغة التى يتكلمونها هى الإنجليزية فعلاً أم لغة أخرى خاصة بهم . .

« ريتشارد » من هذا النوع من الإنجليز الذين يتكلمون الـ « كوكنى » فلا تفهم ثلاثة أرباع كلامه ، والباقى تفهمه بصعوبة جداً وبالحذاقة والشطارة . هذا بالإضافة إلى أنه هو شخصياً نموذج فى غاية الظرف للإنجليزى الطيب السادج الأهبل الذى يصل إلى حد العبط أحياناً ، بمشيته الغريبة وملامح وجهه وحركات عينيه العصبيتين من وراء نظارته

البيضاء التي تجعله في مجموعه يشبه ممثلي الكوميديا الإنجليز الذين تقوم أقلامهم دائماً على شخصية البطل العبيط ذي التصرفات المضحكة ! !

وبالرغم من ذلك كله فقد كان « ريتشارد » رئيساً طيباً فعلاً .. شرح لي كل شيء ودربني على كل شيء بإخلاص فعلاً . . وكان واضحاً أنه سعيد جداً بوجودي . . وكل شوية يروح ويجي جايب لي معاه شاي أو كاكاو أو بن — عرفت بعد ذلك أن كل هذه الأشياء ببلاش للعاملين في الفندق ! ! حتى فوجئت به يسألني : « هل سأنشر صورته هو أيضاً في المجلة التي أعمل بها ؟ ! » فقلت له مندهشاً : « وكيف عرفت أنني صحفي ؟ » فضحك وابتسامته العريضة تملأ وجهه كله : « كيف عرفت ؟! إن كل من في الفندق يعرفون أنك صحفي مصري وأنك هنا لكي تكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين » إلخ إلخ إلخ ! !

سلمك الله يا مستر « هوبكنز » . بأه ده السر اللي احنا اتفقنا إيه يكون بينه إحنا الاتنين بس ؟ ! .

ويبلو

أن

عرق العبط ليس في « ريتشارد » وحده . إنما هو أصيل ومتوارث وممتد في جذور الأسرة الكريمة « ريتشارد » — بمجرد أن يعرف أنني مصري يسألني على الفور : « سأجري لك امتحانا . ماهي أشهر أكلة شعبية في مصر ؟ » قلت له : « الفول المدمس » وشرحته له . فهز رأسه نفيا . قلت : « الطعمية » وشرحتها له ، فهز رأسه نفيا ! ! فاندهشت أن : إيه ده بأه ؟ ! فزورة دي والا إيه ؟ ! هو حايعرف الأكلات الشعبية المصرية أكتر مني ؟ حايعرف البصارة مثلا أو الفول النابت أو الكشري أو العدس أو الفتة بالخل والثوم ؟ ! . . اختصرت الطريق وقلت له ما اعرفشي غير الفول والطعمية . . فقال وقد اتسعت

ابتسامته الهيلاء لتحتل وجهه كله وهو يهز رأسه بحكمة الخبراء الحكماء العالمين ببواطن الأمور : « الكباب » ! !

الخواجه « برايان » الكبير أو « ريتشارد » . كان يخدم فى البحرية الإنجليزية فى شبابه أيام المراكب الورق ، وزار مصر مرة واحدة يتيمة لمدة أربعة أيام منذ سبعة وعشرين عاما ، أكل خلالها الكباب المصرى مرة . ولأنه راجل عاطفى وحساس ومخلص وعشرى فإنه لم ينس الكباب حتى الآن ! ! . . ويبدو أن هذه المسألة دخلت فى سجل تاريخ الأسرة ضمن الذكريات العائلية المجيدة لدرجة أن الأب يحدث أبناءه عنه باستمرار طيلة هذه الـ ٢٧ عاما ، حتى إن « ريتشارد » بمجرد أن يعرف أنى مصرى يسألنى على الفور عن « الكباب » التى أبوه « وسهم » بيه ! ! .

بالرغم

من

أننى قد اشتغلت فعلا وتسلمت عملى فعلا ، إلا أنى قد وجدت نفسى قد دخلت فى دوامة معادلة حسابية صعبة غير ممكن حلها بأى شكل ولا بالعقل الإلكترونى . عرفت من « ريتشارد » أن مرتبى سوف يكون ١٧ جنيها كل أسبوع . يصل بعد الضرائب والخصومات إلى ١٤ جنيها وبضعة شلنات . أنا الآن أسكن مع باقى الأولاد فى فندق بحى « ساسكس جاردنز » فى وسط لندن بـ ١٤ جنيهاً فى الأسبوع . وأدفع فى المواصلات بين سكنى وبين الفندق الذى أعمل فيه فى ضاحية مطار « هيثرو » « ميدلسكس » جنيها كاملا فى اليوم ذهابا وإيابا . وذلك معناه أنى إذ لم آكل ولم أشرب ولم أفعل أى شىء على الإطلاق غير دفع إيجار السكن ومصاريف المواصلات ، فإن ذلك سوف يكلفنى ٢٠ جنيها كل أسبوع . . فكيف يمكن أن أفعل ذلك بمرتبى الذى لن يزيد عن ١٤ جنيها ؟ ! . .

لوغاريتم إنجليزى غير قابل للحل على الإطلاق قطعا ! ! .

لكن حيرتى انتهت ومشكلتى حلت تماما قبل أن تنتهى بيتى الأولى فى العمل « ريشارد » حل جزءاً منها ، و « أمين القصاص » حل باقى المشكلة . .

جرسون

وسيم

من جرسونات الكافيتيريا بالجاكت الحمراء القصيرة والـ « پاپيون » الأسود . أطل برأسه من باب الكافيتيريا حين هدأ نحو فى الفندق قليلا قرب الثانية صباحا ، ليقول لى بالإنجليزية مدشدشة : « شكلك مصرى . . إنت من مصر ؟ » ظننته برتغاليا أو أسبانيا أو إيطاليا فى ملامحه خفة دم أبناء البحر الأبيض . . قلت له بالإنجليزية « فعلا أنا مصرى وأنت من أين ؟ » فأجاب باللغة العربية ضاحكا وهو يختفى داخل الكافيتيريا : « من عابدين ، يعنى حاكون مين ؟ » . .

« أمين القصاص » : طالب بسنة ثالثة فى كلية التجارة بجامعة القاهرة . . أول مرة يخرج من مصر هذا الصيف ، وجاء إلى لندن بمجرد انتهاء الإمتحانات ليكون أكثر من توفيقا فيجد عملا فى اليوم التالى لوصوله . ويعمل فى عدة فنادق فى ضاحية مطار « هيثرو » قبل أن يستقر فى هذا الفندق منذ أسبوع واحد . . ومع أنه « جديد على الكار » إلا أنه سرعان ما « أكل الجو » بخفة الدم المصرية وبسرعته ونشاطه وفهلوته ، وبرغم إنجليزيته الضعيفة ، إلا أنه كان سريع الإلتقاط وسريع التعلم وقادراً على أن يفهم ما يريدون وأن يجعلهم يفهمون ما يريد . ازاى ؟ ! ما اعرفش . لكن قطعا فيه شىء لله

« أمين القصاص » فى دقيقة واحدة حل الجزء الأكبر من مشاكلى : مشكلة السكن فى « ساسكس جردنز » بـ ١٤ جنيها كل أسبوع ، ومشكلة

جنيه المواصلات كل يوم بين لندن وضاحية مطار « هيثرو » . : قال لى « أمين » . « ما دام أنت بتشتغل فى « هيثرو » إيه اللى يسكنك فى لندن ؟ . . ما تيجى تسكن هنا قريب جنب شغلك وتوفر الجنيه اللى انت بتدفعه فى المواصلات كل يوم »

فكرة طريفة جداً فعلاً ، إزاى كنت غبية عنى ؟ ! . لكنها على أى حال لا تحل إلا جزءاً من المشكلة . فيعنى إذا وفرت المواصلات فإن مرتبى سيكون — يا دوب — يكفى لإيجار السكن . . لكن « أمين » يحل هذه المشكلة أيضا . « ومين قال لك إنك حاتسكن فى المنطقة هنا بـ ١٤ جنيه زى لندن ؟ . . هنا النظام مختلف سيب لى الموضوع ده وأنا أسكنك فى غرفة نظيفة جداً ، لوحدك . وبثلاثة جنيه بس فى الأسبوع . . بكره لصبح نمشى سوا من هنا وأنا أخلص لك الموضوع ده فى ١٠ دقايق » ! ! .

فراحيرو « أمين » ده . . حلال العقد والمشاكل المستعصية . .

وحل

« ريتشارد »

أيضاً الجزء الباقى من المشكلة . حله على مرحلتين الأولى أنه فى الثالثة صباحاً أخذنى من يدى لندخل الكافيتيريا وجلس فى ركن منها مكتوب عليه « ستاف Staff » . بمعنى أنه مخصص للعاملين فى الفندق فقط . ظننت أنه سوف يدعونى إلى شاى أو قهوة أو شئ من هذا القبيل ، لكنى فوجئت به يسألنى : « حاتتعشى إيه ؟ » ! ! . . وقبل أن أعتذر أو أشكره وقد سقط قلبى رعبا من أجل الجنيهين اليتيمين اللذين بقيا فى جيبى ، استطرد « ريتشارد » قائلا: « ما دمت تعمل فى الفندق ، فإن من حقك أن تتناول العشاء أو الغداء حسب موعد عملك . على حساب الفندق فى حدود ٨٠ بنس للوجبة الواحدة ! ! » . . ياسلام . .

كل مشاكلي أصبحت الآن محلولة : لا سكن عاني . . لا مواصلات حيه في اليوم . . والأكل محاد أيضا ! ! . . يا بركة دعا الوالدين . .

أما مفاجأة المفاجآت التي حملها إلي « ريتشارد » الليلة أيضا والليلة عموما كانت كلها مفاجآت — فقد جاءت بالصورة التي لم أكن أتوقعها أو أفكر فيها أو تخطر عني باي على الإطلاق : بعد أن عدنا أنا و « ريتشارد » إلى مكتب الـ « بورتر » بعد العشاء . مد « ريتشارد » يده في جيبه لتخرج وفيها كبشة عملات معدنية شخشخ بها قليلا في كفه وهو يقول لي : « ده رصيدي الليلة . . إنت عملت قد إيه ؟ ! » . . قلت له مندهشا : « عملت قد إيه في إيه ؟ ! » .. قال ببساطة : « بقشيش » .. قلت وقد ازدادت دهشتي : « بقشيش ؟ ! . . بقشيش إيه ؟ ! » .

وضحك « ريتشارد » وهو يفهمني شيئا جديداً من (أصول المهنة) : البقشيش الذي يدفعه النزلاء لـ « بورتر » حين يقوم لهم بخدمة ما ، أو حين يقوم بتوصيل حقائبهم إلى الغرف أو إحضارها منها ! ! . .

أفزعني ذلك . . أشتغل « بورتر » أو بواب أو شيال أو حتى سباك معهش . . أهي تجربة صحفية باقوم بيها لفترة محدودة وبس ، لكن كمان أمد إيدي للناس علشان آخد بقشيش ؟ ! أهو ده اللي مش ممكن أبداً . . تيجي إزاي ؟ ! وكرامتي ؟ ! ومركزي كصحفي ؟ ! . . مستحيل . . لا يمكن أبداً . .

و « عفتي » ريتشارد . علشان تقوم بالتجربة كاملة لازم تمر بكل ظروفها . . إنت في الأول حاتبقى مكسوف لأنك مش متعود على كده ، لكن بسرعة حاتتعود عليها وحاتبقى حاجة عادية .. وما دام أنت عارف إن شغلك ده نفسه حاجة مؤقتة ولغرض صحفي ، يبقى إيه اللي يمنع إنك تتعامل مع كل جزئياته ؟ .. ثم إنك مش أنت اللي بتطلب البقشيش ، ده النزيل هو اللي بيقدمه لك من نفسه : .

كان

شعوراً

غريباً جداً . وكنت مكسوفاً من نفسي جداً ومطرقاً بعينيّ إلى الأرض وأنا أمد يدي لأتناول أول بقشيش يعطيه لي أحد النزلاء . . وكنت قد تهربت من نزيلين قبله بأن وضعت حقائبهما في الغرفة وانصرفت بسرعة جداً ، لدرجة أن كلا منهما وقف ينظر ورائي بدهشة شديدة والقبوس في يده . لكنني بعد ذلك روضت نفسي على أن أتعود ذلك . . وفعلته فعلا ، لكن بتردد وخجل طول الوقت . وفي أقل من ساعة كنت قد جمعت ٤٥ بنساً ، وقبل أن تنتهي الليلة كانت الحصيلة جنيهين وعشرة بنسات ! ! . .

وكان أول شيء فعلته في الصباح وقبل أن تنتهي ورديتي ، هو أنني اتصلت بالصديقة الإذاعية « ليلى سليمان » .. كانت حكاية البقشيش هذه تزعجني جداً وتؤرق كرامتي ، وغير قادر على استساغتها أو قبولها ؛ وكان لابد وأن « أفضفض » لأحد لأشركه معي في اتخاذ القرار : « هل أستمر أم لا ؟ » . . وكان من رأي « ليلى » أنني يجب أن أستمر مادام ذلك داخلا في نطاق التجربة ولكي تكتمل الصورة ، وأنني إذا كنت قد قبلت على نفسي أصلا أن أحمل حقائب الناس فإنني لست فاعل خير ولا راجل شهم متطوع لخدمة الناس لوجه الله .. ثم : « وهو أنت أحسن مني ؟ ! ما انا برضه بآخد بقشيش » ! ! ؛

(٤)

□ دكتور : ماذا فعلت بأخيك؟ ! ! □

في
الصباح

خرجت مع « أمين القصاص » ليبحث لي عن غرفة في حي (كرانفورد Carnford) حيث يسكن ، أقرب حي سكني في ضاحية (ميدلسكس Middlesex) التي بها مطار « هيثرو Heathrow » والفندق الذي يعمل به . ضاحية (ميدلسكس) كلها تشبه عندنا ضاحية مصر الجديدة في أنها تقوم حول المطار . وإن كانت أكثر شبهاً من ناحية الشكل بطريق المعدى وحلوان في أنها عبارة عن شارع طويل جداً « باث رود Bath Road » تقطعه سيارة الأوتوبيس في نصف ساعة . وتقع على جانبيه عدة أحياء متفرقة حي ، ثم منطقة أراضي زراعية تمتد محطة أو محطتين أوتوبيس ، ثم حي آخر ثم منطقة زراعية ، وهكذا . ويأتي مطار « هيثرو » الهائل الضخم ليبسط مساحته الواسعة خلف هذه الأحياء والفيلات ويمتد لمسافة طويلة . وكلمة « حي » هنا (واسعة شوية) ، فهو ليس « حياً » بالمعنى المفهوم . إنما هو شارع أو شارعان كبيران يمتدان متعامدين على الشارع الرئيسي « باث رود » ، وكل شارع منهما يضم ١٢٠ أو ١٥٠ فيلا فقط ليس أكثر . والمحلات هنا ليست في وسط البيوت وبينها زي عندنا في مصر ، لكن كل الخدمات من محلات ومكاتب بريد وتليفون و . . إلخ ، كلها تتجمع في الشارع الرئيسي من الخارج .

ذهبت مع « أمين القصاص » لنبحث عن غرفة لي في حي (كرانفورد) حيث يسكن . . ساكن في حرم إبرة « أمين » بثلاثة جنيهات في الأسبوع .

غرفة صغيرة جداً كانت فى الأصل دولاب فتح ورنا عليه بحيث إنها لاتتسع لواحد صوبل شوية زيادة ولا تستوعب واحداً سمين شوية زيادة . « يعرفشى يدخل فيها صلاً » . وإذا دخل ما يعرفشى يخرج !!

لم أستطع أن أقنع نفسى بأن أسكن فى مثل هذا « الصندوق » . ذلك صحيح فعلا . فهم يسمون هذه الغرف الصغيرة « بوكس روم Box Room » بمعنى « الغرفة الصندوق » أو « العلبة » . . فبدأت أبحث عن غرفة أوسع . الغرف هنا نوعان فقط لا غير : الـ« بوكس روم » هذه ، وإيجارها ثلاثة جنيهات فى الأسبوع ، وغرفة أخرى عادية طبيعية مثل أى غرفة فى كل البيوت اللى حلقها زينا ، تضم سريراً عريضاً ودولاباً وتسريحة وترابيزة صغيرة وكرسيين فوتيل . . يعنى غرفة يقدر الواحد يعيش فيها على راحته دون أن يشعر بأنه يعيش فى عوصة .. وهذه إيجارها ستة جنيهات فى الأسبوع ، ويسمونها « الغرفة المزدوجة » أو « دوبل » . .

« أسكن ستة جنيه يا أمين وأبقى على راحتى » . « طيب تعالى نروح المكتبة » .. « مكتبة إيه يا ابنى ؟ أقول لك أسكن تقول لى مكتبة ؟ ! عايز أسكن الأول وبعدين أقرا وأكتب على مهلى » . . « معلهش .. ما هو كل الإعلانات عن الغرف الخالية بتكون متعلقة فى لوحة الإعلانات اللى على باب مكتبة الحى » ! ! . لكننا لم نجد فى اللوحة إعلانات عن غرف مزدوجة خالية فى الوقت الحالى . . أخذنى « أمين » من يدى وقال : « تعالى نروح يوسف . يوسف هو اللى يقدر يحل لك المشكلة دى حلاً » .. « مين يوسف ؟ » . . « يوسف عميرة .. شاب مصرى مقيم هنا من ٤ سنين ، ويعتبر عمدة (كرانفورد) كلها ، وله دلال وله كلمة على الكل هنا مصريين وأجانب » .. وفعلا استطاع « يوسف » أن يحل المشكلة ، لكن بطريقة غريبة جداً : شخط فى مستر « مالك » الهندى صاحب الفيلا التى يسكن فيها « يوسف » شخصياً لكى يتنازل لى عن غرفة الصالون فى الفيلا لمدة أسبوع واحد حتى أجد غرفة أخرى أنتقل إليها على راحتى ! ! . . وقد كان . .

ضاحية

« كرانفورد »

هي ضاحية الهنود والباكستانيين في لندن . ضاحية هادئة جداً تشبه ضاحية المعادي عندنا . كلها فيلات صغيرة من دورين على الطراز الإنجليزي ذي السقف المخروطي المغطى بالقرميد الأحمر . . وكل فيلاتها يملكها الهنود أو الباكستانيون الذين تجمعوا في هذه المنطقة من لندن ، لأنهم جميعاً يعملون في مطار « هيثرو » أو الخدمات المحيطة به : الفنادق مثلاً أو المطاعم أو المصانع وهكذا . . وجميعهم يمتلكون - إلى جانب الفيلات الأنيقة - سيارات فاخرة ويحيون حياة مريحة لا يفرقون فيها عن الإنجليز في شيء إلا في لونهم الغامق . . إنجليز سمر ! ! . . ويسكن الهندي أو الباكستاني هو وأسرته في غرفتين في الدور الأرضي من الفيلا ، ويؤجر الغرف الثلاث التي في الطابق العلوي مفروشة . .

ووافق مستر « مالك » على أن يؤجر لي غرفة الصالون لمدة أسبوع واحد ، على شرط أن « أجلو » عنها في حالة مجيء ضيوف لزيارته ! ! ولم يكن في وسعي إلا أن أقبل وإلا اضطررت لدفع ١٤ جنيهاً أخرى في تلك الغرفة الحقيرة تحت السلم في فندق « روس هاوس هوتيل » التي ورطنا فيها الأخ « علاء » الله . . . يسامحه ! ! . وهكذا انتقلت من غرفة تحت السلم إلى غرفة شيك جداً فيها إلى جانب الأثاث المعتاد : تليفون أبيض وجهاز تليفزيون ملون ومكواة بالكهرباء وطقطوقة سحاير عزما بعده عز ! .

ثاني

يوم

عمل لي في الفندق : . لسه لم أتأقلم بعد بحكاية أن أشتغل « بورتر » . . حاجات كتير لسه مش إفاهمها أو مش قادر أستوعبها بسرعة كافية : دخت

الليلة لسبع دوحات ولفيت أجنحة وصوابن الفندق كله بحثاً عن الغرفة رقم ٧١٩، ثم يتضح في النهاية بعد أن انقطع قلبي . أنها في الطابق الأرضي ! !.

وتلك الحسناء التي جاءت تطلب مني « Paper » أو ورقة .. أعطيتها ورقة بيضاء فدنت على روحها من الضحك ، لأنها كانت تريد « جريدة » بس هم بيدلعوا الـ« نيوز بيبر » ويسمونها « بيبر » فقط .. طيب ربنا عرفوة بالعقل : أنا أعرف منين إنها قصدها « جريدة » وليس « ورقة » ما دامت نفس الكلمة بالإنجليزية تستعمل للمعنيين ! ! ..

ونحو الخامسة صباحاً تصل إلى باب الفندق قافلة من السيارات الصغيرة تقودها مجموعة فتيات شقراوات زي القمر وزي الورد المفتح ولابسين شيك جداً .. يدخلن إلى الفندق زرافات وغزالات . ظننتهن نزيلات عائدات من سهرة ظريفة طلت .. لكنني فوجئت بهن بعد قليل وكل واحدة منهن قد أمسكت مكنسة بالكهرباء أو جردلا وفرشاة ، والتي تمسك بفوطة تنظف بها المكاتب وتلمعها والتي تحمل كيساً كبيراً من النايلون تجمع فيه الزبالة !! . ويتضح أن هؤلاء الحسناوات هن عاملات النظافة اللاتي يتولين نظافة مدخل الفندق فقط في فترة الصباح الباكر هذه ! ! . الواحدة منهن زي القمر وزي لمعة القشطة بنت الإيه وبتشتغل عاملة نظافة .. ولو كانت عندنا في مصر وبالجمال ده لكانت تزوجت أمير شرقي ، أو على الأقل (إكتشفها) مخرج سينمائي من إياهم ، أو جريت على شارع الهرم ! ! ..

اشتغلت ،

وسكنت ،

فهدأت واستريحت نفسياً من ناحية الشغل والسكن ، وراح عني الخوف من الفلس .. وبدأت أهيىء نفسي لبدء عملي الصحفي الذي أمرّ بهذه التجربة من أجله .. وبدأت أيضاً أتذكر : كيف نشأت

الفكرة عندى أصلا ؟! . . ثم مدد حدث لتنفيذ الفكرة حتى وجدت نفسى فى النهاية هنا فى هذا المكان وفى هذا الفندق وأقوم بهذا العمل .

كانت البداية قديمة منذ أكثر من ٣ سنوات « يسرية » صديقة مصرية قالت لى يوماً إنها قررت أن تسافر إلى لندن لتعمل هناك . . صمتاً أن كنت خالى الذهن تماماً عن هذا الموضوع وعن فرص العمل فى لندن . فقلت لها : « تشتغلى فى لندن إزاى ؟ هو انتى فكرك إن الشغل فى لندن أسهل من الشغل فى القاهرة ؟ . إذا كنتى إنتى مش لاقية شغل أصلا فى القاهرة تبقى حاتلاقى فى لندن ؟ ! » . . فحكت لى قصة سريعة عن شاب إسمه « عادل محمدين » يتخذ لنفسه مكتباً فى نقابة عمال الملاهى والترفيه والجرسونات فى شارع عدلى . وأنه هو الذى يقوم بترتيب إجراءات سفر الراغبين والراغبات فى السفر للعمل فى إنجلترا ، وتحصل لهم على عقود عمل هناك بحيث يكون سفرهم بشكل رسمى معتمد من الدولتين . مصر وإنجلترا ، وبحيث أن الشاب أو الفتاة يكونان يعرفان من قبل سفرهما المكان الذى سوف يعملان فيه والأجر الذى سوف يتقاضاه كل منهما وكل الترتيبات والتفاصيل الأخرى قبل أن يضع قدمه فى الطائرة إلى لندن . . وأن « عادل محمدين » يتقاضى فى مقابل ذلك مبلغاً بسيطاً ، نحو ٥٠ جنيهاً مصرياً على ما أذكر الآن — ولا يمانع أيضاً فى قبول بعض الهدايا البسيطة ! ! .

شىء ما فى حكاية صديقتنا هذه لم يعجبنى وأثار شكوكى . الحكاية كلها شكلها فيه عملية نصب واحتيال ، وممكن « أشياء أخرى » أيضاً ! ! . وكانت حكاية العصابات التى تغرى البنات المصريات بالسفر إلى بيروت وبعض البلاد الإفريقية واستغلالهن هناك منتشرة فى ذلك الوقت . . فذهبت مع « يسرية » مرة لرؤية « عادل محمدين » هذا فزاد شكى : كانت انطباعتى عنه أنه فعلا نصاب وفهلوى ولا يستطيع الواحد أن يطمئن إليه . . فيه حاجة مش مضبوط ، مش صح ، لكن مش قادر

أعرف أين هي . فقمت بتحريات عنه لم تسفر عن شئ فعدت . ذهبت فقابلت اللواء « محفوظ » مدير عام مصلحة الجوازات وقتها وحكيت له القصة وصارحته بشكوكي . فعد لي إنه فكر نفس تفكيري وبحث الموضوع ولكن لم تصل إليهم شكوى واحدة ضد « عادل محمدين » هذا ولم تسفر تحرياتهم عن أنه نصاب ولا حاجة

وسافرت « يسرية » إلى لندن . وجاءتني رسائلها بأن كل ما وعد به « عادل محمدين » في القاهرة قد تحقق بالضبط ، وأنها تعمل في لندن ومبسوطة ٢٤ قيراط والحمد لله . .

ومر عامان على هذه القصة ، وضاع من ذاكرتي الموضوع كله في زحمة مشاغل العمل والحياة ، ونسيته تماماً مع مضي الأيام والشهور . .

علي
سلم

مبنى التليفزيون التقيا . أنا داخل وهي خارجة تجري ومستعجلة جداً : الإذاعية « ليلى سليمان » مقدمة البرامج بالبرامج الموجهة . . « رايحة فين يا ليلى وتجري ليه ؟ » . . « تعالى معايا وانت تعرف » . . « آجي معاكي فين ؟ مش تقولي لي الأول ؟ » « حاجة يمكن تطلع منها بموضوع صحفي كويس » . . وفي التاكسي حكت لي « ليلى سليمان » الحكاية : « ليلى » انتابها الملل والزهق من عملها ونتيجة ظروف أخرى ، فقررت أن تبتعد عن القاهرة وعن مصر كلها لفترة . . وسمعت عن مكتب في شارع سليمان باشا يهيئ فرص العمل في لندن للراغبين والراغبات من المصريين بعقود عمل رسمية معتمدة من وزارة العمل الإنجليزية . . نفس القصة التي كنت قد سمعتها من « يسرية » الصديقة المصرية قبل ذلك بعامين . . وأن « ليلى » خلاص قد أنهت إجراءاتها تقريباً ولم يبق إلا تحديد موعد السفر في خلال أيام قليلة . . وأنها ذاهبة الآن إلى هذا

المكتب لأنهم طلبوها بالتليفون لاستكمال بعض البيانات الأخيرة . .

مكتب كبير وفاخر وشيك جداً فى عمارة من أكبر عمارات شارع سليمان باشا . . سجاجيد وديكورات وأثاث فاخر واستعلامات وسكرتارية وتليفونات وحسناوات قاعدين على مكاتب ، وجو ولا جو الشركات الكبيرة فعلا . ودخلت « ليلى » تقابل المدير وخرجت . . لكنى طلبت منها أن تنتظرنى لأننى سأدخل لمقابلته أنا أيضاً . . طلبت مقابلته فاستقبلنى على الفور . غرفة مكتب واسعة ولا مكاتب الوزراء . . ديكور فخم فعلا وأجهزة تكييف وتليفونات ولوحات فنية وأبواب مبطنة بالجلد من الداخل ومن الخارج . . جو فاخر مريح يدعو للثقة والإطمئنان . . والمدير نفسه « الدكتور . . . » رجل علاقات عامة فعلا إستقبلنى مرحباً وقال لى وأنا متأكد أنه لم يكن صادقاً — إنه يعرفنى من خلال كتاباتى ويقرأ لى ويتابعنى من زمان وإنه يسعده أن يلتقى بى شخصياً وأنه تحت أمرى . . قلت له إننى سمعت عن النشاط الذى يقوم به مكتبه فى فتح أسواق جديدة للأيدى العاملة المصرية فى أوروبا ، وأن هذا الموضوع يستهوينى صحفياً لأكتب فيه ، لكن بطريقتى الخاصة التى اعتدت تناول مثل هذه الموضوعات بها ، وهى أن أعيش تجربة كاملة بنفسى حتى أكتب عنها بمعايشة حقيقية وبصدق . . وعلى ذلك فإن ما أطلبه هو أن يتيح لى الفرصة لأن أمر بكل الظروف التى يمر بها طالب العمل المصرى منذ أن يبدأ اتصاله بهذا المكتب حتى يسافر فعلا إلى لندن ويعمل هناك ، على أن تكون المدة التى أعمل فيها هناك محدودة بشهور قليلة فقط كافية لاستيعاب التجربة حتى أتمكن من الكتابة عنها . .

ووافق « الدكتور . . . » على الفور ، لكنه قال إن الوقت متأخر الآن لبدء إجراءات جديدة لأن الموسم السياحى فى إنجلترا قد قارب الإنتهاء الآن ، وطلب تأجيل ذلك حتى بداية الموسم السياحى الجديد بعد سبعة أو ثمانية شهور . . وأعطانى مقالا مكتوباً على الآلة الكاتبة

كى أنشره فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » على أنه « بقلمى » !! : . فأخذت منه « المقال » ووضعته فى درج مكتبى تحتانى خالص الذى لا أفتحه إلا مرة كل ٤٣ سنة . .

وسافرت « ليلى سليمان » إلى لندن فعلا ، وانقطعت أخبارها عنى ، ومرت عدة شهور على هذه القصة ، وضاع من ذاكرتى هذا الموضوع أيضاً ونسيته هو الآخر . :

لكنه

كرجل

علاقات عمة نشيط لم ينس . فيأتينى صوته من خلال التليفون ذات ليلة بعد نحو ٧ أو ٨ شهور ليذكرنى بنفسه ، ويقول لى : « إيه يا راجل . . إنت مش ناوى تنفذ الفكرة اللى كنا اتفقنا عليها ؟ آهو وقتها جه آهه » . والتقينا من جديد . وكانت الصحافة المصرية قد بدأت تهتم وتشجع وتفرد صفحاتها لموضوعات سفر طلبة الجامعات للعمل فى أوروبا خلال أجازات الصيف ، وقال لى « الدكتور . . . » إن مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة ومن وزارة العمل لترتيب سفر الطلبة إلى أوروبا وتشغيلهم . . وأرانى ملفات ودوسيهات وأوراق رسمية ومحاضر جلسات حضرها ممثلون لوزارات العمل والداخلية والشباب وغيرها . . ورأيت أن الموضوع يستحق الإهتمام فعلا فقدمت « الدكتور . . . » مرتين فى البرنامج الإذاعى الذى أشترك فى إعداده ، وقال « الدكتور . . » فى الحديثين إن الطالب الذى يسافر إلى لندن بدون تصريح عمل من وزارة العمل البريطانية يكون بينتحر ويلقى بنفسه إلى التهلكة ويعرض نفسه للبهدلة ولأن « يقفشه » البوليس الإنجليزى ويقوم بترحيله إلى خارج إنجلترا فوراً إذا اكتشف أنه يعمل بدون تصريح عمل ، بعد أن يرغمه على رد كل المبالغ التى تقاضاها وهو يعمل بدون تصريح ، وأنه لذلك لا يستطيع

أبداً أن ينصح أى طالب بأن يجازف بالسفر بمجهوده الشخصى دون أن يكون معه تصريح عمل . .

ولما كان مكتبه هو المكتب الوحيد المعتمد من الدولة (!!) لاستخراج تصاريح العمل للطلبة . فإن ذلك كان معناه أن على كل الطلبة الذين يريدون السفر أن يحصلوا على التصريح الذى يمنح أبواب الجنة من مكتبه هو ، نظير دفع الرسوم التى قال أنها فى مجموعها تصل إلى ٥٠ جنيهاً مصرياً تفاصيلها كالتالى . ٥ جنيهات مصاريف إدارية ، يعنى مقابل مصاريف بريد ومراسلات وتليفونات ومطبوعات وما إلى ذلك + ١٥ جنيهاً قيمة أتعابه التى حددتها لجنة وزارية مكونة من مندوبين عن وزارات . إلخ + ٣٠ جنيهاً مصريا تدفع كتأمين يستردها الطالب مرة أخرى بعد أن يقوم بسداد مبلغ ١٥ جنيهاً إسترلينيا إلى « مكتبه فى لندن » بعد أن يتسلم العمل هناك . وهذا المبلغ هو قيمة الرسوم التى تتقاضاها وزارة العمل البريطانية فى مقابل استخراج (تصريح العمل) للطالب . .

وما
أن

أذيع الحديثان فى الراديو حتى انهالت المكالمات التليفونية على مكتب مقدمة البرنامج « إيه الكلام اللى انتوا بتقولوه فى الراديو ده ؟ البراجل ده نصاب وبيصحك على الناس ، والطلبة اللى سافروا عن طريقه فى السنتين اللى فاتوا إتبهدلوا آخر بهدلة ، ولا اشتغلوا ولا عملوا . وتيجوا إنتوا تقولوا الكلام ده فى الراديو وفى إذاعة الدولة الرسمية . يبقى معنى كده إن الدولة نفسها بتعتمد هذا الكلام » ! ! . . وتحيل مقدمة البرنامج أصحاب هذه المكالمات إلى حسين قدرى على اعتبار أننى أنا الذى قدمت هذه الفقرات . . ويتصل بى بعضهم فعلا لكنهم يرفضون أن يفصحوا عن أسمائهم ، والبعض الآخر جاءوا شخصياً لزيارتى ، لكننى لم أجد ما يثبت

صدقهم إلا مجرد أنهم « يقولون » ذلك . إذن ما الذي يجعلني أصدقهم هم وكذبه هو طالما أن المسألة من ناحية الطرفين « مجرد كلام » لا يشبه شيء . وإن كان كلامه هو أقرب إلى التصديق حكم الأوراق والملفات والدوسيهات وتحضير الجلسات التي شهدتها بنفسي وشهدتها أيضاً مقدمة البرنامج حين أزعجتها كثرة المكالمات التي تدعي أنها قدمت نصاباً ليتكلم في الراديو من خلال ميكروفون الإذاعة . وكانت وجهة نظر « الدكتور » معقولة فعلا . وهي أن الحاقدين الذين يحقدون على أي عمل ناجح ويريدون هدمه كثيرون ! .

ولما كانت « المية تكذب الغطاس » و « خليك ورا الكداب لغاية باب الدار » كما تقول الأمثال . . فإن اتفاقنا أنا وهو كان « أن أمر بالتجربة نفسي » . وبدأ « الدكتور » فعلا في ترتيب إجراءات سفري ضمن مجموعة من الطلبة لأعمل في لندن مثلهم تماماً . وعلى هذا الأساس حضرت عدة اجتماعات له في مكتبه مع الطلبة الراغبين في السفر . . وشاهدت وسمعت بنفسي الكلام الشديد الإقناع الذي كان يقوله لهم : « إنتم كلكم أولادي على اعتبار إني أستاذ جامعة سابق (!!) وده مش اسكندرية لو رحت مالقيتش شغل تاخد الديزل المجري وترجع مصر ، ده لندن وفيها سفر وبحر وطيارة . . مش ممكن أسيبكم تسافروا من غير تصاريح عمل وتلاقوا نفسكم ضايعين في شوارع لندن ورجليكم الإتنين مشعلقة في الهواء . . لكن لما تسافروا بتصاريح من وزارة العمل البريطانية حاتلاقوا الشغل في انتظاركم ، و « مكتبنا في لندن » حايرعاكم ويتابعكم ويحل لكم أي مشاكل ممكن تصادفكم هناك » .

وبعد اجتماعاته مع الطلبة التي حضرتها في مكتبه بدأ يصلني أنه يقول للطلبة في الاجتماعات التي عقدت بعد ذلك دون حضوري إن « الأستاذ حسين قدري — ده اللي هو أنا — هو المستشار الصحفي للمؤسسة — هكذا (!!) وأن المؤسسة سوف توفدني إلى إنجلترا في الصيف « لأشرف » على الطلبة الذين سيسافرون عن طريق المؤسسة !! » . . . .

ثم
حدثت

مفاجأة : إنجلترا على كلامه هو — رفضت إعطاء مصر حصة عمالة هذا العام اعتبار أن إنجلترا قد انضمت إلى دول السوق الأوروبية المشتركة ، ونظام السوق يحصر العمل فى هذه الدول مقصوراً على المواطنين من دول السوق فقط ، بمعنى أنه غير مسموح بالعمل فى إنجلترا الآن إلا لمن يحملون جنسيات أى دولة من دول السوق الأوروبية المشتركة فقط . .

« طيب وبعدين يا دكتور ؟ حتعمل إيه فى المشكلة دى ؟ حاترجع للطلبة فلوسهم وتقول لهم مفيش سفر السنة دى ؟ ! » . « أبداً . . ولا يهمك . برضه مكتبنا فى لندن حايتصرف فى الحكاية دى » . . « حايتصرف يعنى حايعمل إزاى ؟ ! » . . « يعنى برضه حايشغل الطلبة من غير تصاريح عمل » . . « طيب والكلام اللى أنت قلته فى الراديو واللى انت دايما تقوله للطلبة فى اجتماعاتك معاهم . وتخويفك لهم دايماً من السفر بدون تصريح عمل والصياعة فى شوارع لندن والنوم فى الهايدبارك والبوليس الإنجليزى ؟ ! . . حاتسحب الكلام ده كله إزاى ؟ ! » . . « لأ . . » هو الطالب لما يسافر لوحده غير لما يبقى مسافر عن طريقنا ، لأن (مكتبنا فى لندن) حايسهل له كل الأمور وحيشغله بمعرفته ويقف جنبه وقت اللزوم » . . « طيب بفرض كده . . المفروض فى الحالة دى إن الطالب ما يدفعشى الـ ٣٠ جنيه اللى كانوا حايروحوا لوزارة العمر الإنجليزية فى مقابل استخراج تصريح العمل ، ما دام مش حا يكون فيه تصريح عمل أصلا » . . « لأ . . ما هو المبلغ ده حا ياخده « مكتبنا فى لندن » فى مقابل الحصول على عمل للطالب » . . « أمال الـ ١٥ جنيه اللى الطالب بيدفعهم هنا لمكتبكم اللى فى مصر بتوع إيه ؟ »

: . مش دول برضه فى مقابل الحصول له على عمل فى لندن ؟ » ! . . لا جواب . أو على الأقل : لا جواب مقنع . .

وبدأ الثار يلعب فى عى : أكونشى ورطت نفسى فى عملية نصب على الطلبة وأنا مش واحد بالى ؟! . . وصارحت « الدكتور . » بأن الصداقة شئ والصحافة شئ آخر . . وبأنى طول عمرى صحفى ملتزم بأمانتى الصحفية وأمام الحق ما باعرفشى أخويا ، وأنى لو قبلت دعوته بالسفر إلى لندن فمن أكتب حرفاً واحداً يخالف ما سوف أراه على الطبيعة فعلا

وبدأ التراجع . وبدأ يؤجل ويماطل فى موعد سفرى . وبدأت عمليات التطفيش . . وبدأ ناس من المقربين جداً إليه يتصلون بى ليقولوا لى إن من مصلحتى أن أعدل عن السفر وأن أبتعد عنه لأن العملية كلها نصب فى نصب ، وحتى لا « تيجى رجلى فى الموضوع » حين ينكشف!! . ولم أتصور للحظة واحدة أن هؤلاء الناس – الذين يعملون معه قلبهم على أن أكثر مما قلبهم عليه هو أو على أنفسهم شخصياً . . لم أتصور أن أمرى يهمهم أكثر مما يهمهم أمره هو ، فزددت إصراراً على المضى فى التجربة حتى لو أدى الأمر إلى أن أسافر عن غير طريقه . . وصارحته بذلك ، فسلم أمره لله وحدد موعد سفرى . . وسافرت فعلا مع مجموعة مكونة من ١٠ من الطلبة . . وكان ما كان وحدث ما حدث مما كتبته فى الفصل الأول من هذا الكتاب . . وطردنا مستر « برايان وورثنجتون » الذى أرسلنا « الدكتور . . . » إليه فى لندن . ويتضح أنه لا يوجد « مكتبنا فى لندن » ولا يحرنود . . ويتضح أن المسألة كلها ، بلاش أسميها أنا ، لكنها كما عرضتها تماما . .

وفى
لندن

تحدث عدة معارقات تستحق أن تروى هنا . . فقد حدث فى خلال الـ ١٢ يوماً الأولى التى كنت أبحث فيها عن عمل بنفسى فى لندن ، أن ذهبت مع صديقة مصرية تعمل هناك إلى فندق « ساند جيمس » لأقابل « مس شبرد » المسئولة عن التعيينات فى الفندق بعد أن زكتنى الصديقة المصرية عندها . . ووافقت « مس شبرد » على تعيينى وأعطتنى طلب الإستخدام المطبوع لكى أملأ بياناته . فملأت البيانات وأعدت الطلب إليها . لكن الصديقة المصرية الطيبة أرادت أن تخدمنى أكثر فقالت لـ « مس شبرد » إننى صديق « الدكتور . . . » الذى تعرفه « مس شبرد » ، فما كان من المس إلا أن « رجعت فى كلامها » وردت لى الطلب معتذرة بأنه لا توجد لديها وظائف خالية فى الوقت الحالى ! ! .

ومرة أخرى كنت فى مكتب مستر « برايان وورثنجتون » الذى جمعتنا الظروف بعد ذلك فتعرفت به بعد أن اشتغلت فعلا ، فدخلت مكتبه فتاة مصرية تعمل فى إنجلترا منذ عدة سنوات إسمها « آمال صبحى » ، وهى تصحب معها شابين مصريين . « عبد الحميد على الشنتناوى » من كلية الطب ، و« مجدى بكير حسن » من كلية الإعلام بجامعة القاهرة : جاءا من مصر بخطاب من « الدكتور » ، لكن مستر « برايان » طردهما كالمعتاد . . وضاع الشبان فى شوارع لندن لمدة خمسة أسابيع دون أن يوفقا فى الحصول على عمل ، فعاشا فى بيت « آمال صبحى » التى تعرف أسرتيهما من مصر فيما يبدو . . ثم جاءت معهما لتقابل مستر « برايان » الذى أعطاهما خطاباً يفيد بأنهما لم يشتغلا عن طريقه وأنه لا علاقة له بـ « الدكتور » على الإطلاق ، حتى يستطيعا أن يستردا مبلغ الـ ٥٠ جنيهاً الذى دفعه كل منهما إلى « مكتبه فى القاهرة » ! ! . .

ثم — بعد أن اشتغلت أيضاً — أتلقى تليفوناً من الأخ « محمد أحمد إبراهيم » الذى كان « الدكتور » قد قال لى عنه فى مصر أنه « أحد مساعديه فى لندن » . ولما اتصلت به بعد وصولنا إلى لندن أنكر نفسه وادعى أنه مريض وفى المستشفى وسيعود سنة ٩٩٩٩ يتصل بى الأخ « محمد أحمد إبراهيم » بعد أن عرف أنى صحفى وعرف رقم تليفونى بصورة ما ، ليطلب أن يلتقى بى هو و « كامل دسوقى » — مساعد « الدكتور » فى لندن أيضاً !! — الذى كان قد رد على مكالمتى التليفونية بجفاء وغلظة حين طلبته ليلة وصولنا إلى لندن وقال إنه « مش فاضى لمحمد دى » . طبعاً أن يلتقيا بى ليحكيا لى كلاماً كثيراً عن « الدكتور » !! . لكنى اعتذرت لهما وقلت إنى لست محتاجاً الآن لأن أسمع منهما شيئاً طالما أننى رأيت بعينى كل شىء . وأننى أمر بالتجربة بنفسى الآن ! .

ويعود الأولاد

الذين سافروا معى وصدرهم مسرّ « وورثنجتون » إلى القاهرة : ويدهشون فى مظاهرة ثائرة إلى مكتب « الدكتور . . . » . ويسوقه « عنيوة » أمامه تحت تهديد مسدسه إلى البنك ، فيرد لهم على الفور المبلغ التى دفعوه — بعد أن يستبقى لنفسه مبلغ خمسة جنيهات من كل منهم ، كـ « مصاريف إدارية » — برضه !! . ويندهش الأولاد لهذه الطيبة والمسالمة التى لم يكونوا يتوقعونها . . لكن إذا عرف السبب بطل العجب . تفجرت الأمور فى القاهرة فى فترة غيبتنا عنها ، فباحث وزارة الداخلية هاجمت مكتب « الدكتور . . . » وقامت بتفتيشه . وأحالته إلى النيابة العامة . . وأمام النيابة العامة يعترف « الدكتور » بأنه ليس « دكتوراً » ولا حاجة ، وإنما هو مجرد « إسم شهرة » !! . ويعترف بأنه ليس — ولم يكن فى يوم من الأيام — أستاذاً جامعياً كما كان يدعى أمام الطلبة دائماً

ويعترف ويعترف ويعترف : . وتسحب إدارة الأمن العام فى وزارة الداخلية منه تصاريح تعامله مع الهيئات الأجنبية فى الخارج . . ويأمر نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية بتحويل كل أوراق قضية « الدكتور » إلى المدعى العام الإشتراكى ، لاتخاذ الإجراءات اللازمة حمايه مئات الآلاف من طلبة الجامعات من هذه المكاتب الوهمية التى تبيع للشباب الأمل الكاذب فى العمل فى الخارج ! ! .

كل الأمور

قد استقرت بالنسبة لى الآن . إشتغلت ، وسكنت ، ووفرت نفقات مواصلاتى ، واطمأنيت بالنسبة لموضوع الأكل والشرب أيضاً . . فبدأت أبحث عن الأصدقاء الذين سيقونى إلى لندن . . .

الإذاعية « ليلى سليمان » عثرت عليها . . صديقتنا المصرية « هدى » عمدة لندن عثرت عليها ونزلت مع باقى الأولاد المصريين فى ضيافتها أسبوعاً . . أبحث الآن عن « يسرية » الصديقة المصرية التى كانت السبب أصلاً فى تجربتى ، وصديقتى الصغيرة « بيسة » طالبة كلية التجارة جامعة القاهرة التى أوصانى بها خيراً والدها الأستاذ فى جامعة الأزهر ، والتى كان مفروضاً أن نسافر معاً لكنها سبقتنى إلى لندن بنحو أسبوعين . .

رفعت سماعة التليفون وطلبت الغرفة رقم ٥٦٨ فى الفندق الذى تعمل وتقيم فيه « بيسة » : وما إن سمعت « بيسة » صوتى حتى اختنق صوتها بالبكاء من فرط التأثر ، ثم بمجرد أن استطاعت أن تنطق كان أول كلام قالته : « أونكل حسين عايزة أروح مصر ، عايزة أرجع مصر حالا ، مش عايزة أستنى هنا ولا دقيقة واحدة بعد دلوقتى » ! ! .

(٥)

□ هؤلاء الأولاد الهايفين . .
وتصرفاتهم الطائشة ! ! □

« ليه
يابيسة ؟

مش دى لندن اللى كنتى حتعرفى عليها وكنتى عملة تستعجلى ميعاد سفرك علشان تشوفى لندن ؟ ! » . . قالت ونحن نمشى فى الـ « هايدبارك » ليلاً بعد أن التقينا فى محطة الأندرجراوند فى (ماربل آرش) : « كنت مخمومة . . ما كنتش فاكرة إنها كده . . تعبانة جداً من الشغل . . بيتهد حيلى فيه . . الإنجليز ما بيدفعوش بس واحد إلا إذا كانوا حياخدوا قده ١٠ مرات . ولولا شهاتة الأهل والمعارف كنت رجعت مصر من تانى يوم . . ما كنتش فاكرة إن المسألة كده أبداً . . وكمان شاعرة إنى وحيدة جداً ولأول مرة بعيدة عن أهلى وبابا وماما وإخواتى اللى عمرى ما بعدت عنهم . . صحيح معايا فى نفس الأوضة ٤ بنات مصريات . لكن الأهل هم الأهل . . مش قادرة أبعد عن أهلى أكثر من كده . . عايزة أرجع لبابا وماما ولإخواتى ولبيتى ولأوضتى ولأصحابى » . .

وهدأت من روع « بيسة » ، وقلت لها إن هذه هى ملامح التجربة ، فيها الحلو وفيها المر ، فيها التعب وفيها الراحة ، وفيها المتعة وفيها المتاعب ، فيها السعادة وفيها الشقاء ، مثلها فى ذلك مثل أى شئ فى الدنيا . .

واقتنعت « بيسة » أخيراً بأن تعطى لنفسها فرصة أخرى مهلة أخرى تحاول فيها أن تتعايش مع التجربة وتتفاعل معها وتؤقلم نفسها عليها ،

بعد أن اطمأنت إلى أنها بوجودى لن تكون وحيدة بعد الآن . وأنى سأنوب لها عن الأهل وعن الأصدقاء . وأنها إذا كانت — بحكم علاقتنا العائلية ترانى فى القاهرة مرة كل أسبوع . فسوف تحلنى هنا فى لندن بجانبها ومعها كل يوم فنفس مشاعر الوحدة والغربة التى تحس بها هى أشعر بها أنا كذلك

وإذا
كان

البعد عن الأسرة وعن البيت وعن الأهل قد أخذ هذه الصورة عند « بيسه » . صورة الحنين واللوعة فى العودة . فإن البعد عن البيت يأخذ أحياناً صوراً أخرى غريبة جداً . صورة الولد المصرى الطايح الذى استبدل الناصية التى كان يقف عليها فى شارعهم فى القاهرة بناصية أخرى فى شارع آخر فى لندن . وصورة البنت المصرية التى جاءت إلى لندن فشعرت أنها هنا بلا أسرة وبلا أهل . وبالتالى بلا رقيب أو حسيب . فانطلقت تفرج عن كبتها الذى كانت تعانى منه فى مصر ، وتمارس ما تتصور أنه « حريتها » . بطريقة « اللى يعرف حالى يروح يقوله » كما يقول المثل الشعبى عندنا !!!! وتبدأ الأخلاق التى جاء بها وجاءت بها من القاهرة تظهر وتتضح فى تعاملاته وتعاملاتها هنا فى لندن . .

ذلك ليس معناه أن كل الأولاد أو كل البنات المصريين الذين هنا نماذج سيئة . بالعكس ، هم أيضاً نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً ، لكنها فى الحقيقة لا تمثل ظاهرة . إنما الذى يمثل ظاهرة حقيقية — وغريبة فعلا — أن الغالبية العظمى ممن رأيتهم وقابلتهم هنا هى النماذج التى « هربت » من مصر لتمارس شطحاتها وانفلاتاتها هنا ! .

● ما إن يجد الشاب المصرى أو الفتاة المصرية عملا هنا ، ويكون معه مصرى آخر يعمل إلى جانبه ، حتى تبدأ التصرفات الطايشة وخفة الدم التى فى غير موضعها وادعاء « عمال على بطال » تظهر . . ويسوق الهبلة

عن الشيطنة على الإستعباط على هيافة . فيرغم أصحاب الأعمال على ألا ينظروا إليه نظرة محترمة . ويترك انصاعة سيئة عندهم عن المصريين .

● صديقنا طالب كلية الطب الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا « A. B. C » .. مديرة الكافيتيريا أعطته « تورتايه » لكى يضعها فى الثلاجة . ببساطة جداً تسلل بها إلى المطبخ لكى يأكلها !! لولا أن المديرة لحقته قبل أن يأكلها فأخذتها منه وكادت أن تفصله من العمل لولا أن ساق عليها كل الناس . مدعياً أنه « فهم » أنها قد أعطته التورتاية ليأكلها !! .. اليه طالب كلية الطب « فهم » أن الست تقدم إليه تورتاية بحالها — لكى حفلة لكى « يتشبرق » بها لغاية ما ييجى ميعاد الغداء !!

● « محيى » و « عماد » .. طالب ثانوى وطالب جامعة . يعملان جرسونات فى كافيتيريا . ويعودان مع المساء كل ليلة ليحكيا لى مغامراتهما الصبيانية فى المكان الذى يعملان فيه . وكيف أنهما يتصرفان بقلة أدب وإهمال واستهتار ويكسران الفناجين والأطباق متعمدين . ويغنيان باللغة العربية بصوت عال أمام رواد الكافيتيريا ومديرتها . ويناديان على بعضهما من أول المحل لآخر المحل بشكل يلفت نظر الزبائن ويزعجهم ويضايقهم .. « محيى » و « عماد » يحكيان ذلك بفخر وهم يتصوران أنه ظرف وخفة دم وأنهم يضحكان على الإنجليز .. برغم أنهما جربا وذاقا مرارة التعطل والتسكع فى شوارع لندن حتى وجدا هذا العمل .. لكنها النمردة ..

● ثلاثة شبان مصريين : « علاء » و « سيد » و « على » .. تائهون فى شوارع لندن ومعهم ورقة مكتوب فيها عنوان . إستوقفوا إنجليزياً فى الشارع ليسألوه .. من قال لا أدرى فقد أفتى . الرجل لم يعرف العنوان فقال لهم . « متأسف ، مش عارف » . فينسحب « سيد » من لسانه بدون مناسبة ليقول لـ « علاء » باللغة العربية : « سيبك منه ده حمار » فيرد الرجل الإنجليزى باللغة العربية المكسرة : « مين فينا اللى حمار

يا خومار ؟ » !! . . ويتضح أنه يعرف شوية عربى كانت كافية ليفهم الشتيمة . . وكادت أن تحدث مشكلة لو تدخل فيها البوليس لطردهم جميعاً من لندن !

● الشقيقتان المصريتان ، طالبتا الجامعة ، اللتان تعملان معاً فى كافيتيريا واحدة . فأحبت الكافيتيريا إلى قهوة بدى من قهاوى شارع الخليج : ضحك وكركعة بصوت عال . هرار مع بعض ومع باقى الأولاد المصريين الذين يعملون معهما . بطريقة ملفتة للنظر . . ويضيع الشغل ويرتبك العمل مع الإستهتار والتهاون والميوعة . . وتتعقد الأمور زيادة حين تنضم إليهما زميلة ثالثة مصرية أيضاً ، فلا تجد مديرة الكافيتيريا بداً من أن تصرخ حداً لذلك كله ، فتفصل الثلاثة معاً فى ليلة واحدة ، وتصبح الصورة أمام كل الناس أن البنات المصريات يفصلن بالجملة . . ويبدأ البكاء وتبدأ الدموع والتوسل والإستعطاف ، حتى توافق المديرة فى النهاية على أن تبقى واحدة منهن فقط ، حتى توقف هذه المظاهرة المصرية الصاخبة وهذا الدلع اللى مالوش لازمة ! .

● فتاة مصرية طالبة بجامعة الإسكندرية : جميلة وحسناء صحيح ما قلناش حاجة ، ممشوقة القد رشيقة القوام ما قلناش حاجة ، بيضاء وشقراء وذات شعر أصفر وعينين دعجاوين ما قلناش حاجة . . لكنها مغرورة جداً وواحدة فى نفسها ٣٠ قلم ومش طايقة الدنيا من فرط إحساسها بحسنها وجمالها ومتصورة أنها ست الحسن والجمال وأن على العالم كله أن ينحنى لجمالها . . رفضت أن تعمل كحرسونة فى كافيتيريا ، ورفضت أن تقوم بترتيب الغرف فى الفنادق ، ورفضت أن تعمل عاملة شباك تذاكر فى سينما ، لأن كل هذه الأعمال مش قد المقام السامى الكريم . . ؟ طيب أمال جاية لندن تشتغلى إيه ؟ ! رئيسة وزارة مثلا ؟ ! عضوة فى مجلس اللوردات ؟ ! . .

● الفهلوية والعارفون ببواطن الأمور ، الذين يفتون فى كل شىء

ويفهمون فى كل شىء فى لندن وهم لسه واصلين حالا ولا يعرفون ولا كلمة إنجليزى .. والمعترضون على كل شىء . وبمجرد أن يعملوا يصبحون هم المحاور التى ينبغى أن تدور حول الدنيا كلها .. ويحكون نوادرهم بمغامراتهم فى أماكن عملهم بالطريقة التى تصورهم أبطالا صناديد والأماكن التى يعملون فيها ماكانتش عارفة مسكينة ياعينى تشتغل ولا تمشى قبل أن يعملوا هم فيها . ويمكن — والله أعلم — تتوقف وتغلق أبوابها بعد أن يتركوها ويعودوا إلى مصر .. لكننى أتصور أنها غالباً سوف تتوقف وتغلق أبوابها وهم هنا بفضل مجهوداتهم العظيمة .. ولى أستغرب أو أندهش إذا قطعت إنجلترا علاقاتها السياسية بمصر بسبب ومن تحت رأس الأولاد الطيبين وتصرفاتهم الطائشة ! :

ياقوى
أخبار

مصر إيه ؟ .. لانستطيع أن نستمع فى لندن إلى أى إذاعة عربية .. ونادراً ما نجد فى السوق جريدة عربية ، وإذا وجدت فهى صحف بيروتية غالباً .. والصحف الإنجليزية طوال المدة التى قضيتها هنا حتى الآن لم تنشر سطراً واحداً عن مصر أو أخبار مصر . على أى حال المثل الإنجليزى يقول : « إذا كانت لا توجد أخبار فذلك فى حد ذاته خبر كويس » ، وبما معناه أنه إذا كانت مفيش أخبر خالص يبقى على الأقل مفيش أخبار سيئة ..

تهت أنا « بيسة » فى شوارع لندن ونحن نبحث عن متحف « مدام توسو » - متحف الشمع — وبرغم أن مشاهدة المتاحف ليست من هوايتى ، لكنها على أى حال يجب أن تشاهد خصوصاً إذا كنت فى بلد أجنبى .. سيدة إنجليزية جاوزت سن الشباب تعبر الشارع إلى جوارنا إستوقفناها لنسألها — بالإنجليزية طبعاً — عن شارع (ميريليبون

رود) ، ففوجئنا بها ترد علينا باللغة العربية ! ! .. عرفت من شكلنا أننا مصريان . هي الأخرى مصرية من القاهرة أشبّه عليها فأكتشف أنها أرملة صديقنا الكبير المرحوم الدكتور « صبرى جرجس » الطبيب النفسي الشهير .. جاءت إلى لندن بعد وفاة الدكتور « صبرى » لتقضي الصيف إلى جوار إبنهما « رءوف » الذى يدرس الهندسة الإلكترونية « الكومبيوتر » هنا فى لندن ..

ولا نكاد نترك مدام « صبرى جرجس » وسير بضع خطوات فى شارع (إدجوار رود) حتى تقتحم أذنيّ حكاية باللهجة المصرية تحكيها فتاة تسير إلى جوارى . هذا الصوت العالى - أنا أعرفه . وفعلا : زميلتنا الصحفية فى الأهرام « شويكار على » ، جاءت إلى لندن مع عريسها كجزء من رحلة شهر العسل منذ سنة بالضبط تزاملت أنا و« شويكار » فى رحلة صحفية إلى قبرص ، ومنذ ذلك الحين لم نلتق فى القاهرة إلا مرة أو مرتين .. وتجمعنا الظروف هنا فى شوارع لندن الآن هى عروس فى شهر العسل ، وأنا بواب قذر لدنيا ! .

بعد
أيام

قليلة من عملى فى الفندق استطعت أن أحفظ مسالك ومتاهات الفندق الذى يشبه بيت حجا ولأنه مكون من طابقين فقط فإن عرفه الـ ٣٦٠ موزعة على ثمانية أجنحة ممتدة فى اتجاهات مختلفة .. أستطيع الآن أن أقوم بجولة الأمن وحدى كل ليلة .

جولة الأمن هذه المفروض أن أقوم بها كل ليلة .. فى الواحدة وفى الثالثة وفى الخامسة صباحاً ، للمرور على كل شبر فى الفندق للتأكد من أنه لا يوجد به متسللون أو غرباء ، أو حتى لا يحدث فجأة حريق فى أى مكان دون أن ننتبه إليه . وبرغم انتظام الإنجليز الشديد فى أداء

أعمالهم على الوجه الأكمل دون رقابة إلا أن الإحتياط واجب برضه . خصوصاً فيما يتعلق بموضوع الأمن . وخصوصاً أن القنابل الأيرلندية تنفجر هذه الأيام فى كل مكان فى لندن دون سابق إنذار . لذا فإنه لا بد من ضمانات حتى لا يصيبنى الـ « بورتر » عن القيام بهذا الأمن فى مواعيده كسلا أو انشغالا . أحد معى ساعة ذات شكل خاص تشبه المنبه ، بداخلها شريط ورقى يشبه شريط الآلة الكاتبة . وبها فتحة تتسع لمفتاح معين وتوزعت فى أرجاء الفندق ٢٢ مفتاحاً من هذا النوع . وكل مفتاح محفور عليه رقم مسلسل . من ١ إلى ٢٢ . . أضع المفتاح فى الساعة وأديره فيختم الرقم المحفور على أسنان المفتاح على الشريط الورقى الموجود داخل الساعة . ويختم أيضاً الوقت الذى مررت فيه على هذا المفتاح . وهذه المفاتيح موزعة على أرجاء الفندق بتسلسل خاص حيث إننى حين أنتهى من ختم المفاتيح الـ ٢٢ جميعها أكون قد مررت على كل شبر فى الفندق فعلا . .

الغريب أنهم مع حرصهم الشديد على تنفيذ جولة الأمن هذه ثلاث مرات كل ليلة ، إلا أنه لا يوجد فى الفندق كله حارس واحد لا ليلا ولا نهاراً . . المفروض أننى أنا هذا الحارس ، وأنا لست مسلحاً ولا حتى بدبوس إبرة ، يعنى لو طلع لى حد فى الظلام وشخط فىّ . حاطب ساكت ! .

أسبوع
كامل

مر علىّ الآن فى العمل . أقمت نفسى الآن تماماً مع العمل . وأصبحت أتصرف بثقة وكأننى ولدت لأكون « بورتر » طول عمرى . وزال خجلى تماماً من موضوع البقشيش ، بالعكس ، أصبح مصدر تسلية لى أختبر به فراستى فى معرفة النزيل الذى سيدفع بقشيشاً من النزيل اللى حايصهين . . . من شكل النزيل وطريقة تصرفه والتعبير الذى

على وجهه ، ومشيته ورائى أو أمامى وأنا أوصل له حقائبه إلى غرفته . . بل أصبحت لى فراسة خاصة أيضاً فى معرفة « قيمة » البقشيش الذى سيدفعه . . الظاهرة الغريبة جداً أن النزلاء الذين يبدو الثراء على مظهرهم ، وعلى حقائبهم الكثيرة الكبيرة الفاخرة ، لا يدفعون بقشيشاً ، ويعملوا حركات للتهرب منه . كأن يتشاغلون بالكلام مع من معهم ، أو « عد » العملات الفكة التى معهم حتى يحجل الـ « بورتر » فينصرف ، أو يتركون حقائبهم فى مدخل الصالة لكى يذهب بها الـ « بورتر » وحده وهم غير موجودين فى غرفهم . وفى الوقت نفسه فإن هناك نزلاء يبدو شكلهم أصلا أنهم لن يدفعوا بقشيشاً . ومع ذلك يدفعون بقشيشاً كبيراً ، مثل ذلك الرجل المكيب المبهدل من (روديسيا) الذى لا يتوءم شكله أبداً مع فخامة الفندق ويبدو غريباً على مجتمعه الفاخر . الذى بعد أن أوصلته إلى غرفته مد يده لى وفيها ثلاثة جنيهات ! . ثم حين نزل فى الصباح طلب أن يشترى طوابع بريد ليضعها على خطاب يرسله إلى روديسيا . فوضعت له طوابع بريد بـ ٦ بنسات ، فأعطانى جنيهين آخرين ! ! . . لكن أمثال هذا الرجل ليسوا هم القاعدة ، فهناك أيضاً تلك السيدة العجوز التى بدا على شكلها من اللحظة الأولى أنها ليست من النوع الذى يعطى بقشيشاً على الإطلاق ، لكنها بعد أن أوصلت لها حقائبها إلى غرفتها أستمهلتنى - هى من نفسها - لكى تعطينى بقشيشاً ، وقلبت كيس نقودها كله على السرير فامتلأ السرير بالفكة ، ونكشت نكشت نكشت حتى أخرجت من بينها . نصف بنس . تعريفة . . وأعطته لى . . فأعدته إليها مرة أخرى وأنا أقول لها على الفور « متأسف . . ماعنديش فكة » ! ! . .

وبمناسبة
البقشيش ،

نسيت أن أقول شيئاً حدث لى فى أول ليلة لى فى الفندق وعند بداية تعاملى مع البقشيش قال لى « ريتشارد » ليلتها إن البقشيش الذى يجمعه كل منا لا يضعه فى جيبه . وإنما نضع جميعا رصيدنا فى نهاية الليلة فى صندوق واحد . ثم فى نهاية الأسبوع تقسم الحصيلة كلها بيننا بالتساوى : أنا و « ريتشارد » و « تونى » ، الزميل الإنجليزى الثالث الذى أعمل معه فى الأيام التى يكون « ريتشارد » فيها فى أجازة .

ولأن اليوم كان نهاية الأسبوع . فقد أعطانى « ريتشارد » مظروفاً به نصيبى من البقشيش عن الأسبوع المنقضى . ٦ جنيهات فقط لا غير !! . . يا ولاد الـ . بالصوص بالحرامية يا نوّر . قطعاً أنا جمعت فى هذا الأسبوع ليس أقل من ٢٠ جنيهاً ، لأن الذى أضعه كل ليلة فى الصندوق لا يقل عن ٣ جنيهات فى المتوسط . والمفروض أنى أحدثهم وأقلهم خبرة وممارسة فى موضوع البقشيش ، وأنهما — « ريتشارد » و « تونى » يجمعان أكثر منى . فكان المفروض أن يكون نصيبى « أكبر » مما وضعت فى الصندوق وليس « أقل » . لكن الظاهر أن المسألة فيها حرم واستكراد . .

وأحكى لـ « أمين القصاص » ، صديقى جرسون الكافيتيريا طالب كلية التجارة ، ما حدث ، فيقول لى . « لأنك طيب وسذج ومش عارف تعاملهم معاملتهم » . « إزاى يا أمين ؟ » . . « ياعزيزى البيه ، صحيح ماتديش ، فكة تقسم بالنص ، تطبع فى الآخر إنت الكسبان » . لم أفهم شيئاً طبعاً . . « ردنى إيضاحا ياسى أمين أفادكم الله » . « شوف يابيه . . الجنيهات الصحيحة والدولارات الصحيحة والعملات الورقية على اختلاف جنسياتها ، دى تدخل جيبك الشخصى فوراً ، ماشاش دعوة بالصندوق . . الفكة نصفها لجيبك ونصفها للصندوق . .

وفى الحالة دى تطلع إنت كل ليلة باتين تلاتة جنيه لحسابك الخاص ، والباقى تحطه فى الصندوق وتاخد نصيبك فيه آخر الأسبوع برضه . طلع كتير طلع قليل مش مهم . وتأكد إنهم هم كمان بيعملوا كده » ! ! ..
يا ابن الإيه د « أمين » . والمصيبة إن إسمه « أمين » ! !

و « أمين
القصاص »

فى نظرى هو أصدق تمثيل لشخصية الولد المصرى الفهلوى الحريف المركوك اللى يموت فى الحديد ويسلك فى أى مصيبة ، اللى ترميه فى النار وأنت تحتاج على النار من أن يحرقها « أمين » ! ! ..

« أمين » ابن بلد وشهم وخدوم ويعرف الأصول ويبيع روحه عشان واحد مصرى زيه .. لدرجة أنه مرة واحد زميلا حديث العهد بالعمل فى لندن محتاس ومش عارف يغسل ملابسه إزاى ويكويها فين ، فيتطوع « أمين » يأخذ منه ملابسه ليغسلها بنفسه ويعيدها إليه مكوية ومنطبقة . حلحتة ، دون أن يتقاضى منه بنساً واحداً ! ! .. لكن مع الإنجليز ؟ « أمين » هو أبو لمعة المصرى حين يقع فى براثنه حواجة ، مع تغيير طفيف . « أمين » ليس كداناً ولا نكاشاً ولا ميساً : إنما هو يتصرف مع الإنجليز فى الكافيتيريا من خلال وجهة نظر يعلنها ولا يخفيها — عن أصدقائه المصريين فقط طبعاً — : هو قادم إلى لندن لـ « يخم » الإنجليز فى عقر دارهم ، وينتقم — على قدر إمكانياته — من إستعمارهم لمصر ٧٠ عاماً . « ياما سرقونا ونهبونا ومصوا دمنا واستولوا على خيراتنا . فش أهو من إنى أحاول أسترد منهم ولو جزء صغير » ! ! وانطلاقاً من هذا المبدأ « يوم » أمين نصف إيراد الكافيتيريا كل ليلة لحساب نفسه . إنتقاماً من أحفاد الإنجليز المستعمرين ! !
وجهة نظر . وللمصيبة — مرة ثانية — إن إسمه « أمين » ! !

أصبحت
موظفاً

قديماً ليوم بعد عشرة أيام فقط من تعييني في لندن فقد انضم إلى وارديتي مع « رينشارد » زميل جديد عيين اليوم « ريكمار لوبيز Ricmar Lopez » . . شاب فيبي عمره ٢١ سنة جاء من (مانيلا) يستقر هنا في لندن . فأصبحت أنا حكم فلعيني عنه بعشرة أيام رئيساً عليه . .

وإن كان من الصعب أن يحكم الإنسان على أخلاق شعب بأكمله من خلال فرد واحد من هذا الشعب . إلا أني لم أستطع أن أمنع نفسي من تكوين انطباعه سيئه على الأقل عن الفيليبين والذي تبرود جداً وشرير جداً ودلوعة ويتصرف باستهتار . قعد على الكرسي والتحصن ووضع رجلاً على رجل بألاطة شديدة جداً . ووضع في عينيه نظارة وفتحه كأنه يتحداني حين عرف أني لا أسبقه في العمل إلا بعشرة أيام فقط ، فقامت له بهدوء جداً إني أستطيع أن أتركه حتى يمر المدير الذي ويراه جالساً هكذا فيلقى به في الشارع فوراً ! ! . . فتلكأ قليلا ثم قام متباطئاً

عموما بالانطباعة السريعة أصبحت لا أحب الفيليبين من تحت رأس الأخ « ريكمار لوبيز » . الشهير بـ « ريك » ! !

خبر
أسعدني

جداً تلقيته الليلة في لتيبعون « سوسن » وصلت إلى لندن اليوم من القاهرة ! ! . . « سوسن » هذه ليست أختي وليست ابنتي ، وإنما هي مزيج من الإثنتين . . « سوسن » زميلة « بيسة » في كلية التجارة جامعة القاهرة وصديقتها الحميمة منذ كانتا تلميذتين في المدرسة الإبتدائية . والحب الذي يجمع بينهما لا يفوقه إلا الحب الذي يجمع بين « سوسن » وأختها

التوأم « سناء » الطالبة فى كلية الفنون التطبيقية والتى ولدت معها فى يوم واحد وفى « كيس » واحد نزلنا فيه معاً فى لحظة واحدة . . يعنى لم تسبق واحدة منهما لأخرى ولا بدقائق قليلة . . ولعل الحب الذى يمتلىء به قلب « سوسن » لكل الناس ، خصوصاً لتوأمتها « سناء » ، هو الذى جعلنى أحب « سوسن » نفسها . أتصور أنها هى نفسها الحب مجسداً . . وقصة مجىء « سوسن » إلى لندن هى أصدق تعبير ونموذج لهذا الحب الذى يجمع بين التوأمتين .

كانت « سوسن » أصلا هى صاحبة فكرة المجىء إلى لندن فى الصيف . لكن « سناء » تحمست للفكرة أكثر وشجعت فيها أكثر . فقررت التوأمتان أن تجيئا معاً إلى لندن . . جمعتا كل مدخراتهما وكل ما استطاعتا أن تحصلا عليه بالإقتراض والسلف من كل فرد من أفراد العائلة إبتداء من شلن حتى خمسة جنيهات . . لكن كل ما جمعتاه فى النهاية لم يكن يكفى إلا لثمن تذكرة سفر واحدة فقط . ومع أن « سوسن » هى صاحبة الفكرة أصلا ، إلا أنها حين رأت حماس « سناء » وانفعالها والآمال التى بنتها على سفرها إلى لندن ، تخلت « سوسن » بسماحة ورضى وطيبة وحب ، عن حقها فى السفر لـ « سناء » . وكانت سعيدة جداً لأن « سناء » قد حققت الحلم الذى تمنته أياماً وأسابيع وشهوراً . . وجاءت « سناء » إلى لندن وحيدة ، بدون تصريح عمل وبدون أى خبرة وبدون حاجة أبداً ، وبدون حتى معارف فى لندن . . لكنها كانت موفقة ، فاشتغلت فى عمل فى فترة الصبح ، ثم بحثت عن عمل آخر فى فترة المساء أيضاً ، وادخرت كل نفس ممكن من المرتبين ، ثم استلفت على مدخراتها من كل زميلاتها المصريات اللاتى يعملن معها ، حتى استطاعت فى النهاية أن تجمع ثمن تذكرة الطائرة لـ « سوسن » فى أقل من خمسة أسابيع . وجاءت « سوسن » إلى لندن اليوم ليجتمع شمل التوأمتين معاً مرة أخرى ! !

قصة حب كبيرة رائعة بين الأختين ، جعلتنى أفكر - مخلصاً - فى أن أتزوجهما معاً . . علشان يبقوا ضراير ! !

(٦)

كيف تشترى لندن . . بشلن !

المهلة

الممنوحة

لى وقدرها أسبوع واحد — لكى أجلو عن غرفة الصالون فى فندلا الشدى مستر « مالك » . كادت أن تنقضى ولم أكن محتاجاً إلى أن أطلب مد هذه المهلة . فأنا نفسى بعد يومين أو ثلاثة كنت قد قررت أنه لا بد وأن أترك هذا المكان حتى لو توسلوا هم إلى أن أبقى . . مستر « مالك » إشترط على أن أخلى الغرفة عندما يكون ينتظر ضيوفاً . . لكن الذى لم يقله لى هو أنه رجل إجتماعى وعشرى ويحب الناس . لذا فهو يستقبل ضيوفاً كل يوم !! . وعلى ذلك فعلى أن أكون خارج الغرفة كل يوم وأصوع فى الشوارع من الساعة الرابعة عصراً حتى بحين موعد عملى فى العاشرة ليلا . حتى يتمكن آل « مالك » من استقبال ضيوفهم . . لكنى اكتشفت بعد عدة أيام حين اضطررت مرة للعودة إلى الغرفة لأخذ شىء نسيته أن المسألة ليس فيها ضيوف ولا حاجة ، إنما هو يحب أن يتفرج على التليفزيون مع زوجته وأولاده . و بدلا من أن يكلف خاطره ويتعب نفسه وينقل التليفزيون من غرفتى إلى غرفته هو ويتركنى نائماً . فإن من الأسهل عليه طبعاً أن يقول لى إنه ينتظر ضيوفاً حتى أخرج أنا وأترك لهم الغرفة . .

وطلعت أنا اللى هندى مش مستر « مالك » ! !

لذا .

فعندما

شاءت ظروف أن ألتقي بالمستشار « إبراهيم رشدي » . وهو صحفي قديم من محرري جريدة (المصري) ربنا تاب عليه وشفاه من داء الصحافة وانتقل إلى سلك القضاء وأصبح الآن رئيس محكمة ، وكان يقضي إجازة سريعة في لندن . وأعرف منه أنه سيغادر لندن إلى جنيف بعد أيام قليلة ويترك عرفته التي يسكنها في الفيلا رقم ١٠٣ في نفس الشارع الذي أسكن فيه . وأطمئن إلى أنها ليست عرفة صالون ، فأبادر على الفور بتأجيرها .

عرفتي الجديدة ليس فيها تليفون أبيض ولا تليفزيون ملون ولا مكوة بالكهرباء ولا حاجة أبداً أكثر من عرفة نوم عادية بسيطة ، لكنها مريحة جداً وطريقه وواسعة ، وبتاعتي أنا وحدي لا يشاركني فيها صيوف مستر « علام » . . مستر « غلام الرسول » صاحب الفيلا بجديدة التي انتقلت إليها باكستاني مسلم ، زوجته شابة باكستانية حسناء إسمها « حفيظة » وطفلتهما إسمها « فوزية » ٥ سنوات — وابنهما إسمه « عمران » — ٦ شهور . . أسرة مسلمة جداً ومحافظة جداً . كانت شروطها مختلفة تماماً عن شروط مستر « مالك » الهندي . ألا أستقبل « صديقات » في غرفتي ، ألا أستعمل المطبخ ، ألا أحضر معي إلى البيت شيئاً يندرج تحت بند « المنكر » ، يعني لا خمر ولا لحم خنزير ووافقت على الشرطين الثاني والثالث على الفور . لأني لا أتعامل أصلاً مع المنكر بكل صوره . أما الشرط الأول . عدم استقبال « صديقات » في غرفتي ، فإن « بيسة » و « سوسن » كانتا معي حين ذهبت لاستئجار الغرفة ، وهما تناديان بـ « أونكل حسين » ولما كانت كلمة « أونكل » في اللغة الإنجليزية تعني « خال » أو « عم » . فقد فهم مستر ومسز « غلام »

أنى تحاطه . لذ م بتسر على « بيسة » و « سوس » و « سناء » شرط المنع مدا . .

أدفع فى غرفتى الجديدة نفس الإيجار الذى كنت أدفعه عند مستر « مانك » ٦ جنيهات إسترلينية فى الأسبوع ، يعنى حوالى ٢٦ جنيهاً إسترلينياً فى الشهر ، أو ما يساوى نحو ٤٤ جنيهاً مصرياً فى الشهر الواحد أدفعها فى مقابل غرفة واحدة!! . فى القاهرة أدفع ١٦ جنيهاً مصرياً طبعاً — إلا قليلا فى شقتى المكونة من ٦ غرف وصالة فى أكبر عمارة فى أهم ميادين القاهرة . .

يا حلوة يا بلدنا ، يارخيصة يا بلدنا .

« سوس »

برغم

سنواتها العشرين . إلا أنها مازالت تعيش فى سن الرابعة عشرة ، شكلا وموضوعاً . طفلة صغيرة الحجم دقيقة القد مرحة لاهية تمسك بمفاتيح الحياة بين أصابعها . لم تصطدم بأبواب الدنيا بعد . . تغضب وتتقمص لأقل سبب . ثم فى لحظة تشرق بتسامتها وضحكتها من بين دموعها . . فإذا ضحكت « سوسن » فقل يا رحمن يا رحيم : حمية و باظت جلدتها وفسد محبسها . . تظل تضحك وتضحك وتضحك دون أن تستطيع أن تتوقف حتى لو حاولت . ولا تتوقف إلا حين تكتشف فجأة أنها نسيت السبب الذى كانت تضحك من أجله . فتبدأ تضحك من جديد على عباطتها !! . .

كانت « سوسن » هى النموذج بالضبط الذى أريد أن أرى من خلاله إنطباعة الطالب المصرى أو الطالبة المصرية التى ترى أوروبا لأول مرة فى حياتها . . أوروبا ليست جديدة على أنا . . « بيسة » و « سناء » سبقتانى فى الوصول إلى لندن ، وحين لحقت بهما كانت الإنبهرة الأولى

التى أريده قد زالت تقريباً . أما «سوسن» فهى لسه طازة وكل ما تراه هنا هو عالم خرافى غريب مدهش بالنسبة إليها لذا فقد فرّغتُ نفسى أسبوعاً كاملا قضيته كله مع «سوسن» لكى أرى لندن من جديد ، بعينيها هى ! .

حسناء

زى

القمر . . لو القمر من نفسه قام وقال لى « اتفضلى » مش حاترضى تقعد مطرحه . . ولو رضيت تقعد مطرحه أكيد الدنيا حاتتور أكتر . . رأيتها تمشى — كالبدر المنور — مسافة لا تقل عن ٢٠٠ متر ذهاباً ، ومثلها إياباً ، لكى تلقى بورقة مكورة فى يدها فى سلة المهملات فى الشارع ، فقط لا غير !! ؛ مع أن حسناء كهذه لو كانت رمت الورقة فى الشارع لسعد الشارع لأنه تلقى شيئاً من يديها . . لكنهم هنا إلى هذا الحد يهتمون بالنظام وبالنظافة . . وعندنا فى مصر نرمى قشر الموز وقشر البطيخ من الشبابيك وينتفض السحاحيد من البلكونات فوق رؤوس الناس اللى ماشيين فى الشارع !! . .

الناس هنا منضبطون جداً ومنتظمون جداً ، مثل الساعات المضبوطة التى لا تقدم ولا تؤخر . . كل شىء عندهم بنظام ومواعيد . والنظام والمواعيد يراعيان بدقة تصل إلى حد الهوس . على محطة الأوتوبيس ، كل محطة بلا استثناء . تجد لوحة مكتوباً عليها أرقام الأوتوبيسات التى تقف عند هذه المحطة ، وتجد أيضاً براواز زجاجياً أنيقاً به لوحة أخرى مطبوعة تشرح خط سير كل أوتوبيس محطة محطة وشارع شارع ، والوقت — بالضبط — الذى يتحرك فيه من محطة البداية والذى يصل فيه إلى آخر الخط ، والوقت — بالدقيقة — الذى يتوقف فيه عند محطتك . . يعنى أنك لو اتفقت مع صديق لك على أن تلتقيا فى أوتوبيس واحد ،

ويركب هو من محطته وتركب أنت من محطتك . فإذا قيل لك إنه سيركب الأوتوبيس من محطته الساعة تسعة و٣ دقائق : فستعرف مقدماً أن هذا الأوتوبيس سوف يصل عندك على محطتك الساعة تسعة و١٧ دقيقة بالضبط . وكالساعة السويسرية الـ ٤٩ حجر المضبوطة جداً يدخل الأوتوبيس محطتك في الموعد المكتوب في اللوحة تماماً . للدرجة أنني أتصور أنه لو عمل حادثة ودهس أحداً في الطريق فلن يتوقف خشية أن يتأخر عليك عن موعده المكتوب في اللوحة ! . .

شيء آخر . أيام السبت لها مواعيد مختلفة عن باقي أيام الأسبوع : مكتوبة وحدها . أيام الأحد لها مواعيد أخرى مختلفة : مكتوبة . أيام الأجازات والأعياد عيد الفصح وعيد السوك وعيد الميلاد وعيد رأس السنة وعيد ما اعرفش إيه وإيه وإيه : لها مواعيد مختلفة مكتوبة. نظامهم يفرس لكن ذلك هو المطلوب ويارب يا رب يا رب، قبل أن أموت أرى بلدنا الطيبة وقد وصلت إلى واحد على مبيود من هذا النظام وهذا الإنضباط وهذه الدقة . .

صحاً هذه «حجة» قدام ربنا علشان أعيش ألف سنة أخرى !!

وحين
تكون

هناك إصلاحات تجرى لسبب ما لرصيف فيه محطة أوتوبيس ، بحيث إن الأوتوبيس لن يستطيع أن يقف أمام المحطة تماماً، فإنهم يحيطون المحطة بحبال عليها أعلام ملونة . ويضعون عليها لوحة تقول إن هذه المحطة معطلة مؤقتاً ، ثم يضعون محطة أخرى متنقلة أو متحركة على مقربة منها يقف عندها الأوتوبيس !! . . منتهى الدقة والنظام واحترام إنسانية الإنسان . . في مصر ممكن هيئة النقل العام تلغي خط أوتوبيس بحاله دون أن تفكر في أن تعمل إعلاناً صغيراً تقول فيه للناس إن هذا الخط إتلغى ،

ويمكن أن السواق نفسه يغير خط سير الأوتوبيس ليسير به أمام بيته فى حوارى الستية ويطلق الكلاكسات فرائه ترعرط وحمرته يفرحوا بيه . ويمكن أن الكمسارى يركب الأوتوبيس علشان يتزل يشترى صانتوتشاب كرشه ولحمه راس ما هو والأوتوبيس تستطيع أن تضبط ساعتك عليه الدقيقة وبالثانية . ولو حدثت ظروف طارئة وذلك نادر جداً ـ فسوف تجد على محطة الأوتوبيس الرئيسية لوحة مكتوباً عليها بوضوح وبأدب شديد جداً . « نظراً للعجز فى عدد السائقين الذى يعانيه مرفق مواصلات لندن ، فإننا نعتذر ومتأسفين جداً لأن الأوتوبيس خط رقم كذا الذى يقوم من محطة كذا الساعة ٨ ٤٦ مساء ، لن يقوم اليوم الأحد ١٦ سبتمبر ١٩٧٣ ، لكنه فى الغد ـ الإثنين ١٧ سبتمبر سوف يتحرك فى موعده . . متأسفين جداً » ! ! . .

وحين
يصل

الأوتوبيس أمام المحطة فإنه يتوقف عند بداية الطابور بانضباط كأن السائق قاسه بالمسطرة والمثلث : وينفتح البابان معاً : الأمامى للصعود والخلفى للنزول . لا أحد يجرى ليصعد من الباب الخلفى . ولا أحد من داخل الأوتوبيس يزاحم لينزل من الباب الأمامى . . الجميع يقفون فى طابور هادئ منتظم ، ويصعدون إلى الأوتوبيس بالدور ، واحداً بعد واحد . فيدفعون ثمن التذكرة ، فكة ، للسائق ، ويأخذون تذكرتهم من الآلة الصغيرة الموضوعة إلى جواره . وحكاية « خبط إنجليز » التى كنا نسمعها زمان : لا أحد يدفع لأحد ، ولا أحد يحلف برحمة أمه ما أنت دافع ، ولا اثنين يقعدوا يتعازموا على بعض ولكمسارى مطوع فى انتظار نهاية مفاوضاتهم .. قد تجد صديقين أو صديقتين أو فتى وفتاة واقفين على محطة الأوتوبيس يتبادلان القبلات ـ فى الطابور برضه ـ

فإذا جاء الأوتوبيس صعدا واحداً بعد آخر وكل منهما مجهز ثم تذكرته في إيده !! . .

ظريفة حدة الحكاية دي ؛ لو نعملوها عندنا في مصر ونارت كده لو بأثر رجعي ! ! . .

لا أحد يقوم لأحد في الأوتوبيس . لا ستات العواجيز ولا الشابات . ولا أحد يتطوع ليأخذ منهن الحقائب أو الأشياء التي يحملنها في أيديهن . . كل واحد مشغول بنفسه فقط . . لا أحد يتكلم مع أحد حتى ولو كانا معاً ولا أحد يهزر مع الآخر ولا يقول له آخر نكتة ولا يضحكوا ولا يعملوا حاجة أبداً . كأنهم واخدين حقن بنج قبل أن يركبوا الأوتوبيس مباشرة . أو كأن الكلام ممنوع في الأوتوبيسات بمرسوم ملكي أو كأن اللي حايتكلم في الأوتوبيس حايروح لنار . أقصى حاجة ممكن أن يعملوها في الأوتوبيس أو في المترو هي أن يقرأوا الصحف أو المجلات . يحلوا الكلمات المتقاطعة . يناموا . يتبادلون القبلات من سكات برضه . فقط لا غير ! . .

ومع ذلك ، في كل أوتوبيس تجد ثلاث مقاعد متجاورة مخصصة لكبار السن وأصحاب العاهات ومشوهي الحرب واللاتي يحملن أطفالا . . يعني حتى « الإنسانية » هنا بنظام !! . .

والأوتوبيس
هنا

درجة واحدة كده ، مفيش درجة أولى ودرجة ثانية ؛ كله بسعر واحد وبمستوى واحد . . وأوتوبيسات لندن فيها ألف يافطة وبعطة من الداخل ومن الخارج . . الأوتوبيس مليان إرشادات وتعليمات وكتابة - « التدخين ممنوع في الطابق الأسفل » . . « رن الجرس مرة واحدة من فضلك عندما تريد النزول » . . « النزول من الباب الخلفي » . . « إترك

التذاكر المستعملة فى هذا الصندوق » . . « الأشياء التى تفقدها أو تنساها فى الأوتوبيس تجدها أو تسأل عنها فى الحتة الفلانية أو فى رقم تليفون كذا وكذا » . « جهز الفكة وأنت طالع الأوتوبيس » . . « وسع السكة من الباب » . . « عيزين سائقين جدد » . « ما تعطاشى السائق علشان توصل فى ميعادك » . . ونقص يكتبوا فى الأوتوبيس : إغسل يديك قبل الأكل وبعده !! .

بقط بقط . ومع ذلك فالأوتوبيس نظيف جداً من الداخل ومن الخارج كأنه لسه واصل من المصنع الآن حالا . مفيش لوح زجاج مكسور ولاشباك مخلوع ولا أكرة ناقصة ولا كرسى جلده مقطوع بموس أو مطواة ، مفيش واحد شاطب على كلمه « عدم » وترك « الرجا . . . التدخين » ، مفيش حد بيرمى تذكرته على الأرض . مفيش حد بيقزقز لب وسوداني وملى الدنيا حواليه قشر . مفيش واحد شايل كيس فاكهه وعمال يقشر برتقال ويوستفندى وياكل ويشرّ فى الأرض ، مفيش واحد بيمص قصب ، مفيش واحد عامل هوسة وبيحكى غرامياته بصوت عال للى قاعد جنبه ، مفيش واحد واقف سادد الباب جنب السواق علشان يتزنق فى الستات والبنات اللى طالعين ، مفيش حد مستحف دمه وداخل قفية مع الكمسرى أو السواق . . مفيش حد يحاول يركب زيادة عن العدد المقرر للأوتوبيس ، وبمجرد أن يرفع السائق يده مشيراً بمعنى « كفاية » فذلك معناه أن أحداً لن يصعد بعد ذلك حتى لو كان أبوه مدير عموم أوتوبيسات لندن والأقاليم ! .

وهذه
الغرفة

الزجاجية الأنيقة هى — عقبالنا يارب — محطة أوتوبيس ؟ . فأغلب محطات الأوتوبيس هنا ، ولا أقول « كلها » حتى لا أكون كاذباً

وربنا يسحطني ويخليني « بورتر » على طول ، أغلبها عبارة عن غرف زجاجية مسقوفة وفيها ديان مفتوحان : مدخل ومخرج . حتى لا تغرقك الأمطار ولا يلسوعك برد الشتاء ولا تفحمك شمس الصيف وأنت واقف في انتظار الأوتوبيس . ناقص يعملوا فيها تدفئة بالليل في الشتاء !! ..

نفس أرقام الأوتوبيسات ونفس الخطوط ونفس المسارات ونفس المحطات هي هي تماماً كما رأيتها عند ما زرت لندن لأول مرة منذ ١٦ عاماً ، مش زي عندنا كل يوم والتاني يبدلوا ويغيروا أرقام الأوتوبيسات ومساراتها علشان يتوهوا الناس ، وأغلب الأوتوبيسات عندنا أصلا مش مكتوب عليها أرقام في مقدمتها وتركبها وإنت وبختك : يا راحت الجيزة يا راحت مصر الجديدة ! .

والذين حضروا لندن وعرفوها من قبل يصحون الوافدين الجدد بالتعامل مع أوتوبيسات لندن بدلا من الـ « أندرجراوند » أو المترو تحت الأرض .. لأنك من الأوتوبيس تستطيع أن تشاهد لندن وشوارع لندن ، ولكن في الـ « أندرجراوند » لن ترى شيئاً لأنه يسير في أنفاق تحت الأرض ، فلا ترى إلا النفق نفسه .. يعني المفروض إذا كنت تزور لندن للمرة الأولى أن تركب الـ « أندرجراوند » مرة واحدة أو مرتين فقط من باب العلم بالشيء ومشاهدة حاجة غريبة ليست موجودة عندنا في مصر ، ثم تتعامل مع الأوتوبيس دائماً بعد ذلك .. خصوصاً أنك تستطيع أن تستفيد بالتذكرة « الأبونيه » التي تصلح لمدة يوم واحد فقط وسعرها ٥٠ بنساً ، تركب بها أي أوتوبيس أحمر من وإلى أي مكان في لندن من الفجر حتى منتصف الليل .. يعني تفضل تتنطط من أوتوبيس لأوتوبيس وتتفرج على لندن كلها لغاية ما تزهق ..

بمناسبة أوتوبيسات لندن ، وهي من طابقين كما هو معروف : كنت و « سوسن » نقف على محطة الأوتوبيس ننتظره لنذهب إلى (ماربل آرش) ، فلما جاء أول أوتوبيس تقدمت « سوسن » لتركب فجذبتها من ذراعها

وقلت لها إن هذا الأوتوبيس لا يصعد إلى (ماربل آرش) . فنظرت إلى الطابق العلوى فى الأوتوبيس وهى تسأل مستفسرة : « ولا اللى فوق ؟ » ! !

الوافد
الجديد

الذى يرى لندن لأول مرة يبهر جداً بشكل الحياة « الغذائية » هنا . . أقفل الإنجليز الباب على أنفسهم تماماً بعد الحرب العظمى الثانية حتى يعيدوا بناء اقتصاد إنجلترا الذى خربته الحرب . إنغلقوا بشدة فكانت نتيجة هذا الإنغلاق فوائد وأضراراً . . الفوائد : رخاء معيشى رائع ومرتبات مرتفعة جداً بالنسبة لنا فى مصر والأضرار . الجهل المطلق بكل ما يدور خارج إنجلترا . . والذى يهمنا نحن كمصريين نعيش فى إنجلترا لفترة محدودة فى الوقت الحالى هى حكاية الرخاء المعيشى المهول والمرتبات المرتفعة وأثرهما علينا ، نفسياً ومادياً !

تدخل الـ « سوبر ماركت » هنا فتجد فيه كل شىء . . كل شىء فعلا ، وبوفرة . كل ما يخطر على بالك إبتداء من العلب المحفوظة حتى الوجبة الطازجة الجاهزة المعبأة فى علب ورقية صغيرة ، ما عليك إلا أن تضعها على النار دون أن تضيف عليها أى شىء آخر . لتسخنها فقط وتأكلها فوراً بعد بضع دقائق ، سواء كانت طبق خضار أو ورك بطة أو شرائح سمك مقلية أو مشوية أو غير ذلك . . كل ما تشتهيه الأنفس ويسر الأعين ويبهج معدتك ويثير شهيتك سوف تجده أمامك بأسعار رخيصة للغاية . . ما عليك إلا أن تسحب سلة مصنوعة من السلك إذا كنت ستشترى أشياء قليلة ، أو تدفع أمامك عربة تشبه عربات الأطفال مصنوعة من السلك أيضاً إذا كنت ستشترى أشياء كثيرة ، وتمد يدك لتأخذ كل ما تريد لتضعه فى سلتك أو عربتك ، بأرخص الأسعار : باكو الشاى الفاخر الربع رطل بـ ٦ بنسات فقط ، زجاجة الكوكاكولا

الكبيرة التي تكفي أسرة بأكملها ، ١١ بنساً . شريحة السمك المقلي التي تكفي قطعتان منها لتملأ بطنك . لوحده ، ٢ بنس فقط ، الفرحة الكاملة التي لم تكن تشكو في حياتها من الأنيميا ، ٢٦ بنساً . زجاجة عصير البرتقال الكبيرة التي تكفيك أسبوعاً ، ٨ بنسات : كيلو السكر ، ١٠ بنسات . باكو البسكويت به ٥٠ قطعة ، ٥ بنسات .. وو . كل شيء موجود ومتوفر وملء الدنيا برغم الملايين الثمانية الذين يعيشون في لندن والعدد المساوي لهم من السياح والأجانب الذين يتواجدون في لندن في ذلك الوقت من العام . ولتوفر كل شيء . فإنك لن تجد أحداً يأخذ أكثر من احتياجاته الفعلية . لن تجد أحداً يخزن فراخ في ثلاجته .. لن تجد أحداً مدكن كده علبة شاي أو كدا كيلو سكر ! .

ومع
ذلك

فإنك لن تستطيع أن تمنع نفسك من الدهشة للتناقض الغريب جداً في موضوع الأسعار في لندن : فبقدر ما تجد أشياء كثيرة رخيصة نسبياً وبشكل عام . فإنك في الوقت نفسه سوف تجد أشياء أخرى أسعارها غريبة جداً وتستوقف نظراء بشدة : المشط الصغير اللي الباعين عندنا بينادوا ويهاتوا ويدلوا عليه في الشوارع ويطاردونك به في الترام والأوتوبيس ، ويكادوا يتحايلوا عليك لكي تشتريه « بساغ يابيه » . هنا في لندن ، ١٥ بنساً ، أو ما يساوي ٢٥ قرشاً مصرياً .. رباط الجزمة ، ٥ بنسات أو ما يساوي ٨ قروش مصرية . عنقود العنب الذي لا يشبع طفلاً صغيراً في مصر يباع هنا بالميزان ، ٢٦ بنساً أو بحوالي ٤٥ قرشاً مصرياً .. يكتبون على العنب مثلا — سعر الرطل ، ثم يبيعونه بالعنقود : يزنون العنقود الذي تختاره ليروا يطلع قد إيه من الرطل ويحسبوه ، ويسألونك :

والعنقود ده والا ده يكفيك؟» واللى تحتاره يتوزن وتدفع ثمنه وتتصل . .
كيلو العنب عندنا فى مصر ٢ رطل وربع – يكفى أسرة بأكملها ويباع
بـ٦ قروش فى الموسم ؟ :

باقى أنواع الفاكهة تباع بالواحدة : التفاحة بـ٥بنسات . . الخوخة
بـ ٥ بنسات . . البرقوق إذا كان كبير الحجم فبالواحدة وبـ ٥ بنسات ؛
وإذا كان صغيراً فوحدة الميزان هى ربع الرطل بـ١٥ بنساً . . البطيخ
والشمام يباع بـ(الشقة) أو ربع البطيخة ملفوفة فى ورق سلوفان ومكتوب
عليها سعرها فى (تيكيت) صغير مطبوع . . أربعة أصابع موز بـ ١٨
بنساً . . كل حاجة سعرها مطبوع عليها ولا أحد يغش ولا أحد يخم
ولا أحد يصبح لك فى قاع الكيس فاكهة معطوبة ويتركك تنوى ما أنت
عايز وفى الآخر يخملك ويغير الكيس ! .

دخلت (سوبر ماركت) فوجدت الكمثرى مكتوب عليها ٣٢ بنسا
ففرحت وقلت آخذ ربع كيلو . . طلبت الربع فطلع كمثراية واحدة
فقط ، واكتشفت أن الإنجليز يتعاملون بالرطل وليس بالكيلو ، وعلى
هذا الأساس فكيلو الكمثرى يساوى ٧٢ بنساً أو حوالى ١١٥ قرشاً مصرياً
. . فرحت فى الأول ثم وجدت نفسى أخذت الكمثراية الواحدة بما يساوى
١٤قرشاً مصرياً . . !!

وكما أكتب عادة بعد كل رحلة من رحلاتى فى أوروبا : ياحلوة
يا بلدنا يا رخيصة يا بلدنا ياللى كلك خير وبركة يا بلدنا . . بس لو
مكانشى إفيه شوية حاجات صغيرة ناقصة ، زى الزيت والسمن والعدس
والشاى والسكر والكبريت والصابون ووو . . وفراخ الجمعية !!

لكن
أرخص

شيء في لندن كلها هو . الشوكولاتة . الشوكولاتة الفاخرة التي ما زال طعمها في فمي حتى الآن . . في خلال الـ ١٢ يوماً الأولى في لندن - أيام البؤس والصعلكة والبحث عن عمل كنا عايشين على الشوكولاتة : بنفطر ونتعدى ونتعشى شوكولاتة مش عز أو رفاهية لا سمح الله ، لكن فقر وقصر دين . ولأن الشوكولاتة الفاخرة التي تباع بالشيء الفلاني في شارع شورف في القاهرة هي أرخص شيء ممكن في لندن . بشلن تحصل على قالب شوكولاتة مهول يملأ فمك بهجة واستمتاعاً ويملأ بطنك كوجبة كاملة ويملأ عينك الفارغة . . « الكادبوري » و « النستلة » وعشرات من الأصناف غيرهما . . لدرجة أننا كنا نأكل شوكولاتة طول النهار كالمساريع المصحوبين الذين كانوا محرومين من حاجة وفجأة وجدوها أمامهم مرطرطة وبالكوم تضع الشلن في ماكينة الشوكولاتة في محطات المترو « أندرجراوند » وتسحب الدرج فتخرج لك قطعة الشوكولاتة المرسومة صورتها فوق الدرج . وفي المحلات قوالب الشوكولاتة الضخمة التي تزن القطعة الواحدة منها رطلا أو أكثر ثمنها لا يزيد كثيراً عن ٩ بنسات صعوداً إلى ١٣ بنساً . إبنتي « نهلة » بتموت في الشوكولاتة ولديها الإستعداد لأن تظل طول عمرها لا تأكل شيئاً إلا الشوكولاتة . . أفكر في أن أرسل لأحضرها إلى لندن وأتركها في محل شوكولاتة ، وأفوت عليها كل يوم خميس آخذها أفسحها شوية وأرجعها تاني . .

وكل
شيء

في لندن بشلن تستطيع أن تشتري إنجلترا كلها بالشلن بتاعك - ماكينة شوكولاتة تخرج لك قالب شوكولاتة مفتخر بشلن . . ماكينة المثلجات والمشروبات الساخنة تخرج لك ما تريد بأقل من شلن . ماكينة السجاير تخرج لك علبة من الصنف المطلوب بأربعة أو بخمسة شلن . فقط اضغط على الزر . عداد الكهرباء يعمل ٤ساعات بشلن . عداد البوتاجاز — أيضاً يعمل بشلن . . . حتى طوابع البريد لها ماكينة تضع فيها الشلن فيخرج لك عدد من الطوابع قيمتها شلن . .

بشلن تأخذ حمام ساخن . بشلن تشتري تفاحة واحدة وبشلن تشتري خوخاية واحدة . . بثلاثة شلن تغسل ملابسك وبشلن تجففها وبعد كده تحتاس تكويها فين . . فليس في لندن محلات المكوجية ولا صبي المكوجي الرزل الذي يضرب عليك الجرس في الساعة الرابعة عصراً فيفزعك ويوقظك من عز النوم ! .

الماكينة التي تضغط على . . فيها مكتوب عليه إسم المشروب الذي تريده . ساخناً أو مثلجاً قهوة سادة أو قهوة بالسكر . شاي بالسكر وشاي بدون سكر . كوكاكولا أو فانتا . كاكاو ساخن إلخ . . تضغط على الزر وتنتظر قليلا ثم تمد يدك لتفتح طاقة زجاجية صغيرة لتأخذ منها كوباً من البلاستيك فيه المشروب الذي طلبته ونفس الماكينة لكن بشكل مختلف قليلا . تضغط على الزر فتخرج لك زجاجة ويسكي أو كونياك أو بيرة أو فودكا أو براندي إلى آخر هذه القائمة من أنواع « المسكر » . . زجاجة صغيرة جداً بها عبوة كأس واحد فقط . منتهى النظام والدقة وتوفير الوقت والجهد في كل شيء . . لو عملوا مثل هذه الماكينات عندنا في مصر فقطعاً حايعملوها تنزل عصير قصب وسوبيا وبية طرشي وفطير مشلتت وصاندوتشات فول وطعمية ! .

ومع كل

هذه التسهيلات رائعة وشكل الحياة السهلة المنظمة جداً في تجدها في لندن وفي كل مكان آخر في أوروبا . فإن لندن ليست جنة ولا عالماً مفروشاً بالورود والأزهار والرياحين .. فهي مثلها مثل أي بلد في العالم فيها الطيب وفيها الخبيث . فيها الجميل وفيها القبيح . فيها الناس الكويسين وفيها الناس اللي عايزين قطع رقبتهم . وفيها الشالين والقصوص والحراميه والشحاتين . لكن حتى هؤلاء فهم شحاتين مودرن بما يناسب العصر الذي نعيش فيه . الشحاتين الهيبيز الذين يملأون أنفاق محطات المترو (الأندرجراوند) يعزفون على آلاتهم الموسيقية ويتركون صناديقهم مفتوحة إلى جوارهم ليلقي إليهم المارة بسنتهم في الصناديق المفتوحة . لم أر في صندوق أي واحد منهم قطعة نقود قيمتها أكثر من ٢ بنس . يعني قرشين صاغ .. أعطيت واحداً من هؤلاء الهيبيز الشحاتين قطعة من فئة نصف بنس (تعريفة) مساهمة مني في زيادة إفساده وتنويطه ولكي يستمر « هيبي » كما هو ولا يعود إلى دراسته في الجامعة

وفي أنفاق المترو أيضاً تجد شحاتين الكبريت مثل عندنا بالضبط . تلك السيدة الخواجاية – التي تجلس على قرافيصها الإنجليزية في محطة الـ « أندرجراوند » وهي تمسك في يدها بقارورة كبريت مفتوحة وناقصة علبة أو علبتين . والمفروض أنك تضع ما تجود به نفسك ولا تأخذ علبة الكبريت . كنت ناوي « أجود » لكن رحمت وقرت هذه « الجوده » لما أرجع مصر وأعطيها لواحدة شحاتة بلدي شايلة قارورة كبريت هلب . هو حنا حنلاقي للشحاتين عملة صعبة كمان ؟ ! .

والناس

الإنجليز

هنا بشكل عام مهذبين للغاية . أتصور أن أدبهم يفوق الأدب الياباني . . الواحد هنا تدوس على قدمه في الشارع أو في المترو فيعتذر لك هو قبل أن تعتذر له أنت ! . . يحطه كتف يوجه أو يجيه الأرض ، وهو بيقع يعتذر لك . تسأل أي واحد أو واحدة ماشيين في الشارع مهما كان يبدو عليهم أنهم مستعجلين - فيقفون ليرشدوك ويداولك ويصفون لك الطريق بعد وأده . ويتحملوا بطء مهملك للغتهم الإنجليزية . وتمكن كمان يتمشوا معاك شوية علشان يوصلوك . كل ده والإبتسامة الرقيقة على وجوههم الإنجليزية الحمراء . . قليلو الأدب هنا هم فقط — للدهشة الشديدة - الزنوج الإنجليز . بالرغم من أنه لا يوجد في إنجلترا أي مظهر من مظاهر التفرقة العنصرية ، لدرجة أنني بدأت أفقد عصبي عليهم وعلى قضيتهم . الأغرب من ذلك أن الزنوج هنا يحترمون البيض جداً ولا يحترمون الملونين اللي زيهم . .

على فكرة أنا هنا أعتبر ملون ! .

وكلمة « من فضلك » تقابلك ١٠٠٠ مرة في اليوم . في كل مكان وفي كل شارع وفي كل محل : من فضلك إكتب إسمك هنا ، من فضلك إقرأ هذا الإعلان ، من فضلك التدخين ممنوع . من فضلك إستعمل الباب الآخر ، من فضلك ممنوع دخول الكلاب . . من فضلك من فضلك من فضلك . . حتى أرغموا على أن نتعامل بنفس الأدب . . وبالشكل ده تكون قد تحققت الحكمة العربية التي تقول : « سافر في الأسفار خمس فوائد » ، وأهم هذه الفوائد قطعاً هو : « بدل السفر » ! !

و« العمل »

هنا

في إحترا شيء محترم جداً . . كل من يعمل فهو محترم مهما كان نوع عمله أو أهميته . . وتساوى احترام « عمل » عمال النظافة وعمال الحرى مع احترام « عمل » رئيس الوزراء . . وطالما أنك تؤدى واجبات عملك على الوجه الأكمل فأنت محترم . وحين تهمل في عملك فإنهم يرفدونك فوراً مهما كنت طريفاً ودمك خفيف وحبيوة . يرفدونك باحترام أيضاً . الطرف والحس وحمه الدم حاجة والشغل حاجه تانية . .

اليوم صباحاً كنت أدفع أمامى العربة الصغيرة التى تضع عليها حقائب النزلاء ، وأنزل بها من الطابق الثانى فى الفندق وعليها ٤ حقائب كبيرة . وخشيت أن تقع واحدة منها من فوق العربة وأنا أنزل بها على السلم . فوضعتها جانباً حتى أعود مرة أخرى لأحملها . وكان مستر « بشورتشيك K Pechartscheck » الألمانى مساعد المدير يمر إلى جوارى فى ذلك الوقت ، فسألنى « إنت عايز تنزل الشنطة دى تحت ؟ » قلت « سأرجع لأخذها حالا » فبساطة جداً لا تصدر عندنا من موظف درجة خمستعشر ، مد يده وحمل الحقيبة ونزل بها إلى الطابق الأسفل ! ! . .

وتعاسة المدرين . الفندق هنا به ٣٦٠ غرفة وله مدير و ٣ مديرين مساعدين . ليس لواحد منهم سكرتيرة ولا سكرتارية ولا مدير مكتب ولا ١٠ تليفونات بنمر مباشرة ولا لمبة حمراء ، ولا حتى حجرة مكتب لوحده . . وتدخل حجرة مكتب مساعدى المدير فتجدها مترين × مترين بالضبط وبها مكتبان خشبيان متواجهان ومتلاصقان ، وحتى ليس على أى منهما بنورة ، وعليهما معاً ٣ تليفونات كل واحد منها له استعمال خاص لكن ليس من بينها واحد بنمرة خاصة ، وعلى كل مكتب آلة كاتبة صغيرة يكتب عليها المدير المساعد بنفسه ما يريده ، يعنى حتى لا توجد

فتاة تيبست تخدم المدير ولا المديرين المساعدين ، كل واحد يعمل شغله بإيده . . ويفترض أن هذه غرفة مكتب المديرين المساعدين الثلاثة معاً ، على اعتبار أنهم لا يجتمعون على الإطلاق فى وقت واحد ، لأن كل واحد منهم يعمل وردية واحدة مثله مثل مئات العاملين فى الفندق : واحد فترة صباح وواحد فترة العصر والمساء والثالث يسهر طول الليل . . فإذا تصادف واجتمعوا على يجمع منهم أكثر من ٢ فى وقت واحد . لذا وضعوا فى الغرفة مكتبين فقط وليس ثلاثة . . فالبساطة عنوان كل شيء فى هذا الفندق . الفخامة والفخفخة للسياح فقط وللأجانب الذين يدفعون .

حدث أن جاء رجال البوليس الإنجليزى إلى الفندق ذات ليلة فى الثانية صباحاً وقبضوا على الطباخ وعامل ماكينة غسيل الأطباق فى الكافيتيريا وهم هنديان — لاتهامهم فى حادث سرقة سيارة . وبدا أصبحت الكافيتيريا بدون طباخ وبدون أحد يعمل على ماكينة غسيل الأطباق ، وعلى الفور لبست « دوريا » الحسناء مساعدة مديرة الكافيتيريا مريلة الطباخ ودخلت المطبخ لتطبخ بازائش حتى الصباح . أما « بيجى » المديرة فقد تولت بنفسها غسيل الأطباق طول الليل . .

مسز « مالك » الهندية التى كنت أسكن عندها فى بداية عملى هى : ست موظفة قد الدنيا ، تمتلك فيلا بسيارة خاصة ، ومع ذلك فهى فى وقت فراغها تعمل « دلالة » ! . . عندها عدد من الكتالوجات تعرضه عليك لتختار منها ما تريد ، وفى اليوم التالى تكون طلباتك عندك بنفس أسعارها المطبوعة فى الكتالوج . هى تشتريها بالتخفيض وتبيعها لك بسعرها الرسمى ، وتكسب الفرق . .

« العمل » هنا محترم مهما كان متواضعاً وبسيطاً . « أنت تعمل إذن فأنت محترم » مهما كان نوع عملك . . حتى لو كنت كناساً فى بلدية لندن . !

صعب

جداً

أن تتصور أنه من الممكن أن ننقل نفس النظام والدقة اللذين يتمتع بهما الشعب الإنجليزي إلى مصر في خلال خمسة أو عشرة أعوام هم شعب تربى على النظام والنظافة واحترام الآخرين . . ولدوا بها وفتحوا عيونهم على الدنيا وهم أطفال فوجدوا كل شيء يسير في الساعة فانتظموا مع انتظامها . . حتى الصبيان يقعون كل من يريدون وعلى راحتهم على الأخر . لكن ترصه بنظام . لن تجد واحداً منهم يصعد الأوتوبيس قبل دوره ولا يتخطى الطابور أبداً « هيني » صحيح لكن على نفسه فقط . هو حر يعمل في نفسه ما يشاء لكن دون أن يعتدي على حرية الآخرين أو حقوق الآخرين .

وبمناسبة الطابور . فكل شيء هنا بالطابور إبتداء من الطابور على شباك اللحم في محلات إلى الطابور على محطات الأوتوبيس والأندرجراوند نهاية الطابور على أبواب المطاعم والرستورانات . . ولا تندهش إذا رأيت حسناء شيك بفستان سواريه عريان أو بالطو فرو بمناسبة وقدره ورجلا أنيقاً محمماً بملابس لسهره ، واقفين في الطابور على باب مطعم أو رستوران في انتظار أن تخلو مائدة فيدخلان لتناول العشاء ! ! ؟ .

وبمناسبة الطابور أيضاً . فهناك تشنيعة إنجليزية تقال عن شدة تمسك الإنجليز بأن يكون كل شيء بالطابور التشنيعة تقول أن إنجليزياً ذهب يشتري شيئاً ما من محل فلم يجد طابوراً . فرفضت البائعة أن تبيع له ما يريده إلا إذا وقف طابور ! ! وتشنيعة أخرى ألعن - تقول أن الرجل الإنجليزي يقف على باب غرفة نوم زوجته في الطابور ! !

(٧)

□ معالى الوزير يغسل الصحون ! □

سعيد

جداً !

بغرفتى الجديدة فى الفيلا رقم ١٠٣ « واى آفينيو » فى حى « كرانفورد ». الجو فى البيت هادئ جداً بعكس الجو فى غرفتى القديمة فى بيت مستر « مالك » الهندى ، وبرغم وجود طفلين صغيرين ، لكنهما طفلان هادئان ظريفان وديعان لا يسببان لى أى إزعاج .. وأى إزعاج يمكن تسببه دسة أطفال فى بيت يقع أصلا عند بداية أحد ممرات الهبوط فى مطار « هيثرو » ، حيث تزأر فوق رأسى طائرة كل ٣٠ ثانية ، يعنى ٢٨٨٠ طائرة صاعدة أو هابطة على امتداد اليوم كله ولو كانت استائر مرفوعة عن نافذة غرفتى لملأت اتساع النافذة بعرضها طائرة كل ٣٠ ثانية بلا انقطاع طول ال ٢٤ ساعة .. ولأنها تكون على وشك أن تلمس بعجلاتها الأرض فعلا بعد بيتى مباشرة ، فإننى قد وضعت فى اعتبارى منذ الآن أنى لن أندهش لو حدث ووجدت عجلات طائرة نازلة تشاركنى غرفتى فى أى لحظة من خلال السقف فقط كل ما أرجوه هو ألا أكون موجوداً فى البيت وقتها ! !

ولو كنت فى مكان مفتوح أو الشارع فى « كرانفورد » ، ورأيت الطائرات فوق رأسك تماماً وهى نازلة منقضة على البيوت تكاد عجلاتها تلامس الأسطح ، لتصورتها وحشاً خرافياً هائل الحجم سيسحق هذه

البيوت الصغيرة أو على الأقل يحلم فوقها ويتخذ منها عشا ! ! . .

الغريب أنني في البداية كنت أحمل هم السكنى في « كرانفورد » على اعتبار أنني لن أستطيع أن أنام من دوشة الطائرات ، لكنني ما لبثت أن تعودت عليها وعلى أن أنام على أصواتها المزعجة ، وإذا حدث لسبب من الأسباب أن انقطع صوت الطائرات لفترة قصيرة وأنا نائم فإنني كنت أستيقظ مزعجاً وأنا أشعر كأن شيئاً يحلم فوق قلبي ، كأنني في سفينة هرب أهلها وتركوها هادئة تماماً تغرق في سكون ، وتركوني أنا فيها وحيداً نائماً أغرق معها . . الأغرب من ذلك أنني سهولة جداً كنت أستطيع أن أنام على زئير الطائرات لا أريد أن أستعمل كلمة « أزيز » وأفيق على الفور إذا سمعت صوت بكاء طفل رضيع في البيت المجاور لي!! . .

توسطت

للبنات

الثلاث : « بيسه » و « سوسن » و « سناء » ليعملن جرسونات في الكافيتيريا في نفس الفندق الذي أعمل فيه « سنتر إيربورت هوتيل » . . « سوسن » كانت قد اكتفت بأسبوع سياحة وفسحة شاهدت فيه معظم معالم لندن ، و « بيسة » و « سناء » كانت كل منهما تعمل في فندق مختلف متباعدين في لندن . « بيجي » الأيرلندية الشمطاء مديرة الكافيتيريا وافقت على أن تستخدم « سوسن » و « سناء » معاً حين قلت لها إنني خالهما ، وبعدهما بأيام جاءت « بيسة » لتنضم إليهما على اعتبار أنني خالها أيضاً . . ابتسمت « بيجي » ابتسامتها التي تستعملها كابتسامة وتكشيرة في الوقت نفسه ، وقالت : « مستر قدري . . يبدو أنك خال كل البنات المصريات اللاتي في لندن » ! !

وهكذا التأم أخيراً شمل الثلاثي « بيسة » و « سوسن » و « سناء » ليعملن في مكان واحد . . إثنتين منهما توأمتان ، والثالثة « بيسة » تكاد

تكون توأمتهما الثالثة . فهي أصغر منهما . ٤٨ ساعة فقط .

خاطر غريب يمتلكني كلما قدمت لأحد خدمة ، أو توسطت له في أمر كبير . أتوقع الغدر والمكران والإساءة ، بعض الناس التي قدمت الجميل .. لذا عودت نفسي من زمن على أن أتعمد هروباً إلى أكبر مسافة ممكنة عن أقدم له خدمة ما .

على أي حال ربما يستر !

أصبحنا

الآن

تمثل جالية مصرية صغيرة تعمل في المصنع سبعة ٤ بنات مصريات يعملن هنا منذ نحو سنتين « نورا » و « عقيلة » و « سعاد » و « سوسو » يعملن في ترتيب غرف النزلاء + « بيسة » و « سوسن » و « سناء » و « مين » و « سمير » جرسونات في الكافيتريا + أنا في الـ « بورتر » .. عشرة مصريين في مكان واحد قطعاً يمثلون نسبة لا بأس بها في عدد العاملين

إنضم إليه الليلة مصريان آخران . الأول نموذج عربي . والثاني نموذج أغرب . وأطرف :

فتى سكندري يقول أنه طالب في معهد بني سويف التجاري .. قصير ومشاكس وشعره مدلل على قفاه وشكله عربي جداً ويتصرف بطريقة صُنّع الإسكندرية .. سمعت « سوسن » إسمه لأول مرة : « كالح » ، فرن في أذنيها خطأ « ناجح » ، فلما نفرت من شكله واستغربت جميعاً تصرفاته الجلفة الفجة ، أطلقت « سوسن » عليه إسم « قسدان » . عكس « ناجح » . والتصق به هذا الإسم وانتشر بيننا كلنا لا نناديه إلا به !! ..

النموذج الثاني الأستاذ « جبر » مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم .. هنا في لندن مع ولديه الصغيرين « محمد » ١٦ سنة ، و « هاني » ١٤ سنة ، والأب نفسه قرب الستين .. دفع

الأستاذ « فرج » و « عادل محمدين » ٦٠ جنيهاً إسترلينياً لكي يعمل الولدان في الشيراتون : لكن « عادل محمدين » شعر الولدين ورفض تشغيل لأب نفسه حتى لو دفع نفس المرسوم » ، لأنه — أي الأستاذ « فرج » رجل محترم وكبارة وصحته على قده واعمل في لندن يحتاج إلى شباب وعافية ، فجاء الأستاذ « فرج » ليعمل معنا هنا في فندق « ستر بريبورت هوتيل » على ماكينة غسيل الأطباق في الكافيتيريا . « سوسن » « عامله الكبيرة الشقية التي لا تترك أحداً في حاله أبداً فرحت تفتش المواد الإجتماعية جداً وأطلقت عليه لقب « وزير التربية والتعليم » ! ! .

وأصبح الأستاذ « فرج » بينما هو « الوزير » . و « الوزير راح الوزير جه » . معالي الوزير يغسل الأطباق معالي الوزير ما غسلش المعالق . « وزير الوزير الوزير » .

وتعب « معالي الوزير » جداً من أول ليلة بعد ٣ ساعات فقط في غسيل الأطباق . . لم يستطع لا هو ولا صحته — أن يحتملا المجهود البدني الشاق في غسيل الصحون والأطباق والفناجين والملاعق والشوك والسكاكين والخلل والطاسات وباقي أدوات المطبخ ، ثم تجفيف ذلك كله . . ليس ذلك فقط ، بل أيضاً تنظيف المطبخ ومسح بلاط الكافيتيريا كله بالممسحة والجردل ، ثم تنظيفها بالمكنسة الكهربائية عدة مرات خلال الليل . . ثم تحتمل صحة مفتش المواد الإجتماعية ذلك كله وكاد أن ينهار ، فتوكأ على إبنه إلى صالة التليفزيون بالفندق لكي يستريح قليلا . لكن « بيجي » الأيرلندية الشمطاء مديرة الكافيتيريا لاحظت غيابه فأرسلت تبحث عنه ، لكن الإبن الصغير المتحمس لأبيه المتعب ذهب بشجاعة ليقول لـ « بيجي » إنه سوف يقوم بالعمل بدلا من أبيه . . وكان ذلك شيئاً مضحكاً جداً طبعاً في نظر الخواجات الأب يتوظف والإبن هو الذي يعمل . . طيب كان الأسهل أن الإبن هو الذي يعين من الأول وخلاص !! .

ويشكو لى الأستاذ « فرج » أنه لا سنه ولا صحته ولا مركزه يسمح له بهذه البهدلة ، وأنه يريد عملاً مريحاً يتناسب مع سنه ومركزه ووضعه الإجتماعى — فى مصر فهو ، على حد تعبيره . « يدخل المدرسة من دون يهزّها هزّ » ؛ لأنه بالإضافة إلى كونه مفتش مواد إجتماعية فهو يقوم أيضاً بمهمة مفتش تحقيقات أحياناً لذا فهو يريد أن يعمل فى قسم (الإستقبال) فى الفندق ، ويطلب منى أن أتوسط له عند مدير الفندق لكى يسمح له بالعمل فى (الإستقبال) !! . ووجدت نفسى مضطراً ، لأن أشرح لمفتش المواد الاجتماعية أن قسم (الإستقبال) بالفنادق لا يعمل فيه إلا الإنجليز ، وقلة جداً ممن لغتهم الإنجليزية ممتازة جداً وعالية جداً . .

وفى الليلة التالية كان « معالى الوزير » قد انتهى تماماً . فرفع الراية البيضاء وأعلن استسلامه ، وأخذ حسابه عن اليومين اللذين اشتغلهما . وانصرف ليبحث فى عاصمة بلاد الإنجليز عن وظيفة أخرى غير غسيل الأطباق تناسب مفتش المواد الاجتماعية ! .

يلفت

نظرى

بشدة صغر سن العاملين والعاملات فى الفندق : أغلبهم يدور فى نطاق العشرينات ، سواء فى (الإستقبال) أو فى الكافيتيريا أو فى الـ « بورترز » . . قطعاً هذه هى طريقة الإنجليز فى تخريج فندقيين ممتازين يربونهم منذ صغرهم ويرقونهم بسرعة ويحملونهم المسئوليات من بدرى وحدهم . لدرجة أن المديرين المساعدين فى الفندق ، ومستر « سكاليس » المدير العام نفسه ، يدورون حول الأربعين . .

حدث أمامى الليلة درس رائع فى العمل على الطريقة الإنجليزية يعتبر درساً فى الفندقة وأعمال الفنادق : كان الفندق « فول آب » ممتلئاً

على الآخر وليس فيه غرفة واحدة خالية من غرفه الـ ٣٦٠ ، حين اتصلت من مطار « هيثرو » فى الساعة الثانية صباحاً سيدة تطلب غرفة تقضى فيها الساعات الباقية من الليلة . ولم يكن أمام « كريس » موظف الإستقبال الشاب إلا هذا الحل : الغرفة رقم ٨٠١ يقيم فيها بشكل دائم مستر « ت . ليتل چون T. Little John » المدير المساعد للفندق ، لكن مستر « ليتل چون » يبيت الليلة خارج الفندق . وليس هناك أى احتمال لعودته الليلة ؛ لذا بسطة جداً - ذهب « كريس » و « ريتشارد » ومشرفة الغرف - الـ « تشامبر ميد » المسهرة المسئولة عن ترتيب وتنظيف الغرف ، ذهبوا ليخلوا غرفة المدير المساعد وينقلوا ملابسه وبدله وقمصانه وأحذيته وأوراقه وكل متعلقاته . إلى غرفة مكتبه فى الفندق حتى الصباح . وهكذا لم يرفض الفندق طلباً لزبونة ولا ردها عن بابه فيتركها تذهب إلى فندق آخر ، وكسب سبعة جنيهات إسترلينيه مقابل عدة ساعات قليلة تطير بعدها السيدة مرة أخرى بطائرة الصباح . . ولن يغضب مستر « ليتل چون » إذا « باتت ملابسه » فى غرفة مكتبه بدلا من غرفة نومه !! .

هكذا الإحساس بالمسئولية ، هكذا القدرة على التصرف ، هكذا مرونة الحركة وسرعتها ، هكذا الشغل وإلا فلا . .

وحكاية

أخرى :

نزلت أنا و « سوسن » و « بيسة » اليوم صباحاً إلى لندن لنشاهد عملية تغيير الحرس الملكى أمام قصر الملكة فى باكنجهام ، وأخذت معى الكاميرا لالتقاط بعض الصور لحرس الملكة الشهير بملابسهم التقليدية الغريبة . . منذ خروجنا من البيت أصرت « سوسن » على أن تحمل هى الكاميرا وتعلقها فى كتفها لتبدو كالسائحات . . ركبنا الأوتوبيس الأخضر الـ « جرين لاين » لننزل منه فى لندن بعد ساعة إلا ربعاً ،

وتمشينا إلى قصر باكنجهام : وحين أردت أن أبدأ التصوير إكتشفت « سوسن » لحظتها فقط أنها : نسيت الكاميرا فى الأوتوبيس ! ! . . منك لله يا سوسن يابنت عثمان ، ياه ده كلام ؟ ! . .

وكنت قد نسيت رقم الأوتوبيس نفسه أصلا ، فأردت إبلاغ البوليس ، لكننى لم أجد أى عسكرى بوليس إنجليزى قريب يدلنى ماذا أفعل . فمشينا نبحث عن عسكرى بوليس حتى وجدنا أنفسنا بالصدفة أمام كشك الأوتوبيس الأخضر الرئيسى فى محطة فيكتوريا ، فدخلت لأبلغ المفتشين الذين وجدتهم فيه . . ولست أدرى هل لأننى قلت لهم أننى صحفى أو لأنهم يتصرفون هكذا عادة مع كل الناس . . وإن كنت أتصور أنهم يتصرفون هكذا مع الجميع فعلا . فقد رأيت عينىّ أن المفتش قد عطل الطابور الواقف أمامه ما يقرب من نصف ساعة كاملة ليستمع إلى شكوى سيدة زنجية عجوز من أنها قطعت تذكرة فى الليلة الماضية من هذا الكشك لكن اتضح أن الموظف الذى قطع لها التذكرة أخطأ فى ذكر موعد آخر أوتوبيس لها ، وأن آخر أوتوبيس كان قد مر فعلا قبل أن تقطع التذكرة . . واضطرت إلى أن تركب تاكسى إلى بيتها كلفها جنيهاً كاملا . واهتم المفتش بشكواها وأقرها عليها ، ورفع سماعة التليفون واتصل بجهة ما ، ثم وضع السماعة وعلى الفور قدم للسيدة الزنجية ٣ تذاكر جديدة تستعملها فى أى وقت تشاء ، وقدم لها أيضاً أجر التاكسى الذى دفعته ، وهو « يرجوها » أن تقبل « أسف واعتذار » شركة الأوتوبيس ! ! . .

المهم :

إهتم

الرجل بلاغى عن فقدى الكاميرا فى الأوتوبيس كما لو أننى كنت قد أبلغت الأمر إلى (سكوتلنديارد) ، أو كأننى قد فقدت حقيبة بها طن من

السبائك الذهبية . . فتوجه مع اثنين من مساعديه إلى خريطة كبيرة على على الجدار تبين خط سير الأوتوبيس . بعد أن عرف مني الموعد بالتقريب الذى نزلنا فيه من الأوتوبيس . وكان قد مضى على نزولنا نحو نصف ساعة فى ذلك الوقت . . فحدد فى ثوان رقم الأوتوبيس ورسم سائقه وموقع الأوتوبيس فى هذه اللحظة . وينصح أنه « الآن » فى الطريق بين محطتين ! ! فرفع سماعة التليفون واتصل بالمحطة التى سوف يصل إليها الأوتوبيس بعد قليل . وطلب منهم البحث عن الكاميرا المفقودة عند وصول الأوتوبيس إليهم وإبلاغه بالنتيجة على الفور وبعد ١٠ دقائق جاءت النتيجة : عثروا على الكاميرا فعلا على نفس المقعد الذى تركتها « سوسن » عليه . لم يمد أحد يده إليها . بالرغم من أننا حين نزلنا من الأوتوبيس كان مليئاً بالركاب ! ! وعادت الكاميرا إلىّ بعد ساعة مع الأوتوبيس القادم من الإتجاه الآخر . .

كلما رأيت شيئاً مثل ذلك فى أى مكان فى أوروبا . لا أجد ما أقوله إلا : عقبال يارب ! !

و عتاسبة

أوتوبيسات

لندن ، لم نتكلم حتى الآن عن المترو الذى يسير تحت الأرض فى لندن . اه « أندرجراوند Under-ground » . فى تصورى أن مشروع المترو تحت الأرض فى لندن أو فى أى عاصمة أخرى من عواصم العالم هو مشروع هندسى مهول . . يكفى أن تتصور أن هناك مدينة أخرى كاملة — مكونة من ٣ طوابق — تقع تحت أرض مدينة لندن . . شبكة هائلة من الأنفاق وخطوط المترو تمتد كالشرايين فى جسم الإنسان تضم ٢٨٨ محطة تربط بين أطراف لندن من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، ومن أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . . وكل محطة هى مشروع

هندسي فذّ في حد ذاته ، يكفي أن تتصور حكاية الـ ٣ طوابق هذه . وأن كل طابق فيه خطان أو أكثر تذهب في أكثر من اتجاه . يعني الركاب المتجهين إلى شرق لندن مثلا ينزلون طابقاً واحداً ، والمتجهين إلى غرب لندن ينزلون طابقين . والمتجهين إلى جنوب لندن يأخذون المترو من الطابق الثالث تحت الأرض . وهكذا . . يكفي أن تشعر بأنك تركب المترو – التي في الوسط – وفوق رأسك مترو آخر فيه ناس آخرون متجهون إلى اتجاه آخر ، وتحتك مترو ثالث فيه ناس آخرون متجهون إلى اتجاه ثالث . عظمة هندسية فعلا .

وإذا بدأنا من البداية : محطات الـ « أندرجراوند » تجدها في الشوارع تشبه مداخل دور السينما ، تدخل المحطة فتنزل درجات قليلة على السلم تجد صالة واسعة كبيرة فيها عدة ماكينات ، كل ماكينة مقسمة إلى ثلاثة أقسام قسم مكتوب عليه « ٥ بنسات » ومكتوب أسماء المحطات التي تستطيع أن تركب إليها بهذه التذكرة ذات الخمسة بنسات ، وقسم آخر مكتوب عليه « ١٠ بنسات » والمحطات التي تركب إليها بهذه التذكرة . والقسم الثالث « ١٥ بنساً » والمحطات التي تركب إليها بهذه التذكرة . . في كل قسم من هذه الأقسام فتحة صغيرة تضع فيها قطعة العملة المعدنية فتخرج لك التذكرة من فتحة أخرى . وإذا تصادف وكانت ماكينة من هذه الماكينات أمامها طابور طويل أو معطلة تذهب إلى شباك التذاكر وتعطي لعامل الشباك أي مبلغ وتذكر له قيمة التذكرة التي تريدها أو إسم المحطة التي تريد أن تركب إليها ، فيدوس على زر أمامه فتقفز التذكرة التي تريدها لتسقط أمامك آلياً ، ويدوس على عدة أزرار أخرى فينزل لك باقي الفكة من خانة أخرى دون أن تلمس يد العامل لا التذكرة ولا الفكة !! . . شيء رشيق جداً وطريف جداً . .

أخذت

التذكرة ؟ . .

ستنزل بعد ذلك إلى تحت الأرض بواسطة سلالم كهربائية متحركة . كل ما على معاونك هو أن تتكرم بوضع قدمك الكريمة على السلمة الأولى وتترك السلم الكهربائى ينزل بك وحده إلى تحت الأرض . . وحين تجد نفسك فى الطابق الذى تريده ستجد أمامك العديد من الأسهم والتوضيحات والإرشادات التى تفسر لك كل شىء وتكاد أن تأخذك من يدك . واضحة جداً ومفسرة جداً بحيث لا تتيح لك فرصة الخطأ على الإطلاق إلا إذا كنت — البعد — أعمى أو لا تستطيع أن تقرأ اللغة الإنجليزية . . وستجد مترو مكوناً من ٦ عربات يتقاطر إلى داخل المحطة كل دقيقتين بالضبط . وبعد أن تركبه ينطلق بك فى داخل النفق بسرعة مهولة جداً . .

باقى عدة أشياء صغيرة بخصوص الـ « أندرجراوند » . من أى شباك تذاكر تستطيع أن تحصل — مجاناً — على خريطة بالألوان لكل خطوط المترو فى لندن كلها . . وليس هناك بنى آدم يعيش فى لندن ليست فى جيبه هذه الخريطة . حتى لو كان المستر « هيث » رئيس الوزراء نفسه ، فدون هذه الخريطة . حتى لو كنت أنت المهندس الذى صمم ونفذ مشروع الـ « أندرجراوند » — فسوف تتوه بين أنفاق المترو توهان طفل صغير فى مولد السيدة زينب ! .

وإذا وجدت ماكينات التذاكر متوقفة والشباك معلقاً — وذلك يحدث آخر الليل أحياناً — فببساطة جداً تستطيع أن تركب المترو وأنت خارج فى محطتك تقول لعامل الباب أنك ركبت من محطة كذا وتدفع له ثمن التذكرة ، وسيصدقك فوراً ولا « يستخونك » ولا ينظر إليك بشك أو ارتياب .

وأغلب سائقي وعمال الأبواب في مترو لندن من الزنوج ، نساء ورجالا .. وعلى رصيف كل محطة ستجد فتاة حسناء أو شابا حسناً يرتدي اليونيفورم الأزرق الشهير ، لكي تسأله عن كل ما تريد ، ويدلك ويرشدك وفي النهاية يشكرك هو !! . . وفي المحطات الرئيسية التي تلتقي وتتفرع عندها عدة خطوط . يوجد كشك زجاجي صغير عال تجلس فيه حسناء أمامها ميكروفون لكي توضح أن المترو القادم الآن على رصيف رقم كذا ذاهب إلى الجهة الفلانية ومحطات كذا وكذا وكذا . منتهى النظام ومنتهى الدقة ومنتهى الانضباط ! .

طفلة

لا يزيد

عمرها أبداً عن ١٤ أو ١٥ سنة على الأكثر ، كانت تجلس أمامي في المترو إلى جوار أمها وبطنها بطن الطفلة وليس بطن الأم ، ممتدة على الآخر وقدامها قد كده ! لم أستطع أن أمنع نفسي من أن أسألها : « ألست صغيرة جداً على الزواج من الآن ؟! » فأجابت ودهشة حقيقية تبدو على وجهها الطفولي : « طبعاً لسه بدري جداً . ما الذي جعلك تتصور أني متزوجة ؟ »! .

« بيرل »

. . عاملة

التليفون في الفندق تتصل بي في الخامسة والنصف صباحاً لتبلغني أن الغرفة رقم ١٥١ لم تستيقظ صاحبها على رنين جرس التليفون ، وكان قد طلب إيقاظه في هذا الموعد .

المفروض في هذه الحالة أن أتصل أنا بالغرفة رقم ١٥١ من تليفون مكتبي ، وإذا استيقظ النزيل كان بها ، أما إذا لم يستيقظ فقد يكون

بيمون الغرفة عطلانا – فأذهب بنفسي لأدق على بابه، فإذا استيقظ فيا دار ما دخلك شر . أما إذا لم يستيقظ أيضًا فإني أفتح الغرفة بالمفتاح الـ « ماستركي » الذي يصلح كل أبواب الفندق . وأدخل لإيقاظه بنفسي .

المهم : مر بت تيمون رقم ١٥١ فلم يستيقظ .. أخذت الـ «ماستركي» معي ناويًا أن أذهب لإيقاظه . لكني في آخر لحظة تذكرت أن الغرف من ١٥١ إلى ١٨٠ مخصصة للعاملين والعاملات في الفندق .. والذين يستيقظون في هذا الوقت المبكر ٥٫٣٠ صباحًا – ليسوا الموظفين الرجال إنما هن بنات (الإستقبال) أو بنات الـ (تشامبر ميدز) اللاتي يبطن الغرف . سألت « بوب » موظف الإستقبال النهاري فأكد لي أن الغرفة رقم ١٥١ هي فعلا لأحد العاملين في الفندق لكنه لا يعرف من هو بالتحديد .. وذهبت محرجًا وأنا أخشى أن أفتح الباب فتكون الفتاة نائمة عارية أو على الأقل (مش متغطية كويس) ! ! . أو قد تفزع برؤيتي فجأة « فوق راسها » في وسط الغرفة أنادي عليها فتفقع ١٠٠ صوت وتلم علي الناس وتبقى مشكلة . فذهبت وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى . حتى وصلت إلى الغرفة رقم ١٥١ ونقرت الباب بلطف فلم يرد أحد . نقرت الباب بقوة أكثر ثم أكثر . وبرضه لم يرد أحد من الداخل وبعد تردد كبير حسمت أمري وقلت أفتح الباب واللي يكون يكون وأمري إلى الله .. وفتحت الباب بأكبر ضجة ممكنة عسى أن تنتبه الفتاة على صوت فتح الباب ، وبرضه لم تنتبه .. حتى توسطت الغرفة وأضأت النور ، فوجئت بالمنظر الذي جعلني أتوقف أمامه عدة دقائق وأنا لا أدري ماذا أفعل ولا كيف أتصرف : ملاكين أشقرين يتناسان متعانقين في ملائكية شديدة واستغراق عظيم لا يبين منهما إلا رأسيهما الأشقرين وذراعيهما المتعانقين كأنهما قد أصبحا معا جسداً واحداً ! !

لم يهمني علي أن أوقظهما من هذا الحلم الجميل الذي يستغرقهما

بعد ليلة حب مهولة قطعا . مؤكد أنني لن أبلغ عن الفتاة — (لأنه ممنوع . فقط — أن تستقبل أصدقاءها الشبان في غرفة نومها) — . وفي الوقت نفسه كنت أعرف أن اليوم سوف يضيع عليها أو يخصم منها . . لكني تصورت أنها قطعا سوف تفضل أن يخصم لها يوم وحد على أن تفصل تماماً .

وأقفلت الباب بهدوء جداً على الملاكين النائمين دون أن أزعجهما . وعدت إلى مكتبي كأن شيئاً لم يكن وبراءة الـ « بورتر » في عينيّ ! !

صديقي

المصري

المتزوج من إنجليزية ، كما - هي وهو وأنا — نتحدث عن الزواج والطلاق وكثرة حالات الطلاق في مصر . فقالت لي الزوجة أن الفتاة الإنجليزية عندما تتزوج فهي عادة لا تتطلق . لأنها تكون قد عرفت و « عاشرت » شاباً واثنين وثلاثة وعشرة قبل أن تبدأ تفكر في الزواج . لذا فحين تتزوج تكون قد تزوجت عن اختيار دقيق واقتناع كامل ، وتكون قد « جربت » زوجها شخصياً لمدة طويلة قبل أن تقرر أن تتزوجه . لذا فهي لا تتطلق ! ! . . .

صديقي المصري كان يجلس معنا يستمع إلى حديث زوجته الإنجليزية وهو مطرق برأسه إلى الأرض لا يتكلم ! ! .

زميلتي

الإنجليزية

في الفندق التي جاءت دت ليلة إلى مكتبي لتسألني عن خطابات لها ، ثم يتصل بيننا الحديث فتحكي لي حدوتة طويلة عن صديقها أو « بوي فرينـد » بتاعها الذي طردته من حياتها مؤخراً ، لأن أمه كانت

عبر راضية عن علاقتهما وكانت ترد عليها فى التليفون بجفاء حين تطلبه ، لذا فقد أنهت علاقتها به . وهى الآن — ياعيبى — بدون « بوى فريند » . . (والفتاة الأوروبية إذا قالت « بوى فريند » فهى تعنى « عشيقها » لكن بتعبير مهذب) . .

سألتها « وهل كنت تحبينه ؟ » قالت : « طبعاً » . قلت : « إذن كيف ستستطيعين أن تتزوجى غيره ؟ » . قالت بدهشة عظيمة : « أتزوج غيره ؟!! . . كيف أتزوجه هو أو غيره وأنا متزوجة فعلا وأحب زوجى » !!!!!!!!

الجنس

فى

لندن وهى محرد عينة ونموذج لكل أوروبا سوف يصافح عينيك فى أى شارع وعلى أى قارعة طريق من أول لحظة لك فى إنجلترا . . سوف يدهشك بوهلة الأولى منظر الشاب والفتاة الغارقين فى أحضان بعضهما فى قبلات حالمة وهائمة وفى هيام ووله شديدين غير شاعرين بما حولهما ولا من حولهما ! . ثم لا تلبث عيناك أن تعتادا رؤية مثل هذه المناظر وتمر بجوارهما فلا تلتفت حتى إليهما .. تراهم فى محطات الـ « أندرجراوند » وفى أى شارع فى أى وقت وفى أى ساعة . . وترى اثنين ماشيين فى الشارع عاديين جداً وعاقلين جداً . ثم فجأة « تطلع فى عقلهم » فيتوقفان عن السير ليعرق فى قبلة عارمة ، والناس الذين يسيرون وراءهما يغيرون اتجاههم حتى لا يصطدموا بهما . حتى ينتهيا من قبلتهما فيبدآن فى السير من جديد !!

فى محطة الأوتوبيس : فى وفتاة غارقان فى الأحضان والقبلات فى انتظار الأوتوبيس حتى أيصل ، والسيدة العجوز الواقفة خلفهما — فى الطابور — تقرأ صحيفتها وهى حتى لا تكلف خاطرها عناء النظر إليهما ،

مجرد واقفة فى الطابور تنتظر دورها . دورها فى ركوب الأوتوبيس صعباً ! .

حى « سوهو » القريب من ميدان البيكاديللى فى وسط لندن ، تنتشر فيه دور السينما التى تعرض أفلام الجنس المكشوفة جداً على الآخر . بالصورة وبالصوت (!!) . الغريب أن بعض هذه الأفلام بطولة ممثلين عالميين مشهورين . مثل الفيلم الذى تعرضه الآن سينما (البرنس شارل) بطولة « مارلون براندو » « تانجو الأخير فى باريس » !! . وهذه السينمات ليست سرية ولا تشكل « دكاكينى » ولا حاجة . إذ الأفيشات والصور الفاضحة — بالألوان — معلقة على أبوابها تعلن بوضوح عن نوعية هذه الأفلام !

ومسارح لندن أيضاً تلعب هذه اللعبة . لعبة الجنس . مسرح عادى جداً . وجمهور عادى جداً قاعد على الكراسى وفى صفوف صالة وبلاكونات عادية مثل أى مسرح فى أى مكان . لكن غير العادى هو ما يحدث على خشبة المسرح . عملية جنسية كاملة بين رجل وامرأة . وأحياناً بين رجل واحد وأكثر من امرأة ! ! . . والذى يثير الدهشة فعلا هنا هو « شكل » جمهور هذه المسارح . الذى غالباً ما يتكون معظمه من الرجال أهل الستينات والسبعينات . يعنى الناس المفروض أن يكونوا أصلا قد عدت من تلافيف ذكرياتهم أنه « كان » هناك فى حياتهم شىء إسمه الجنس يوماً ما . يوماً ما من زمان أوى !!

ومجلات

الجنس

أيضاً المطبوعة كلها — بالألوان الفاخرة على ورق كوشيه مهول فى طباعة لا نحلم بها نحن هنا فى مصر كصحفيين — لمجرد « أعلفة » مجلاتنا . هذه المجلات الفاضحة جداً المكشوفة جداً جداً ، منتشرة انتشاراً رهيباً فى إنجلترا : « بلاى بوى » . « ماى فير » . « بنتهاوس » .

« ركس » ٥٥ « سيما X » . . « للرجال فقط » . . « ٣٠ دقيقة » . .
وهي أغلى مجلات في السوق ، إذ يتراوح ثمن النسخة الواحدة منها بين ٣٠ و ٥٠ بنساً ، يعني ما يقرب من ٥٥ إلى ٨٥ قرشاً مصرياً . .
وهي مليئة بصور لحسناوات عاريات تماماً في منتهى الجمال من كله ، جسم ووجه وشعر وعيون !! إيه دول ؟! مش بنات ناس دول ؟! مالهمش أهل ولا أصدقاء ولا معارف ولا جيران يعملوا لهم حساب ؟! . .

في مجلة « ماي فير » مثلا ، المكتوب على غلافها أنها مخصصة للرجال فقط — آل يعني إكتشفت شيئاً آخر طريفاً : كوبون في الصفحات الأخيرة من المجلة ، تملأ بياناته وتعرفه أنك أكبر من ١٨ سنة ، وترسل للمجلة مبلغ كذا فيرسلون لك فيلماً سينمائياً ملوناً مقاس ٨ ملليمترات يصور الفتاة التي أعجبتك في أي عدد من أعداد المجلة . بالصورة الملونة والحركة والـ . . . يانهار إسود . كفاية كده ! !

وفي
أغلب

بيوت لندن التي تؤجر غرفاً مفروشة عرفة مفروشة في وسط أسرة إنجليزية . ما دمت قد أجرت الغرفة فلا شأن لأحد بك ولا يسألك أحد عن الفتاة التي تقيم معك هل هي زوجتك أو أختك أو قريبتك . . وتستطيع ببساطة ووضوح أن تقول إنها الـ « جيرل فريند girl-friend » بتاعتك ، أو تقول هي إنك الـ « بوي فريند Boy-friend » بتاعها . والـ (جيرل فريند) أو الـ (بوي فريند) معناها أنكما تعيشان معاً بغير زواج .. وبالعربي الفصيح : « عشيقان » ، ولا أحد يعترض ولا أحد له عندكما حاجة . . وتمشي الفتاة وتيجي غيرها فلا ينظر إليك أحد شذراً ولا تسمح في عين أحد نظرة استغراب أو دهشة ، وحتى لا يقاطعونك أو يتعدون عنك أو يتجاهلونك . . لأن هذه المسائل أصبحت لا تناقش

الآن فى أوروبا كلها . وفى إنجلترا بالذات . .

والبنت الإنجليزية واضحة للغاية ومباشرة جداً أساساً هى تلبس ملابس قصيرة جداً فى الصيف أو فى الشتاء ، وتجلس فى المترو أو فى أى مكان وتضع ساقاً على ساق فلاتعرف أنت إن كانت ترتدى فستاناً بصحيح أو بدوزة فقط . حتى لتبدو آثار عملية الزائدة الدودية ولا يهمها جاحه .. وإذا لاحظت هى أنك لا ترفع عينيك عنها ثبتت عينيها فى عينيك تتأملك فى استغراب مدهشة لعطلك . هى عكس البنت المصرية التى تلبس الـ «جوب» قصيرة شوية ولو قعدت فى لأوتوبيس تحاول أن تخفى ساقيها بشنطة يدها . وتشد فى طرف الـ «جوب» آل يعنى عايزة تطولها شوية ! ! .

البنت الإنجليزية الشابة تشعر أنها نضرة ومتفتحة ومشرقة ودم الشباب والصحة والحياة يجرى فى وحنتيها وفى كل جسمها طاقة وحيوية . ذلك — ببساطة جداً — لأنهن لا يعانين من القلق ولأنهن ليس لديهن مشاكل كبت ، جنسى إذ أنهن يبدأن حياتهن الجنسية ويتهلن منها ويستمتعن بها منذ أن يصلن إلى الثالثة عشرة. لكن ذلك أيضاً له أضراره وعيوبه، فإن الفتاة الإنجليزية فى الثلاثين يبدو شكلها وكأنها فى الأربعين أو الخامسة والأربعين . . أما فى الأربعين فتبدو عجوزاً تماماً . . ذلك لأنهن يبدأن حياتهن بدرى جداً ويبهبها بدرى جداً ، ويهرمن بسرعة نتيجة «سوء الاستعمال» ! ! .

ولأن كل البنات الإنجليزيات — بشكل عام يعنى جميلات ، فإن ثقتهن بأنفسهن ضعيفة . . الجمال متوفر وكثير ، والشبان — إلى حد ما — قليلون ، نتيجة خروج إنجلترا من الحرب العظمى الثانية وقد فقدت عدة ملايين من شبانها ، فأصبح عدد الفتيات أضعاف عدد الشبان ، وأصبح هناك ولد واحد لكل عدة فتيات ، وأصبحت الفرصة ضيقة جداً أمام البنات للزواج ، ومن هنا جاء التحلل والتفسخ والإنهيار الجنسى العظيم

نتيجة أن العرض (البنات) أكثر من الطلب (الشبان) . . لذا فالبنت الإنجليزية تعطى وتمنح دون أدنى تردد للشبان الإنجليز وغير الإنجليز . . حتى إنك تجد الشاب الزنجى لعكر جداً أو الشاب المصرى الذى تخشى السيدات الحوامل فى مصر أن ينظرن إلى وجهه خوفاً من « الوحم » ، تجده يسير فى شوارع لندن وقد تشعبطت فى ذراعيه حسناوتان إنجليزيتان من مستوى « فيرنا ليزى » وصانع ، وهما تقبلانه — من الناحيتين — فى كل خطوة . . ولو حدث واحدة منهما إلى القاهرة لسارت وراءها مظاهرة من محرجى السينما المصريين يهتفون بحياة إنجلترا التى أنجبت مثل هذا الحسن ! ! .

لذا ، فإن أحداً هنا لا يرغم الفتاة على شىء . هى التى تعرض وهى التى تطلب وهى التى تلح وتجرى وراء الشاب ، وفى الوقت نفسه لا ترفض قبلة عابرة من هذا — على برصه — ولا حضناً على الماشى من ذاك . . وتسمع صوت القبلات تفرقع طول الليل بين الجرسونات البنات وزبائن الكافيتيريا . وتسمع أيضاً طول الليل صيحات « ممنوع اللمس من فضلك » من « بعض » البنات المصريات اللاتى يعملن فى الكافيتيريات . وإذا قالت البنت المصرية « لأ » فإن ذلك يكفى مرة واحدة فلا يقربها ثانية الشاب الذى أثارته سمرتها فتكرم غير مشكور بمد يده أو بمحاولة تقبيلها . .

ومع
ذلك

فإنك تجد الشاب الإنجليزى ناعماً رفيعاً وهشاً وطرى و « مرخرخ » ومش قادر يصلب طوله ، وشعره حريرى الناعم منسدل خلف ظهره أطول من شعر البنات ، وفيه أنوثة أكثر من البنات ، وإذا مشى فهو دلوعة ومايع ويمشى ينفرد ويتثنى ويتقصع ويتعمد أن يستعرض أنوثته ورقته

ومباصته . . الشبان فى إنجلترا أحلى وأنعم من بناتنا . لدرجة أنى أحيانا كنت أستغرب وأتساءل فى نفسى . « شباب دون بينجو روا إزاى » ؟ . لم يعد عند البنات الإنجليزيات شىء يخفى . ولا عند الشبان الإنجليز شىء يشبه الرجولة ولا حتى من بعيد . يحتضن الجنسان على بعضهما فلم تعد تعرف الولد من البنت . البنت شبه عارية والولد ناعم وبايش و « أنثوى » . . والمباعة إقتسمها الطرفان بالتساوى . . كلاهما مبيض ومبيع وسايح ونايح . ولو وقع على الأرض ما حدش حايعرف سمه وبرجعه زى ما كان . هذا هو الجيل الذى سينتهى العالم على يديه بإذن الله . فإن الإنحلال الخلقى والتحلل والتفسخ الإجتماعى الخطير الذى ترزح تحته أوروبا هذه الأيام يقول إننا فى بداية عصر انهيار الحضارة الأوروبية . لا قيم ولا أخلاق ولا حياء ولا فضيلة ولا مبادئ ولا دين ولا اعتبار لأى شىء على الإطلاق . . وأتصور أن أوروبا سوف تنفجر فجأة وتموت قبل ٥٠ سنة أخرى . . ولو قدر لإنجلترا أن تدخل حرباً أخرى بهذا الجيل الجزع المنصوص بالجنس والمخدرات . لما عايرنا أحد بعد ذلك بحرب الأيام الستة . لأن حربها هى سوف تنتهى قطعاً بعد يوم واحد ! !

مستر

« هوبكنز »

المدير المساعد للفندق . الذى وافق أصلا على تعيينى هنا وقال عنى لكل الناس إنى صحفى وكان واضحاً أنه فرحان جداً بوجودى ، طلبنى اليوم فى مكتبه ليؤنبنى بشدة على أنى لم أحضر إلى الفندق وتغيبت عن العمل بدون اعتذار سابق ليلة الخميس الماضى . وقال لى ما معناه إنى قد أكون أعظم صحفى فى القاهرة . لكننى هنا فى الفندق أعمل « بورتر » فقط ليس إلا . وعلىّ أن أحترم مواعيدى بكل دقة وأنه لن يقبل منى أى عذر ! ! . كان واضحاً أنه غاضب فعلا حتى تصورت أنه سينهى

كلامه بمعصلى من العمل . .

لكنى فى الصباح فاجأ بأغرب خبر كان يمكن أن تصور أن يحدث لى هنا درس آخر فى أسلوب العمل الإنجليزى مسير « جون أولدرى » كبير الـ « بورترز » يطلبنى فى الصباح يبلغنى أننى بعد ١٤ يوماً فقط لى فى العمل نظراً لكفاءتى التى لاحظوها جميعاً . قد رقيت إلى رئيس وردية ! ومن بعد غد سأكون « رئيساً مسئولا » عن زملائى فى الوردية . وبالتالى مسئولا عن الفندق كله . ليلتين فى الأسبوع ! !

(٨)

□ الرعب .. يجتاح المدينة .. ! ! □

أنا

الليلة

« ريس » لأول مرة . . أول ليلة أتولى فيها مسئولية العمل بمفردى كرئيس لوردية الـ « بورترز » . . كانت المسألة فى بداية تعيينى كـ « بورتر » تشبه النكتة بالنسبة لى . . نكتة ظريفة أحكيها للأصدقاء فى مصر بعد عودتى . وأكتبها للقراء فيضحكون على العبط الصحفى لدى يجعل صحفياً قد الدنيا — ده اللى هو أنا يرضى على نفسه أن يعمل بواباً فى إنجلترا لكى يكتب سلسلة موضوعات عن الطلبة المصريين لمجلته . لكن المسألة الآن لم تعد نكتة . . الإنجليز فيما يتعلق بالعمل ما بيعرفوش يهزروا أو يجاملوا ، بدليل أنهم اختاروني أنا لتحمل هذه المسئولية — وهى لو تعلمون كبيرة . بعد ١٤ يوماً فقط من تعيينى ، وفى الفندق « بورترز » آخرون يعملون هنا منذ خمس سنوات . . وأصبح مطلوباً منى الآن - حتى لو كنت صحفياً — أن أثبت لهم أننى « جدير » بالثقة التى وضعوها فى شخصى ! .

كنت شديد القلق والتوتر فى بداية الوردية . خصوصاً وأن الفتى الفلبينى « ريكمار » الذى كان واضحاً أن اختيارى لهذا « المنصب » وبهذه السرعة شيئاً مستغرباً بالنسبة إليه ولم يستطع أن يهضمه بسهولة ، فحاول أن يستعبط ويسوق الهبالة على الشيطنة ولا يطيع أوامرى ، على

اعتبار أنه يعلم أنني لم أسمه فى العمل بأكثر من عشرة أيام . لكنني عاملته بحزم و « رسمى » . فعاب قليلا ثم عاد ليطلب منى بغلاسة أن أقول له « Please » أو « من فضلك » حين أطلب منه أن يفعل شيئاً ! ! . ورأيت أن المسألة يجب أن تحسم بشكل قاطع يحفظ للعمل احترامه وانتظامه منذ البداية وإلا سقطت أنا فى الاختبار . فعنت أبو حاش جده بعنف بالعربية وبالإنجليزية وبكل اللغات التى أعرفها ؛ وشخطت فيه وزعقت له وكربسته ووريته العين الحمراء بصحيح وبتكشيرة وتبويزة مقاس ٣٠ × ٤٠ ، واترسمت ريس بصحيح وأعطيته ١٠ أوامر وراء بعضها من غير « Please » ولا « من فضلك » ، و : « عايز تنفذ نفذ ، مش عاير تنفذ إتفضل سيب الواردية وروح بيتكم وحاكتب فى التقرير اليومى إنك رفضت التنفيذ . « Please » أو « من فضلك » دى أقولها لك لما أكون باطلب منك خدمة شخصية لى ، لكن مش ممكن أقول لك من فضلك علشان تعمل اللى أنت متعين هنا علشانه وتاخد مرتبك عليه . . مفهوم ؟ ! » . .

ومشى « ريكمار » على العجين ما يلخبطوش بعد ذلك ! ! . .

لكنه

أفرغ

همه — كأى شرير مخرب — بصورة أخرى : فى نحو الرابعة صباحاً دخلت الغرفة التى تغير فيها ملابسنا فوجدت الكرسى الجلد الأنيق الشيك ممزوعاً بمطواة أوموس ، والحشو المطاط الفاخر بارزاً منه ! ! . . ولم يكن فى الواردية معى فى تلك الليلة غيره هو فقط ، وهذه الغرفة لا يدخلها إلا الـ « بورترز » وحدهم ، فقطعاً هو الذى فعل ذلك . . وظللت طول الليل بعد ذلك وأنا « حاطط إيدى على قمى » لأن الإتهام ممكن أن يوجه لى أنا أو على الأقل توزع التهمة بيننا ، و « شكلها وحش » جداً أن

أقف مثل هذا الموقف فى انتهاء صبياى تافه وحقير كهذا لا نفعله إلا شرير مخرب ! . وقد جعلنى هذه الحادثة لصغيرة أفكر . ماذا كان يمكن أن يحدث وكيف كنت أتصرف لو تصادف وكان شاب إسرائيلى يعمل معى فى واردة « بورتر » ، رئيساً أو زميلا أو مرءوساً لى ؟ ! يعنى لو كان الأخ « ريكمار لوبيز » هذا إسرائيلياً وليس فلبينياً . فكيف كان المفروض أن أتصرف ؟ ! . فى الحقيقة ، مش عارف

المهم

أن

الليلة قد مرت على خير برغم أنها أكثر ليالى الأسبوع ازدحاماً بالنسبة للفندق ، ليلة الأحد . ومر مستر « هوبكنز » المدير المساعد على أثناء الليل عدة مرات ليطمئن على حسن سير العمل الذى كان يسير كالساعة المضبوطة . ومن يدرى جداً كنت قد أنهيت كل الأعمال الروتينية اليومية المفروض أن تستغرق من « بورتر » عادة الليل بطوله ؟ . واجهت أزمتين صغيرتين فى البداية حين كدت أصطدم بـ « جوك Joke » الشرس بطل الملاكمة السابق والمسئول عن (جاراج) الفندق الآن ، والذى يعمل له كل العاملين فى الفندق ألف حساب ، حين شخط فىّ وهو يكلمنى فى التليفون فقفلت السكة فى وجهه وأنا أتوقع أن الليلة مش حاتفوت على خير وأننى سأنضرب منه عنقة لها العجب ، لكن الأزمة مرت بعد ذلك وحدها حين اضطررت أن أطلبه أنا لكى أسأله ماذا أفعل فى ذلك الطلب الغريب الذى طلبه منى أحد النزلاء الأمريكان المهافيف . عايز يستأجر : أوتوبيس ! ! أوتوبيس بصحيح ! ! هو حر طبعاً ، إن شاء الله يكون عايز يستأجر كراكة أو حاملة طائرات ، وأنا مالى . . سألت « جوك » : « أجيب للراجل الأهبل ده أوتوبيس منين ؟ » فضحك « جوك » وضحكت أنا ، وهدأت الأمور بيننا وبقينا كويسين لأنه

إكتشف - ده كلامه - إن دى مش تفيل كما كان يعتقد . . ووجهنى وأرشدنى ودلنى ماذا أفعل لكى أستأجر لهذا السائح المهفوف الأوتوبيس الذى يريده . وحصل فعلا .

المهم أنى بخاقنى مع « چوك » الشرس بطل الملاكمة السابق إكتشفت شيئاً جديداً يمكن أن يندرج تحت بند العلاقات العامة و« كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » وهو رسم كتاب كنت قد قرأته فى مطلع شبابى فجعلنى أخسر كثيراً من أصدقائى ! ! - إكتشفت حكمة جديدة يمكن تلخيصها هكذا « حاول أن تسأل الآخرين الأكبر أو الأقدم منك . . لا تتردد ولا تخجل من أن تفعل ذلك . . سوف تكسب صداقتهم على الفور حين يشعرون أنك لا تتعالى على التعلم منهم . سيعطونك معلوماتهم + صداقتهم . . وأنت الكسبان فى الحالتين » . . إنتهت الحكمة ! ! . .

الليلة
كانت

واردية الليل فى الصدق كلها مصريين : أنا فى « بورنرز » : . « سوس » و « سناء » و « منى » و « شحاتة » و « ماجد » و « أمين القصاص » و « كالح » و « سمير » جرسونات فى الكافيتيريا . . « بيسة » و « عماد » يعملان الأطباق . . واردية الكافيتيريا كلها ما عدا « دورا » المديرة الحسناء كلها مصريون ! !

أفكر فى أن نرفع العلم المصرى على الفندق ليلا ! !

تانى
أمريكى

ألتقى به فى نفس الصبح : على محطة الأوتوبيس أمام الفندق وجدته يجلس على الـ « دكة » الخشبية الصغيرة الموضوعة أمام المحطة وعيناه مثبتتان

على ممر المطار ، يرقب ويتابع هبوط الطائرات وصعودها فى انفعال شديد وعصبية بالغة كأنه يشهد مباراة فى المصارعة الحرة أو مصارعة الثيران . وهو يفرك يديه وأصابعه متشنجاً فى توتر ونشوة عربية . . قال لى وهو لا يحول عينيه عن الطائرات الصاعدة الهابطة أن هذه هى هوايته الكبرى التى يحضر من أجلها من الولايات المتحدة إلى لندن فى إجازته كل صيف ليستمتع بمشاهدة صعود وهبوط الطائرات فى مطار « هيثرو » ، ومن فوق هذه الـ « دكة » بالذات ، على اعتبار أنها لا تبعد أكثر من ١٠٠ متر عن ممر الطائرات ! ! .

لست أدرى السر فى هواية عبيطة كهذه . . لكن يبدو أن هذه هى طبيعة الأمريكان عموماً : العبط ! !

وفى

الوقت

نفسه فإن هذه الحكاية تشغلنى بشكل آخر مختلف : فى القاهرة أسكن بعيداً جداً عن المطار — فى ميدان رمسيس لذا فعلاقتى بالطائرات شبه معدومة ، إلا عندما أسافر بها . . أما هنا فعملى وبيتى كلاهما فى منطقة مطار « هيثرو » وملاصقان له . . وطول اليوم أرى الطائرات وعجلاتها تلامس الأرض هابطة أو وهى تترك الأرض صاعدة . فلا أتمالك نفسى من أن أدعو وأبتهل باللغة العربية طبعاً — . « يارب يارب يارب ، سلم وما تحصلشى حاجة وحشة » . . قلبى مع كل طائرة هابطة وكل طائرة صاعدة . أتصور كم هى مصيدة مقفلة رهيبة أليمة لو حدث حادث لطائرة . . وأتصور كم بداخلها من القصص سوف يكون : الحبيبة العائدة إلى حبيبها ، والزوج الراجع إلى بيته وأسرته وأولاده وبناته . . وكل راكب وكل راكبة فى الطائرة لهما قصة ووراءهما قصة ، وهناك ناس يحبونهم فى مكان ما ينتظرون عودتهم ، أو فى نفس هذا

المكان ما زالت مناديلهم البيضاء فى أيديهم تلوح للقاء : . أو لعله للوداع . .

إستر يارب . . فكلهم إنسان مهما اختلفت جنسيته ومهما اختلفت ديانته .

الليلة

مرعبة

من أولها . . مستر « سكاليس Scales » المدير العام هو المدير السهران الليلة . لكنه يبدو مهموماً عصبياً متحفزاً . . يأتى ليصدر تعليماته إلى « ريتشارد » — رئيس واردية « بورترز » الليلة . بأن تكون جولة الأمن للتفتيش على الفندق الليلة مرة كل ساعة من منتصف الليل حتى السادسة صباحاً ، يعنى ٧ مرات بدلا من ٣ فقط كالمعتاد . ذلك لأنه تلقى تهديداً بأن قنبلة سوف توضع فى الفندق الليلة لنسفه ، فى موجة القنابل الأيرلندية التى تعزو لندن كلها هذه الأيام ، ولا تخلو الصحف كل صباح من قنبلة انفجرت هنا أو هناك ، إبتداء من محطة مترو إلى بنك إنجلترا مروراً بمكاتب الشركات والمصالح الحكوميه والمحلات التجارية والعامة . . وكانت تعليمات مستر « سكاليس » ألا نلتقط شيئاً من الأرض على الإطلاق ، خصوصاً علب السجاير ، وأن نبلغه على الفور فى حالة اشتباهنا فى أى شىء يحتمل أن يحمل متفجرات ! .

وما إن تمضى لحظات حتى يأتى رجل عملاق أنيق أحمر الشعر فاخر الثياب ، ومعه رجل آخر وسيدة . . العملاق ذو الشعر الأحمر ينزل فى الفندق عندنا ، ليس معه حقيبة ملابس ، إنما كل أمتعته عبارة عن صندوق واحد لا يزيد فى حجمه على صندوق راديو متوسط الحجم ، لا يريد أن يأخذه معه إلى غرفته وإنما يريد أن يتركه فى مدخل الفندق عندنا حتى الصباح ! ! : . حين رفعت الصندوق فى يدى لأركنه على

جانب فوجئت بأنه خفيف جداً أستطيع أن أرفعه بإصبع واحدة . هززته فترجرج ما بداخله كأنه شيء صغير جداً بالنسبة لحجم الصندوق !! . . أسرعت بوضع الصندوق في مخزن الأمانات وعدت على الفور لأضع عيني على الرجل الفاخر الأحمر الشعر ورفيقيه لا أرفعهما عنهم . وأبلغت الأمر « ريتشارد » الذي أبلغه على الفور لمستر « سكاليس » . في الوقت الذي كنت أسجل فيه بسرعة جداً على ورقة أمامي أوصاف الرجل ورفيقيه بدقة شديدة . حتى إذا احتاج إليها البوليس الإنجليزي وجدها جاهزة . . وجاء مستر « سكاليس » مهرولا فأومأت له برأسي من بعيد مشيراً إلى الرجل الفاخر الأحمر الشعر . . وذهب مستر « سكاليس » مع « ريتشارد » لمعاينة الطرد في المخزن . ومستر « سكاليس » مقوس الظهر في توتر كأنه قط يستعد للوثوب . والقلق يكاد يقتله وستقر الرأي أخيراً على أن نضع الصندوق الصغير في وسط الأرض الفضاء خلف الفندق حتى الصباح . حتى إذا انفجرت القنبلة تنفجر بعيداً عن الفندق . وقضينا الليلة كلها مشدودين متوترين ونحن نرقب صوت الإنفجار بين لحظة وأخرى . .

وفي الصباح . . جاء الرجل أحمر الشعر فاخر الثياب يطلب صندوقه . . وأخذه ومضى ! ! .

وتجربة

صحفية

جديدة أيضاً تمر بي اليوم كنت أتمناها فعلا من زمان . من يوم أن بدأت حرب القنابل الأيرلندية في لندن كنت مع الصديقة المصرية « مي » في محل « وولورث » في « أوكسفورد ستريت » . وكنا قد انتهينا فعلا من شراء ما نريد بعد جولة أكثر من ساعة في المحل بطوابقه الثلاث صعوداً هبوطاً بالسلالم المتحركة . وكنا قد وصلنا إلى الطابق الذي في مستوى

الشارع فعلا في طريقنا إلى مغادرة المحل متلكئين في نظرة أخيرة إلى باقي المعروضات ، حين رنت في المحل كله أجرس محتضة بشكل رتيب ومستمر ، وظننا أن موعد إغلاق المحل قد اقترب مع أن الساعة كانت لا تزال قرب الثانية ظهراً ، يعني ليست موعد الغداء ولا موعد إنتهاء العمل ، على اعتبار أن اليوم الخميس يوم عادي في منتصف الأسبوع لكن فوجئت بهرج قليل وتزاحم يحدث في اتجاه باب الخروج الرئيسي الكبير للمحل .. وفوجئنا بارتباك البائعات واضطرابهن ، ثم شاب مصفر الوجه يكاد يرتعد وهو يمر بين الـ « ريونات » ليبلغ الزبائن بسرعة وبصوت منخفض لا يكاد يسمع . يطلب منهم سرعة الخروج من المحل وإخلائه فوراً ! ! وفي لحظات كان الجميع يهرعون في نظام وعدم تدافع — إلى ناحية الباب . حتى أصبح المحل خالياً في دقائق قليلة وأردت — بعد أن أصبحنا في الشارع فعلا — أن أبقى على مقربة قليلا حتى أرى بعيني المنظر الذي طالما تمنيت رؤيته ، لكن « مي » التي استنتجت نفس استنتاجي — أسرعت تجتذبني من ذراعي بسرعة بعيداً عن منطقة الخطر ، وقد عرفت أن قنبلة أيرلندية جديدة سوف نقرأ عنها في الصحف المسائية الليلة وفي صحف الصباح غداً ..

وفعلا ، يتضح أنهم قد عثروا على قنبلة في محل « وولورث » ، لكنهم استطاعوا إبطال مفعولها قبل أن تنفجر . . وربنا ستر أنهم انتبهوا إليها واكتشفوها قبل أن تنفجر فعلا ونحن موجودان داخل المحل ، وإلا كان الواحد رجع مصر بعاهة تؤهله للإشتغال في فندق سيدنا الحسين أو أم هاشم . .

وحكاية
الخطابات

الأيرلندية المتفجرة هذه تثير الرعب في لندن كلها ، لأنها تنفجر فجأة وعلى غير انتظار في أي مكان خاص أو عام . فتصيب أي حد بلا تمييز . . يعني ليس المقصود بها ناساً محددين إنما المقصود بها

أن تفعل ما تفعله الآن فعلا بالضبط : تثير الرعب عند كل واحد يعيش أو « يتواجد » فى لندن . . والجزء الأكبر من هذه القنابل يكون على شكل خطابات متفجرة تصل بالبريد لتنفجر فى يد من يفتحونها . . اليوم انفجرت رسالة فى مبنى بنك إنجلترا فأطاحت بذراع الموظف الذى فتحها . أحتنا « ماريا » الجرسونة الإيطالية فى كافيتيريا الفندق زعلانة جداً مما حدث . وتقول إن ذلك ممكن أن يحدث لأى إنسان بريء يفتح رسالة فتنفجر فيه دون أن يكون له ذنب فى موضوع أيرلندا . . وتستطرد « ماريا » قائلة : « لازم يكون فيه طريقة علشان نعرف إن الرسالة دى فيها متفجرات والا لأ . . لازم على الأقل يكتبوا على المظروف من الخارج أن فيه متفجرات » ! ! . .

ربنا يكملك عقلك يا « ماريا » ! !

على فكرة . بمناسبة الرسائل الأيرلندية المتفجرة جزء من مسئولياتى أن أتسلم بريد الفندق كله من سيارة البريد كل صباح لكن الحمد لله أن فتح هذا البريد من مسئولية الوردية التى تأتى بعدى ! !

وقد كان بينى وبين « مارى » — الـ « هوس كيبر » الأيرلندية الشابة الطالبة فى جامعة بلفاست — حديث طويل عن إيرلندا . فهمت منه ما لم أكن أعرفه من قبل عن المشكلة الأيرلندية . . فعرفت أن جزيرة أيرلندا كلها تضم ٣٢ مقاطعة أو محافظة . ٢٦ مقاطعة منها مستقلة فعلا هى « جمهورية أيرلندا الجنوبية » ، و ٦ مقاطعات فقط فى شمال أيرلندا هى التى تشن حرب القنابل هذه ضد إنجلترا طلباً للإستقلال والإنضمام إلى جمهورية أيرلندا الجنوبية . . وشرحت لى « مارى » أيضاً سر تمسك إنجلترا بهذه المقاطعات الست بالذات ، فقالت إن هذه المقاطعات هى مزرعة إنجلترا التى تمدها بكل احتياجاتها من الخضر والفاكهة ، ليس ذلك فقط ، بل تمد إنجلترا كلها أيضاً بـ . . الماء العذب ! ! . .

أفادكم الله ياست « مارى » . . . منك نستفيد . كتر خيرك . .

لست

أدرى

السر فى ذلك الرعب الذى اجتاحنى الليلة فجأة وأنا أقوم بجولة الأمن الليلية للتفتيش على الفندق . شعرت الليلة كأن أحداً يتعقبنى فى ممرات الفندق الهادئة الغارقة فى السكون فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، وكأننى أسمع وقع أقدامه ورائى صحيح أن الممرات مضاءة لكن الإضاءة هادئة خافتة والممرات طويلة جداً وضيقة جداً حتى لتبدو وكأنها لا نهاية لها ، ويبدو آخرها وكأنه بقعة سوداء صغيرة فأنظر أمامى وأنا أتوقع أنى حين أصل إلى هذه البقعة السوداء فى نهاية الممر ستخرج يد من الظلام بالطعنة القاتلة فى صدرى . وأنصرخ لكى أرى الممر ورائى طويلا فأتوقع الطعنة القاتلة فى ظهرى . وأتصور أنى لو توقفت فى مكانى فسوف ينقض علىّ الخطر من وراء أحد هذه الأبواب المغلقة كما يحدث فى أفلام هيتشكوك المرعبة !

زبائن

آخر

الليل فى الكافيتيريا . . ثلاثة شبان وفتاة . . أكلوا وشربوا وتعشوا وانبسطوا ، وفى آخر السهرة تركوا الفاتورة على المائدة وهربوا دون أن يدفعوا الحساب ، وركبوا سيارتهم وانطلقوا مسرعين . وحاولنا — « دورا » الحسناء مديرة الكافيتيريا ، و« سوسن » و« سناء » و« أمين القصاص » وأنا — حاولنا عبثاً أن نلحق بهم ، لكنهم كانوا فص ملح وداب ! .

أول مرة تصادفنى حالة كهذه من حالات البلطجة فى بلدنا . . وإن كنت قد سمعت من « ليلى سيمان » منذ أيام قصة أكثر عنفاً : « ليلى » تعمل مثلنا واردية الليل فقط . . دخل زبون إلى الكافيتيريا

التي كانت « ليلى » حديثة العهد بالعمل بها ، وظل جالساً إلى مائدته نصف ساعة دون أن تتقدم واحدة من الجرسونات لخدمته ، وبالرغم من أن مائدته لم تكن تابعة للجزء الذي تخدمه « ليلى » فإن الشهامة المصرية قد أخذتها فتقدمت هي لخدمته . . ثم يتضح أن باقي الجرسونات بنات قد أحجمن عن خدمته لأنهن كن يعرفن أنه يتطحى ولا يدفع الحساب . وفاتهن أن ينبهن « ليلى » إليه ظناً منهن أنها تعرف ذلك . لكن « ليلى » كانت قد تورطت فعلا وأحضرت له طلباته . وبعد قليل جاء رجلان آخران وفتاتان ليجلس الجميع إلى مائدته أيضاً ويطلبون طلبات جديدة ، و « ليلى » لا تستطيع إلا أن تلبي كل الطلبات مادامت قد ورطت نفسها لكنها كانت لا ترفع عينيها عن مائدتهم طول الوقت حتى لا يهربوا دون أن تراهم . وفعلا . بعد أن انتهوا من العشاء قامت الفتاتان وغادرتا الكافيتيريا وجلستا في السيارة . فلم تستطع « ليلى » أن تفعل شيئاً لأن الرجال الثلاثة كانوا مازالوا يجلسون إلى المائدة وبعد قليل قاموا بهدوء وبشكل عادي جداً كأنهم سوف يدفعون الحساب في الخزينة قرب باب الكافيتيريا ، لكنهم حين اقتربوا من الباب انطلقوا فجأة يجرون . و « ليلى » وراءهم ومعها الشاب المغربي الذي يعمل على الخزينة وقرب مدخل الفندق توقف الرجال الثلاثة حين حوصروا . وهم يضحكون وقالوا إنهم فقط كانوا يمزحون . وإنهم طبعاً سوف يدفعون الحساب ، لكن صاحب الدعوة فيهم قال أنه نسي محفظة نقوده في السيارة . فذهب معهم الشاب المغربي إلى السيارة ليأخذ الحساب . فلما تأخر في العودة خرج مدير الكافيتيريا ليبحث عنه . وعاد وهو يحمله بين ذراعيه عارقاً في دمائه بعد أن شرطوا له وجهه بالموسى وشوهوه وحاولوا أن يقتلوه . . وهربوا - برضه - دون أن يدفعوا الحساب ! ! . .

المدير

المساعد

الألماني السهران الليلة مسر « تشورتشيك » . طلب مني أن أفحص شيئاً لم أفهمه بالضبط في دورة المياه . على أن أحد معي المفتاح ! . . لم أفهم مفتاح إيه ؟ هو فيه في دورة المياه حاجة مقفولة عشان تحتاج إلى مفتاح ؟ ! . قلت لـ « ريتشارد » فلم يفهم هو الآخر مفتاح إيه ؟! . . وذهبت معاً « ريتشارد » وأنا . نبحث في دورة المياه عن ذلك الشيء الذي يحتاج إلى مفتاح هناك . فحدث ما حدث . وكانت هذه هي أول مرة ألتقي فيها بالمصحية لندن وجهاً لوجه .

ونحن في طريقنا إلى دورة المياه و « ريتشارد » يتقدمني خطوته السريعة المهرولة ، نحب بركن عيني ثلاثة شباب يدخلون من باب الفندق شكلهم يبدو كالفتوات أو السكارى . . وأسرع واحد منهم الخطى ليصبح وراء ظهر « ريتشارد » مباشرة حتى ليكاد يلتصق به من الخلف دون أن يشعر « ريتشارد » ودخل « ريتشارد » دورة المياه ووراءه الشاب الذي يكاد يلتصق به . وأثناء دخول الثاني — وكنت قد بدأت أشعر بقليل من الإرتياب لمظهرهم وضعت قدمي أمام قدمه فتعثر قليلاً لكنه ظن أنها حركة غير متعمدة . وكنت أنوي لو لاحظها أن أدعي أني كنت أمزح . ودخل « ريتشارد » ووراءه الشبان الثلاثة وأنا في الآخر وبمجرد أن أصبحنا جميعاً داخل دورة المياه وبابها مغلق وراءنا التفت « ريتشارد » فرأى الشبان الثلاثة . فجمد في مكانه بين أحواض الغسيل وقد بدا على وجهه الفزع الشديد . لم أفهم شيئاً في البداية ، وظننت أنهم أصدقاؤه حين سمعت واحداً منهم يناديه باسمه « ريتشارد » . ولكن كان واضحاً من رعب « ريتشارد » الشديد وعدم رده على كلامهم أن في الأمر شيئاً . . ولم أفهم حرفاً واحداً من

كلامهم بلهجة الـ « كوكني » ، فرسمت على وجهي ابتسامة ذكية — آل يعني فاهم — ووضعت يدي في وسطي بثقة شديدة جداً . . ثقة واطمئنان الجاهل الذي يحاول أن يبدو فاهماً . ولعل ذلك كان السبب في نجاتنا أنا و « ريتشارد » — . . ووقف اثنان منهم يسدان بظهريهما باب دورة المياه من الداخل . في حين بدأ الثالث يتراقص حول « ريتشارد » وهو يسبه بأقذع السباب البذيء . و« ريتشارد » ساكت تماماً والرعب يقفز من عينيه ويكاد يقتله . ويحاول الشاب الذي يتراقص حوله أن يقبله في شفتيه . فلا يفعل « ريتشارد » أكثر من أن يرفع ذراعيه ليحمي وجهه وأبدأ أفهم الموقف حين أتذكر أن إسم « ريتشارد » مكتوب على الـ « بادج » الذي يحمله على صدره . فليس غريباً إذن أن ينادوه به ، وحين يستطيع « ريتشارد » أخيراً أن ينطق فيقول برعب شديد وبصوت منخفض جداً لا يكاد يسمع : « إن عنده الآن شغل في المكتب في الخارج » فيقول الشاب الذي يتراقص حوله : « ما انت هنا برضه تشتغل يا . . . » ويسبه ببذاءة . .

وبابتسامتي الواثقة الجاهلة وبثقتي الشديدة وببساطة جداً تحركت ناحية الباب في حركة طبيعية أريد الخروج ، لكن واحداً منهم اعترض طريقي بجسمه كله يعلق الطريق إلى الباب في وجهي ، فيقول لي « ريتشارد » والرعب يكاد يشله : « إبق هنا كما أنت يا قدري ولا تحاول الخروج » فعدت إلى مكاني . . ففوجئت بأن الذي كان يتراقص حول « ريتشارد » قد تركه وجاء إلى ناحيتي هو وواحد آخر ليتراقص الإثنان حولي ويمدان أيديهما ناحية وجهي محاولين إثارة رعبي . لكن في الوقت الذي كنت فيه أفور وأغلي في داخلي كانت ابتسامتي الواثقة المطمئنة على شفتي لا تغادرهما ، ولم أتحرك ولم أهتز ولم يبد علي الرعب الذي كانا يتوقعانه ، ومن ناحيتي فإن أي حركة زائدة منهما كانت ستؤدي إلى أنني سأبدأ على الفور معركة سأكون أنا الطرف الضعيف — جداً جداً

ـ فيها قطعاً ، وسوف أضرب عنقة ترقدى شهراً فى المستشفى . لكن الضجة التى ستحدث نتيجة هذه المعركة سوف تمكن « ريتشارد » على الأقل من الهرب من دورة المياه وطلب النجدة ، أو سوف تلفت نظر الآخرين فى الخارج ، خصوصاً أن الفندق فى الليل يكون مليئاً برجال أمن المطار الذين يقيمون فى الفندق ويقضون أغلب الليل سهارى فى البار أو فى الكافيتيريا لكن الذى حدث أنه يبدو أن ثقتى الزائدة جعلت الشباب الثلاثة يعدلون عن الإستمرار . فابتعدوا عنى . ثم انسحبوا بهدوء بعد أن هددوا « ريتشارد » وتوعدوه . وقبل أن يخرجوا من باب دورة المياه كان « ريتشارد » قد انفلت من بين أقدامهم إلى الخارج كالأرنب المذعور . . ووقفوا فى ظلام موقف لسيارات خارج الفندق يراقبون ماذا سوف يفعل وأنا أرى ضوء سجائرهم المشتعلة يتوهج فى الظلام . . وما كادوا يرونه يسرع نحو التليفونات الموضوعة على مكتب الـ « بورتر » حتى أسرعوا بالفرار . . وطلب « ريتشارد » رجال الأمن من البار . لكن البلطجية الثلاثة ذابوا فى الظلام ! »

لا بأساً

بدلتى

الشيك — بتاعة الماسات — راكباً المترو « أندوجراوند » من « هونسلو ويست Hounslow-west » إلى لندن فى طريقى إلى موعد هام . ولدان فى الرابعة عشرة وأنا صاعد إلى المترو « هبلتى » واحد منهما كتفاً على غير توقع منى ، لوحنى ، دون أن يقول لى — كعادة الإنجليز المهذبين — « متأسف » أو « Sorry » . ضايقنى أنه لم يعتذر . . ركبا نفس العربة التى ركبت فيها : لم يجلسا ، وإنما راحا يتشقلبان ويتصارعان ويتضاربان ويتمازحان بصوت عال وبطريقة عنيفة مزعجة أثارت ضيق وتأفف كل ركاب العربة الإنجليز . . لكن كل واحد فى حاله . . أقرأ كتاباً باللغة

العربية . . الولدان ينظران إلى ناحيتي وبتهامسان . . يزدني بأعينهما وقد تأكدا أني غريب بدأ يعاكسانى ويشاكسانى بالإيماءة وبالحركة . وأنا أكره دلع الصبيان ومياصيهم من البنات مقبولة لكن من الصبيان مرفوضة لأنها دليل عدم الرجولة تماديا وشعر كل الركاب بأن الصبيين يتحرشان بي فنت في نفسي يا ولد إقصر الشر وكنها كام محطة وتنزل وتترك هم المترو حاله . تذكرت فيلم « الحادث » الذي جرت حوادثه كلها في داخل عربة مترو كهذه . . لكنهما يتمهلان . . واحد منهما في يده ورقة مكتوبة بها آثار صابون وتش نظرها إلى زميله البعيد عني في ناحية أخرى لكنها — بنعمة — تحولت لتلبس في جانب رأسي ! ! رفعت رأسي عن الكتاب ورمقت الولد بنظرة نارية . نظر في عيني بوقاحة وبجاحة وقال ببرود وتحد واستفزاز : « متأسف Sorry » كأنه يشتمني . . أقفلت كتابي بهدوء جداً فتحت شنطة ورائي ووضعت الكتاب فيها . بهدوء جداً . أقفلت الشنطة مرة أخرى . بهدوء جد . . وضعت الشنطة فوق الكرسي الخالي إلى جواري . بهدوء جداً وقمت من مكاني بهدوء جداً . واتجهت إليه في خطوات عادية جد ووجهي جامد لا يحمل أي تعبير . حتى واجهته تماماً . فرفعت يدي . بهدوء جداً وبطء جداً . وقفته بكل قوتي — قلماً على صدغه سيظل يحسب به ويحلم به طول حياته ، ربما كدفع رمضان في سكون العربة التي كان كل ركابها ينظرون إلى ناحيتنا في ترقب شديد . وقلت له ، بهدوء جداً وبرود جداً وغلاسة جداً . « متأسف Sorry » ووقفت أمامه أنتظر رد الفعل . . فلم ينبس ببنت شفة فاستدرت بهدوء جداً ، وعدت إلى مقعدي ، وفتحت شنطتي ، وأخرجت كتابي ، وعدت إلى القراءة من جديد . . . .

ونزل الولدان في المحطة التالية . . .

بس . خلاص . . . .

(٩)

☐ صاحبة الجلالة . . الطباخة . ! ☐

في

القاهرة

كنت لا أذهب إلى مكتبي في المجلة غير مرتين في الأسبوع ، وفقط لكي أقدم المادة التي أنا ملتزم بتقديمها أسبوعياً . أو لاستقبال الضيوف الذين لا أستطيع أن أطلب منهم المجيء لمقابلتي في بيتي . من مميزات العمل الصحفي – برغم مشاقه ومتاعبه في أغلب الأحيان – إن الصحفي يكون « حُرّ نفسه » : ينام حينما يشاء ، ويستيقظ حينما يشاء ، ويكتب عندما يشاء . ولا يكتب إذا لم يشأ . ويخرج وقتما يشاء . ويعتكف ويضرب عن النزول عندما يشاء . لأنه غير ملتزم بأية مواعيد . اللهم إلا مواعيد المطبعة . وطالما أنه وفى بوعده مع المطبعة فهو حر بعد ذلك تماماً وغير مقيد بشيء . .

اليوم عدت من لندن إلى بيتي في « كرانفورد » متأخراً . وكان عليّ أن أستعد للسهر طول الليل في عملي بالصدق . فنمت من الساعة الخامسة مساءً على أن أستيقظ ٨٫٣٠ مساءً . فيكون لديّ وقت كاف لكي آخذ حماماً دافئاً وأنزل إلى الفندق فأصل إليه قبل العاشرة بوقت مناسب . . إستيقظت فجأة فوجدت الساعة ما زالت الثامنة إلا ربعاً . عدت ساعة إلا ربعاً أخرى أنامها . . نمت مرة أخرى واستيقظت لأجد الساعة ٩٫١٥ والمفروض أنني أركب أوتوبيس الساعة ٩ وثلاث دقائق ! ! . . بأقصى

سرعة ممكنة كنت قد تشطفت ولبست فى ١٠ دقائق - عدلت عن الحمام الذاتى طبعاً - ونزلت أجرى كالمجنون فى شوارع « كرانفورد » الهادئة حتى أستطيع أن أصل إلى المحطة قبل وصول أوتوبيس التاسعة و ٣٣ دقيقة دخل كلانا المحطة فى لحظة واحدة : الأوتوبيس وأنا وبالكاد لحقت شغلى فى موعده .

آخر أدب . لمواعيد الإنجليزية الصارمة علمتنى أدباً جديداً إسمه : « أدب المواعيد » .

أشفقت

جداً على

« كيم kim » الـ « بوردر » الإنجليزى الصغير - ليس أكثر من ١٨ سنة - ذى الشعر المهلهل الذى يعمل فى وادية النهار مدة ١٤ ساعة يومياً وينصرف من الفندق بعد العاشرة ليلا ليكون هنا مرة أخرى قبل الثامنة صباحاً ! ! . . أشفقت عليه جداً حين دخلت فى الصباح الغرفة التى يبدو فيها ملابسنا فوجدته نائماً على كرسى وعيناه حمراوان كالدم من فرط الإرهاق والتعب وقلة النوم . حياة شاقة جداً وتعيسة جداً ، ربما لا يحكم على أحد بها .

و الـ « بوردر » العجوز مستر « والينجتون » أو « وولى » رئيس وادية الصباح ، كان سعيداً جداً الليلة وهو يريني شاره سلسلة فنادق الـ « ستر هوتيلز » التى يضعها فى عروة جاكتته . . حصل عليها صباح اليوم فقط بمناسبة مضى ٥ سنوات على التحاقه بالعمل فى الفندق . هنأته بحرارة فكشف عن معصمه ليريني ساعة ذهبية حصل عليها من قبل ، عام ١٩٦٢ ، فى مناسبة مشابهة . . قال لى « وولى » إنه سيخرج إلى المعاش فى ديسمبر القادم حين يبلغ الستين ، أمضى منها ٣١ سنة « بورتر » فى الفنادق ! ! . . يا فرحته وهو يحكى لى

ذلك كله . . وبا فرحته وهو ينهى حياته كما بدأها : « پورتر » . وسيقضى أيام شيخوخته يحكى لأحفاده عن أمجاده العظيمة كـ « پورتر » مجيد يستحق تمثالاً على ناصية حارة سد فى باب الشعرية . .

طبيل فى الدنيا كتير صحيح لكنهم فى إنجلترا بشكل مكثف ! !

وكلما

تصورت

أن هذه الحياة يمكن أن تكون حياتى فعلاً — « پورتر » طول عمرى — جزعت .. فإنه من الممكن هنا — وفى أى مكان فى العالم — أن يبدأ الإنسان حياته « پورتر » وبالبدى شيالا وينتهى شيالا كما بدأ ، كما هو الحال مع « زملائى » پورترز النهر العواجيز الذين قاربوا الستينات ولبسو بطاريات نظر وركبوا أطقم أسنان ولسه « پورترز » كما هم . . شيك صحيح وشكلهم حلو ووجيه وإنجليز ، وتراهم بالملابس العادية فتظنهم لوردات ، لكنهم طلعوا نزلوا . « پورترز » . . وما أسوأها حياة يمكن أن يعيشها الواحد بلا أى أمل فى أى ترقية أو تقدم خطوة واحدة للأمام فى المستقبل . . حايرقوا الشيال يبقى إيه ؟ ! باش شيال ؟ ! . طيب أنا حاشتغلها ٤ شهور وماشى ، وباعتبرها تجربة صحفية وتعدى ، لكن الدور والبال على اللى حياتهم حاتفضل كده طول عمرهم . . وحين أنظر فى وجوه « ريتشارد » و « تونى » زميلى فى واردية « پورترز » الليل ، وكلاهما فى الرابعة والعشرين من عمره ، يعنى فى عز الشباب ، أتصورهما بعد ٣٠ سنة وقد أصبح كل منهما « والينجتون » آخر قارب الستين وأوشك أن يخرج إلى المعاش وهو لسه « پورتر » برضه . .

ومجموعة

الـ « بورتور »

الذين يعملون في واردية الليل – وأنا منهم – حفاويش لا يعملون إلا في الليل فقط . وطول اليوم بعد ذلك ملكهم يفعلون فيه ما يشاءون أما مجموعة الـ « بورتور » الذين يعملون بالنهار فحاجة غريبة جداً : يسلموننا الواردية الليل ويتسلمونها منا في الصباح التالي نحن نعمل ١٠ ساعات في اليوم وهم يعملون الـ ١٤ ساعة الباقية ينهون ورديتهم في العاشرة ليلاً ويتسلمونها من جديد في الثامنة صباحاً . فإذا فرضنا أن ساعة أخرى يضيعونها في المواصلات ليلاً ومثلها في المجيء إلى الفندق صباحاً ، فيتبقى لهم من يومهم ٨ ساعات فقط يا دوب لنومهم ومش كفاية . دون أن يروا ضوء الشمس في الشارع أبداً . وقطعاً يخرجون من بيوتهم ٧ صباحاً وأولادهم ما زالوا نائمين ويعودون الساعة ١١ ليلاً ليجدوا أن الأولاد قد ناموا مرة أخرى !! . . أي حياة هذه ؟! .

وكنت أتصور أن ورديتي الليل والنهار تتبادلان أحياناً وفقاً لنظام ما . لكنني اكتشفت أن الذي يعمل بالليل يظل طول عمره يعمل بالليل . والذي يعمل بالنهار يظل طول عمره يعمل بالنهار . وما أشقاها من حياة !! . .

شاب

أسمر

هادئ جداً لا يكاد يتكلم . عُيِّن حديثاً في مكتب الإستقبال منذ نحو أسبوع . كنت أتصور من لونه الأسمر وملامحه أنه أسباني أو إيطالي ، لكنني فوجئت به الليلة وهو يقول لي : « مساء الخير . كيف حالك ؟ » باللغة العربية ذات اللكنة . . ويتضح أنه تونسي من مدينة

تونس العاصمة وإسمه « منصور نور الدين » . ولم أكتشف أنه عربي إلا بعد أن عملنا معاً بضع أسبوع تقريباً

حاتم

غريب

جداً هؤلاء الإنجليز . لعمل في إنجلترا شوشة بعير ، تصريح عمل » يصدر من وزارة العمل البريطانية ولو كنت شاباً مصرياً بدون حصولك على هذا التصريح (خرط القتاد) كما يقولون . يعني تطول الشمس ولا تطوله ومع ذلك فأنت تستطيع أن تذهب إلى أي مكتب من مكاتب استخراج « بطاقات تأمين » الحكومية تستخرج « إنشورانس كارد » أو « بطاقة تأمين » تقدمها لصاحب العمل فيسمح لك بالعمل على اعتبار أن « بطاقة التأمين » هذه تعتبر « موافقة » بصورة ما من الحكومة البريطانية على أن تعمل سيادتك في إنجلترا ! ! .

أنا متأكد أن الإنجليز نفسهم مش فاهمين الحكاية دي بجاية ازاي . . لكن طاعتهم الشديدة للنظم والقوانين تجعلهم لا يناقشونها

تحت المطر المنهمر بشدة اليوم في عز أغسطس — ذهبت فاستخرجت « بطاقة التأمين » هذه من مبنى يسمى « هيث هاوس » في حي « آيزلوود » في نفس الضاحية التي أسكن فيها (ميديسكس) . أفادني هذا المشوار في اكتشاف شيئين في لندن كانا جديدين عليّ تماماً . الأول كانت « بيسة » قد لاحظته قبلي وكلمتني عنه لكنني لم أتوقف عند كلامها كثيراً وظننته مجرد انطباعة سطحية .. عندنا في مصر مثلاً . ضاحية المعادي لها شكل خاص أو طابع خاص ، مختلف تماماً عن ضاحية حلوان التي لها طابع متميز . . مصر الجديدة لها طابع مختلف ، منطقة الهرم لها طابع مختلف ، السيدة زينب لها طابع مختلف ، باب الشعرية له طابع وشكل مختلف ، المنيل والروضة لكل

مهما طابع مختلف . وهكذا . . لن تجد حيين يتشابهان فى القاهرة . . لكن هنا فى لندن سوف تجد الضواحى تتشابه تماماً إلى حد التطابق بشكل مذهل . . لدرجة أن ضاحية مثل « إيبنج برودواى » فى أقصى غرب لندن تشبه تمام الشبه ضاحية « ويست كرويدون » فى أقصى جنوب لندن . وتشبه أيضاً منطقة « هونزلو بيل » فى جنوب شرق لندن و « سلاو » جنوب غربى لندن بحيث إنهم لو عطوا عينيك وأخذوك فى سيارة مثلاً وأتروك فى الميدان الرئيسى لإحدى الضواحى ، ثم كشفوا عينيك وسألوك عن إسم هذه الضاحية فلن تعرف ، لفرط التشابه بين ضواحى لندن .

الشىء الثانى الذى اكتشفته من مشوار اليوم هو أن كل ضاحية من ضواحى لندن بها شارع رئيسى يسمونه الـ « هاى ستريت » . . وهذه الـ « هاى ستريت » عبارة عن نسخة مكررة ومصغرة لـ « أوكسفورد ستريت » الشارع التجارى الرئيسى فى وسط لندن . وسوف تجد فى هذا الشارع . فى كل ضاحية من ضواحى لندن . فروعاً لكل المحلات الرئيسية الكبرى فى لندن نفسها ، إبتداء من « سان مايكل » أو « ماركس آند سبنسر » و « وولورث » و « سى آند إيه » و « بريتش هوم » و « بوتس » وغيرها ، بكل ما فيها من بضائع ولوازم تماماً كما فى المركز الرئيسى فى لندن . قطعاً هذا أيضاً عامل من عوامل التسهيل والتيسير ، فأنت لست محتاجاً إلى أن تكلف نفسك عناء ومشقة النزول إلى لندن لشراء حتياجاتك من المحلات الكبيرة هناك ، لأن المحلات الكبيرة نفسها تنتقل إليك لغاية عندك حيثما كنت فى أى ضاحية من ضواحى لندن .

حين

تركب

نفس الأوتوبيس فى نفس الموعد كل يوم . صباحاً أو مساء . وإنك تلتقى داخل الأوتوبيس دائماً بنفس الوجوه التى تركب نفس الأوتوبيس باستمرار ، سواء كنت تركب قبل محطتك أو بعد ركوبك أنت .. مثل ذلك الرجل الباكستانى الوقور ذى اللحية المحمومة داخل شبكة وعمامته الباكستانية العالية . وتلك الشابة الحسناء ذات الشعر الأحمر والمشى الطريف يملأ وجهها الجميل . أكاد أهب لتحيتها حين تصعد إلى الأوتوبيس بعدى بمحطة كل صباح . إذ إنها تشبه إلى حد التطابق صديقة مصرية عزيزة فى تعيش فى مكان آخر فى أوروبا . .

حضرت

اليوم

مشهداً رائعاً فى محطة الأوتوبيس الرئيسية فى منطقة « هونزلو بيل » . كنت والصديقة المصرية « سهير حمزة » الطالبة فى تجارة عين شمس عائدين من زيارة القنصل المصرى « مصطفى كمال عبد الفتاح » فى بيته فى « ريشموند » . . وفى محطة الأوتوبيس الرئيسية فى « هونزلو بيل » حيث تتجمع بدايات عدة خطوط وتشبه محطات الأوتوبيس التى أمام المبنى المجمع أو الهيلتون فى ميدان التحرير بالقاهرة . . الوقت التاسعة مساء ، ومجموعة فتيان أعمارهم لا تزيد عن ١٨ سنة يجرون ويرحون فى وسط المحطة وفى وسط الناس ويثيرون ضجة وضوضاء عنيفتين لا تتناسبان مع هدوء المكان فى أى ساعة من ساعات النهار ، وشكلهم يبدو كما لو أنهم يحاولون إثارة شغب بشكل أو بآخر

الواضح أن الناس الواقفين على أرصفة المحطة فى انتظار أوتوبيساتهم

متضايقون . لكن أحداً لا يتكلم . قلت لـ « سبير » « آهم دول اللى تخاف منهم . مش الزنوج » . . قبل أن تنهى عبارتى . وفى لحظة . كانت سيارة صغيرة جداً مكتوب عليها « بوليس » تتوقف فجأة فى وسط المحطة . وينفتح باب ويلتزل منه ضابط بوليس بدين متوسط العمر ويبدأ الأولاد يجرون فى الإتجاه المضاد . لكن الضابط لا يفعل شيئاً أكثر من أن يقف فى مكانه ويرفع إصبعه السبابة من يده اليمنى مشيراً إليهم وهو يصرخ فيهم بجسم سامية : « you, stop. » أو « قفوا مكانكم » !! فيتوقفون جميعاً فى أماكنهم كأنهم فيلم سينما أوقف فجأة عند صورة معينة . أو كأنه يوهم معاصيب . ثم يشير إليهم — بإصبعه فقط أيضاً — أن يقتربوا منه . فيقتربون فى تردد ووجل وأنا أتصور أنى أسمع دقات قلوبهم عالياً . ويقفون أمامه صف فى سكون وقد اختفت أصواتهم تماماً . لم يفتح واحد منهم فمه بكلمة واحدة . وينزل فيهم الضابط توبيخاً وتسيحاً وتأنيباً أمام كل الناس الواقفين على المحطة . لمدة ١٠ دقائق . وهم واقفون متحشمون كالأرانب المذعورة وقد أطرقوا برؤوسهم إلى الأرض وشبكوا أيديهم خلف ظهورهم حتى يتسنى من تأنيبهم فيخرج دفتره من جيبه ليكتب أسماءهم وعناوينهم وهم يهمسون بها بصوت لا يكاد يسمع . ويأمرهم بالإنصراف إلى بيوتهم فوراً . فينصرفون مهرولين فى اضطراب . .

هكذا الإنجليز . يوفرون لشعبهم كل شىء الرعاية الصحية والغذاء والتعليم والعمل والأمان . فإذا انحرفوا أحدوهم بالقسوة على الفور ، حتى يرتدعوا . .

كلما رأيت شيئاً يعجبنى فى بلاد الفرنجة قلت فى دخلى : عقبالنا يا رب ! ! . .

المانشتات

الرئيسية

في الصفحات الأولى في كل صحف الصباح اليوم تحكي قصة القصص عن أميرة عربية صغيرة عمرها ١٥ سنة وهي تسرق ٣ قطع ملابس من محل كبير في « أوكسفورد ستريت » قالت الصحف إن الأميرة (اللصة) حين ضبطت (متلبسة) وفي حقيبتها المسروقات كان في حقيبتها أيضاً مبلغ ٤٠٠ جنيه إسترليني !! . وقالت الصحف أن الأميرة ذكرت أنها لا تعرف كيف « وصلت » هذه الأشياء إلى حقيبتها . ولعل أحداً دسها فيها لكي يحدث فضيحة . وقالت أيضاً أنه ليس من المعقول أن تكون خارجة لتشتري مشتريات وفي حقيبتها مبلغ ٤٠٠ جنيه دون واحد ثم تسرق أشياء تافهة كهذه . . وقالت الصحف الإنجليزية أيضاً إن سكرتير والد الأميرة — الذي كان ينتظر في سيارته خارج المحل — جاء على الفور وتفاهم مع مدير المحل الذي أخلى سبيل الأميرة ، لتخرج وتستقل سيارتها الـ « رولز رويس » التي تحمل أرقاماً عربية . يعني جاءت بها معها من بلدها خصيصاً لتنقلاتها دفعت الشيء الفلاني في مقابل شحنها من وطنها إلى إنجلترا وبالعكس . ولم تشتره من بلدها ! ! . .

أن مع الأميرة الصغيرة في أن هذه المسروقات قد دست عليها لإحداث فضيحة وضجة وشوشرة في الصحف الأوروبية ضد العرب تظهرهم في صورة اللصوص أيضاً !

طول

عمري

وأنا أحب الأطفال وبيني وبينهم تحدث كبير . . طفلة صغيرة كانت تقف مع والديها أمام مكتب الإستقبال المواجه لمكتبي في الصدق ،

ينتظرون دورهم فى التسجيل . رأتنى أنظر إليها فى ود فابتسمت لى . . إبتسمت لها فلوحت لى بيدها الصغيرة . لوحت لها بيدى فتركت والديها عن الدور وجاءت إلى مكتبى لتفتح دوغرى تحكى لى قصة حياتها . إسمها « جودى » وعمرها ٨ سنوات ولها شقيقان أكبر منها واحد عمره ١٨ سنة والآخر ١٦ . ومسافرة مع والديها إلى إسبانيا عاماً فى أجازة لمدة أسبوعين إنجليزية لسبب تتكلم بسرعة ١٠٠٠ كلمة فى الثانية . كأنها راديو صاح المفتاح الذى يقفله !

بحكم العادة والمرن والخبرة المكتسبة تعلمت الإبتسامة المرسومة التى تظهر وتختفى بسرعة كشمس لندن إبتسامة على الشفتين فقط ولا علاقة لها بالقلب عن الإطلاق . إبتسامة تصعد على الشفتين وتختفى بشكل آلى ميكانيكى . والمفروض أن تبدو ابتسامة مرحة سعيدة . وتعلمت أيضاً حركات التى تعجب الرجال . الرجال الأمريكان تعجبهم الحركات الإستعراضية والـ « تروللى » ذى العجل القلاب الذى تحمل عليه الحقائب يندهشون جداً حين يرونى أصعد به السلم بسهولة جداً وعجلاته يتعبر وضعها مع كل سلمة . كأنهم يرون تحفة غير عادية أو كأننى اخترعت صاروخاً يصعد صاعداً السلالم سلمة سلمة . لماذا يحبون التقشيش ! ! . .

وبمناسبة التقشيش ، فإن الهنود الذين تراهم هنا فى الفندق لا يدفعون تقشيشاً على الإطلاق . ومع ذلك فهم متغطرسون جداً ويتكلمون من أطراف أنوفهم وبعال شديد كأن الواحد منهم قد اشترى الفندق وموظفيه بالجنيهات السبعة التى يدفعها فى الليلة . . وطلباتهم اجنبية لا تنتهى كالشاى والزبد والمربى . أما الطلبات التى بفلوس فهم لا يقتربون منها . . وناقص الواحد منهم يطلب منى أن ألمع له الحزمة أو يقول لى « تعالى طقطق فى صوابعى » ! ! . .

وبمناسبة التقشيش أيضاً : الآن وبعد مضى أكثر من شهر لى فى

العمل ، اعتدت القشيش ولم أعد أحمل منه . العكس ، أصبحت في نهاية كل أسبوع أكتشف أن حصيلتي من القشيش كانت أكبر من مرتبي نفسه ! ! .

أتصور أنني بعد عودتي إلى عملي الصحفي في القاهرة . سوف أكتب مقالاتي وأقدمها إلى رئيس التحرير وأقف في انتظار القشيش ! ! .

يبدو

أن

مشاكلي مع العمل سوف تبدأ الآن . ويبدو أن شكلي الجاد الرزين المحترم . حتى وأنا ألبس بوبيون الـ « بورترز » — لا يريح بعض الناس الفلس الذين يعملون هنا . فأغلبهم يتعاملون معي بتحفظ شديد جداً . إلا زملائي الـ « بورترز » وقلة من فتيات وشباب الاستقبال مثل « جوانا » و « لورين » و « كارول » و « بوب » و « كريس » والتونسي « منصور » . .

دخلت الليلة في الرابعة صباحاً إلى الكافيتيريا لأتناول عشائي . وأنا أتناوله في هذا الموعد عادة ، فكادت أن تحدث أزمة بيني وبين الجيزبون « باتريشيا » الطباخة ، وهي شابة ربع حسناء تقترب من الأربعين ، لكنها ذات دلال على الجميع هنا والكل يسعى إلى كسب رضاها وودها وقبلاتها التي لا تمنعها عن أحد ، إلا أنا لأنني لا علاقة لي بالمطبخ ولا بالطباخات . ويبدو أنها تصورت ذلك كبرياءً مني أو ترفعاً ، فاصطادتني الليلة : حين دخلت لأتناول عشائي ، كانت هي في فترة راحة ، فلما ذهبت « سناء » لتقول لها إنني أطلب العشاء شخطت فيها وقالت أن تقديم العشاء ينتهي في الثالثة صباحاً والساعة الآن الرابعة ! ! أثارني أنها تصرفت هكذا وبصوت عال وبدون مناسبة على الإطلاق إلا أنني أنا وهي نتبادل الجفاء منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها ولم أكلمها

على الإطلاق منذ بدأت عملي هنا . فقدت مطوراً غاضباً وغادرت الكافيتيريا على الفور وأنا أغلي غيظاً في داخلي . كان ممكناً أن أثير أزمة ومشكلة لكن النتيجة ستكون معروفة مقدماً من الآن : سأطرد من العمل في الفندق أنا والبنات الثلاث « نيسة » و « سوسن » و « سناء » لأن الجميع هنا يتصورون أنني حاقد . لكن « سناء » جاءت تلحق بي لتقول لي إن « بيجي » مديرة الكافيتيريا تطلب مني العودة إلى الكافيتيريا وهي ستعد لي العشاء بنفسها . فرفضت فذهبت « سناء » وعادت مرة أخرى لتقول لي إن المديرة قد أعدت لي العشاء فعلاً فاكتفيت بذلك وعدت لتناول العشاء بعد أن أطهرت لهم تواجدي وأنياني التي لن تقبل شيء وقت بالزوم .

عودة من قمة الأدب الإنجليزي التي من غير مناسبة .

وفي الليلة التالية أصدرت صاحبة الجلالة الطاحنة « باتريشيا الرابعة والسبعين » فرماناً مطحياً بأن على جميع العاملين في واردية قبل أن يتناولوا عشاءهم قبل الثالثة صباحاً . وضحكت وهي سعيدة جداً حين رأتني آخذ مكاني في الكافيتيريا لتناول العشاء . فابتعد فيها — قبل الثالثة صباحاً . قد عدهم ٤ شهور وماشي . ويهمني جداً ألا أصطدم بهم . لكي أبقى لأرى وأتفرج على سحافات الإمبراطورية البريطانية العاربة ممثلة في أشخاصهم الإنجليزية العبيطة . .

الست

الـ « هاوس

كبير » العجوز « ميوريل Muriel » التي تعمل بالليل فقط . والتي تدللني كلما رأتني : « وني بوي » أو « يا واد يا شني » ! ! . أطلقت عليها إسم « ريتا » لأن من شكلها كده أتوقع أنهم سوف يضبطونها يوماً ما وهي وخلة واحد من نزلاء الفندق بالليل وتتاكل فيه على

حب . أو عاملاه شاورمة وشاكه في أوضتها .ابيل . شكلها عفاريتي جداً !

أمس وأنا أقوم بجولة لأمن الليلية للتفتيش على الصدق في الثالثة صباحاً . رأيت الست « ريا » في أحد ممرات الفندق . فطلعت تجري - آه يعني مذعورة وخايفة مني وهي تحوف بلد . ولو صامت لحد الليل سيصاب بانهيار عصبي ويطب ساكت . وإدارة الفندق قطعاً مشغلاها الليل فقط مخصوص لكي تحوف الزلاء فلا يخرجون من حجراتهم ليلا ! ! . .

الشابة

الباكستانية

الحسناء « حفيظة » صاحبة الفيللا التي أسكن فيها في « كرانفورد » . أصدرت اليوم فرماناً باكستانياً عالياً في شكل تعليمات مشددة مصحوبة بابتسامة مهذبة . بأنني يجب أن أمسح حمام بعد انتهائي من استعماله ! ! لأن الفيللا مصنوعة من الخشب ويمكن أن « تبوش » وتقع فجأة لو أن كل واحد خرج من الحمام وتركه وراءه غارقاً في الماء هكذا بعد انتهائه منه . . وقالت لي « حفيظه » إن كل شيء في هذا البلد يجب أن يراعى فيه الحرص واللباقة . . ومن باب التخفيف عني قالت إنها كانت غير حريصة مثلي هكذا حين جاءت إلى لندن لأول مرة منذ ٧ سنوات . .

وبالمناسبة : حدث اليوم صباحاً أيضاً حادث غريب في البيت : جاري الهندي في الغرفة المجاورة لي — ولست أدري أيهما . فعلى يميني هندي وعلى يساري هندي فتح باب غرفتي بهدوء وتسلل إليها وأنا نائم ، لكنه فوجئ بي أستيقظ فجأة وأفتح عيني فهرب على الفور وترك الباب وراءه مفتوحاً قبل أن أتبين شكله تماماً . . كنت لم أستيقظ تماماً من النوم فطننت نفسي أحلم وعدت إلى النوم من جديد ،

لكنني حين قمت من النوم عصراً كتشفت أن الباب مفتوح فعلاً ! ! . .

حركة غريبة جداً وغير مطمئنة . معنى ذلك أن جيراني من الممكن أن يسرقوني وأنا غير موجود ، خصوصاً أني أكون خارج غرفتي طول الليل لذا سأستأذن أختنا « حميطة » في أن أضع قفل و « رزة » على باب غرفتي من الخارج . فلن يفيدني شيء أن أبلغ البوليس هنا أنني سرقت ، لأن المفروض أن أتوارى عن أعين البوليس الإنجليزي تماماً ولا أضع نفسي في طريقه على الإطلاق حتى لا يكتشف أنني أعمل بدون « تصريح عمل » فيطردني إلى خارج إنجلترا على الفور ! .

شيء

غريب

جداً فعلاً : إشمعنى الحمام الإنجليزي الشهير موجود في ميدان الـ « ترافلجار » وفي حديقة الـ « هايد بارك » فقط ، ولا يوجد في باقي لندن؟!

رأيت اليوم حمامة تائهة تتمشى على الرصيف في شارع « أوكسفورد ستريت » فوقفت أتفرج عليها باستغراب .. كان واضحاً عليها أنها مسكينة وغلبانة ووحدانية وغريبة وغير مطمئنة تصورت أنني لو دققت النظر في « يدها » لوجدت فيها ورقة صغيرة مكتوب عليها عنوانها في الـ « ترافلجارسكوير » . وكان الود ودي أن أقطع لها تذكرة في المترو الـ « أندرجراوند » وأوصف لها الطريق إلى ميدان الـ « ترافلجار » ! ! .

تسليتنا

الكبيرة

هنا هي كتابة الخطابات المطولة إلى الأهل والأصدقاء والحبايب والمعارف ، وانتظار خطاباتهم والفرحة الكبيرة بها والرد عليها فوراً .

بعشم أن يردوا هم أيضاً على « الرد » فوراً . . ومحاولة العثور على صوت مصر فى الراديوهات الترانزستور والإستماع إلى الأغانى المصرية المسجلة على شرطة الكاسيت فى ريكوردرت الأصدقاء ، و « خايفة تلاقى وردة تحلو فى عيبيك » . و « خليك هنا خليك وبلاش تفارق . بتقول ومين وتعيب سنة بلاش تفارق . شوف كام سنة من عمرنا ضاعوا منا وبلاش تفارق » . . و « اللى كان هو اللى كان ، لا الزمان ولا المكان قدروا يخلوا حبنا ده يبقى كان ، قد اللى فات من عمرى باحبك وقد اللى جاى من عمرى باحبك » و « آه لو بإيدنا ما كانش بعدنا ولا ليلة واحدة ، وكنا فصلنا سوا للهارده وبعد الهرده ، حبيب ما يقدر عليك الزمان ، عريب غريب يا زمان » . .

آآآآآ ح . . . يا زمان ! !

مكتبي

يقع

مباشرة أمام مكتب « الإستقبال » وفتيانه الحسناوات . . « كالح » حرسون الكافيتيريا المصري الذى أطلقت عليه « سوسن » إسم « فسدان » : جاء اليوم صباحاً ليتلكأ عند مكتبي وهو يدردش معى دردشة عادية ، ثم فاجأني بسؤال غريب : سألني عن رأيي فى زميلتنا الإنجليزية فتاة « الإستقبال » الحسناء « لورين » . . فقلت له — صادقاً — ما اعرفشي عنها حاجة أكثر من إن إسمها « لورين » وأنها حمراء الشعر ووسيمة الشكل وبنت ظريفة وحسناء ، وبتعجبني أنا شخصياً . . فعاد ليسألني عن « سلوكها » ! ! . . فأيضاً قلت له — صادقاً برضه — ما اعرفشي ، لكن عموماً كل البنات الإنجليزيات كما هو واضح « واحدين راحتهم على الآخر » ومن زمان ، وأن ١٠١ ٪ منهن لسن عذراوات . . فسألني ببساطة : « مش مهم تكون عذراء أو لأ ، لكن تفتكر تكون حامل ؟ ! ! »

. سؤال غبي طبعاً . فنظرت إليه في دهشة شديدة وقلت : « لماذا كده وقطعاً ما عنديش معلومات . ويمكن لو سألت « لورين » نفسها شخصياً تلاقيها برضه مش تعرفش . لكن ليه الأسئلة دي كلها عن « لورين » بالذات ؟ » . فقال « كالح » إنه يفكر يتجوزها ! ! .

« كالح » هذا قزم ضئيل بشكله عبيط ومضحك بشعره الطويل بلون الصدأ الذي يطلقه على كتفيه . ويقول إنه طالب في معهد بني سويف التجاري . وهو معهد ليس موجوداً على كلامه على خريطة وزارة التعليم العالي أدهشني هذا التفكير من « كالح » . وتصوره أن هذه الوردة الحمراء المفتحة التي لا ترضى بأقل من « روك هدسون » أو « روجر مور » عريساً يتناسب مع بهائها وضخامتها . قد ترضى بالأخ « كالح » . فضحكت وغيرت الموضوع .

وفي نفس الليلة عرف من « أمين لعصاص » زميل « كالح » في الكافيتيريا أن « كالح » يريد الزواج من أي فتاة إنجليزية وبس . أي فتاة وسلام . ولن يأخذها معه إلى مصر إنما سيتركها هنا . . فكل ما يهمه هو أن « يعقد زواجه » على إنجليزية حتى لا يدخل الجيش في مصر ! ! . هكذا التفكير . ولو كنت أنا مسئولاً في الجيش لعملت إلى جانب كشف الهيئة كشفاً آخر للتفكير . فيكفي أن يفكر واحد مثل الأخ « كالح » تفكيراً كهذا حتى يكون مجرد دخوله الجيش حتى لو لم يتزوج إنجليزية خطراً على الجيش نفسه !

سمعت

هذا

الموضوع من قبل ولم أصدقه . . قاله لي « يوسف عميرة » — وهو قد خبر العمل في لندن لمدة ٤ سنوات حتى الآن — ولم أصدقه حتى تحدث معي الليلة . منذ عدة ليال رن جرس التليفون في مكتبي فرفعت

السماعة لأجد فتاة تسأل عن « ريتشارد » . فقلت لها إنه موجود فى واردية لكنه ليس فى المكتب فى هذه اللحظة . فقالت : « أنا « جولى » . ممكن أحضر الآن ؟ » فقلت لها ببساطة : « أهلا وسهلا . إتفضلى فى أى وقت » . فقالت : « يعنى فيه شغل الآن ؟ » قلت : « طبعاً . . الفندق مفتوح ٢٤ ساعة فى اليوم » وأدركت هى أننى مش فاهم ، وجاء « ريتشارد » فى هذه اللحظة فأعطيته السماعة ليكلمها هو .

الليلة تكلمت « جولى » مرة أخرى وسألت عن « ريتشارد » فقلت لها إنه فى إجازة الليلة . فسألتنى : « هل أنت تولى ؟ » قلت لها : « لأ . تولى فى إجازة لمدة أسبوعين » فقالت : « من إذن رئيس واردية البورترز الليلة ؟ » قلت : « أنا . قدرى » فسألتنى هل رأتنى من قبل ؟ فقلت لها إنها كلمتنى مرة فى التليفون منذ عدة ليال . فقالت : « كويس . . هل هناك شغل لى الليلة ؟ » قلت بغباء : « شغل إيه ؟ » قالت : « شغل شغل » ! ! . . فلم أفهم وطلبت منها أن تزيدنى إيضاحاً . . ثم فى لحظة لمع فى ذهنى الكلام الذى كان « يوسف عميرة » قد قاله لى ، من أن الـ « بورتر » فى خدمة النزيل فى كل شىء حتى لو طلب منه أن يحضر له فتاة تقضى معه الليلة ! ! . .

تركت سماعة التليفون لـ « أنتونى » السائق الذى كان يقف إلى جوار مكتبى فى ذلك الوقت ليتفاهم هو معها . وتركت المكتب كله ولم أعد إلا بعد أن أنهى « أنتونى » المكالمة وبراءة السائقين فى عينيه ! ! . .

نزيل
أو ساكن

الغرفة رقم ٦٧٠ يرفع سماعة التليفون ليطلبنى : « عايز بنت الليلة » !! . ابن الـ . . ثرت وكدت أشتمه وألعن أبو خاش جده ، لكننى عدت فتمالكت أعصابى ، ومساهمة منى فى تبويظ أخلاق الشعب الإنجليزى —

آل يعني هي ناقصة — حولته على واحد إنجليزي مثله يلبي له رغبته .. حولته على « ريتشارد » و (تفاهما) . وآهم إنجليز في بعض وهم أحرار . .

والليه. الأخ « صالح هيبل الرمضان » عامل عربي في مد خط أنابيب بترول في البحر في هولندا . . لا يقرأ ولا يكتب العربية ولا يعرف من الإنجليزية غير كلمة واحدة هي : « No » . . كانت عنده مشكلة بسيطة : لأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية فإن شخصاً ما كان المفروض أن ينتظره في الفندق هنا لكي يأخذه إلى مطار لندن غداً صباحاً ليسافر إلى بيروت . . لكنه بعد أن وصل إلى الفندق هنا إتضح أن هذا الشخص شخصية وهمية لا وجود لها ! ! . حكى الأخ « صالح هيبل » مشكلته ! « بيسة » حين عرف أنها مصرية ، فلم تفهم « بيسة » شيئاً فأحضرته في لنظل لازقاً بجوار مكتبي نحو ٤ ساعات حكى لي حكايته حلالها ١٠ مرات دون أن أفهم منها شيئاً أنا أيضاً . وأخيراً ، وقرب الثانية صباحاً قال وهو يقدم لي سيجاراً فاخراً : « ممكن أطلب منك طلب : ولولا الأخوية ما كنت طلبته منك ؟ » قلت — وأنا أتوجس شراً عادة من هذه المقدمات « الأخوية » — : « تحت أمرك » فقال بهدوء جداً : « عايز بنت تقضي معايا الليلة » ! ! . ووضعت أعصابي في ثلاجة ١٧٢ قدم حتى لا أفقعه فلم أحييه الأرض قدام الناس الحواجات الواقفين والرايحين والجايين ، وقلت له : « والله يا أخ صالح ، الـ « بورترز » الإنجليز بيعملوا الحكاية دي ، لكن إنت عارف إننا كمصريين وكشرقيين مش بنعملها ، معلش ، تعالى على نفسك شوية واستحمل لغاية بكره ، وآديك بكرة رايح بيروت تعمل هناك زي ما أنت عايز » . . لكن يبدو أنه لم يفهمني مع أنني كنت أكلمه بالعربي طبعاً ! ، أو يبدو أنه في وقفته الطويلة إلى جانبي رأى البنات الأجنبيات شبه العاريات فاتحمس ، فقال لي في رجاء وتوسل أنه يعمل في وسط البحر منذ يونيو الماضي . . أردت أن أصعب له المسألة فقلت : « طيب إفرض إن واحد من الـ « بورترز »

الإحبير نفذ لك طلبك . حاتفاهم مع الست إراى وإنت مش بتعرف ولا كلمة إنجليزى » ؟ ! . فقال محتجاً : « مش مهم . هو أنا حابيها عشان أتكلم وياها ؟ ! » وبعدين ف أخونا ده ؟ ! أصعبها له أكثر . فقلت : « ماهو مش معقول يأخ صالح إنك ترمى ٥٠ جنيه . ويسرلبى كمان . فى حاجه بافهة زى دى » ؟ ! . . فقال لى مثلاعربياً لست أذكر نصه الآن . لكن يقابله فى الأمثال المصرية المحتاج مجنون » أو شىء من هذا القبيل . فلم أر بداً حتى أورعه بصنعة لطافة - من أن أدعى أنى سأخبر « ريتشارد » بنصه . وقلت لـ « ريتشارد » بالإنجليزية التى لا يفهمها الأخ صالح : « ريتشارد . . هذا النزيل يريد أن يتمشى الآن فى عرفه ، ممكن ؟ » فأجاب « ريتشارد » على الفور : « Oh,no .. . . أنت تعرف أن الإفطار فقط هو الذى يقدم فى الغرف » . . وكنت أريد من الأخ « صالح » أن يسمع فقط من « ريتشارد » إلى : « Oh,no » هذه . أما الباقى فمش مهم لأنه لن يفهمه ، وعدت أقول لـ « ريتشارد » « إذن فهو يريد الإفطار فى غرفته » فرد . « فى أى وقت ؟ » قلت : « ٧٫٣٠ صباحاً » فسحب « ريتشارد » الكشف الذى يسجل فيه رغبات الزبائن الذين يريدون الإفطار فى غرفهم وسجل فيه رقم غرفة صاحبنا وكتب أمامه الموعد . . وسألنى الأخ « صالح » ماذا قال ريتشارد ؟ فقلت له : « آديك سمعت بنفسك لما قال Oh, no .. يعنى ماعندوش بات فاضيين فى الوقت الحالى . . لكنه وعد — زى ماشفت — بأن يحجز لك واحدة فى أول فرصة . وده حيكون يوم ٢٨ نوفمبر بإذن الله وعليك خير وكنا يوم ٢٩ أغسطس — يعنى إن شاء الله وانت راجع لندن المرة الجاية حا يحمل حسابك » ! ! . .

آل وسعه « صالح » . . الله يخيبه ! ! .

(١٠)

القاهرة تغزو لندن ! !

صديقتى

الصحفية

الكندية الشابة « سوزانا ووسون » ، المرسلة المتجولة لجريدتها فى أوروبا . . فى لندن الآن لعدة أيام فى طريقها إلى « فرانكفورت » بألمانيا لحضور معرض دولى هناك . . كنا على موعد لنلتقى اليوم اتفقنا على أن يكون مكان لقائنا قاعة الإستقبال فى فندق « كمبرلاند » من أفخم وأشيك وأكبر فنادق إنجلترا . ليس لا سمح الله — لأن واحداً من ينزل فى هذا الفندق المهول : « سوزانا » تسكن فى فندق درجة عاشرة أقرب إلى البنسيونات فى حوارى لندن . وأنا أسكن فى غرفة مفروشة فى ضواحى لندن وليس لا سمح الله برضه — لأن هذا المكان هو مكانى المفضل ، فهذه هى أول مرة أدخل فيها فندق « كمبرلاند » . وإن كنت كثيراً ما حصلت على شرف المرور أمام بابه أيام أن كنت أسكن فى « ماربل آرش » وفى « ساسكس جاردنز » . . إنما اتفقنا أن نلتقى فى هذا المكان لأن أى واحد فى لندن يستطيع أن يعطى مواعيده فى صالونات الشيراتون أو اهيلتون أو كمبرلاند أو فندق بريطانيا أو فندق تشرشل . . لأن أحداً لن يمنعه من الدخول أولاً ، وثانياً لأن الحابل مختلط جداً بالنابل فى هذه الفنادق الكبيرة . ولا أحد يعرف النزلاء من غير النزلاء من المتسكعين المتصعلكين المتطفلين على صالونات الفندق زى حالاتنا . . وأى واحد أو أى واحدة ممكن أن يدخل أى فندق

كبير وجلس فى الـ « هول » أو المدخل الكبير أو صالوناته أو حتى تصعد إلى أى دور ويدخل أى غرفة دون أن يعترضه أحد . وكلما كان الفندق كبيراً وعدد النزلاء كثيراً كلما كانت المهمة أسهل أمام أى حد ليدخل الفندق ويقابل أصدقاءه هناك كأنه من أهل الدار . لذا فقد قررت أن أعطى مواعيدى كلها بعد ذلك لمقابلة أصدقائى فى بهو فندق شيراتون أو الهيلتون فى القاهرة ، علشان يفكروا إنى مهم ! !

وبهذه

المناسبة :

أختنا الطريفة « سوسن » طالبة تجارة القاهرة التى تعمل جرسونة و « تشمبرميد » فى فندق « سنتر إيربورت هوتيل » وتقيم فى بيت الـ « تشمبرميدز » فى نفس الفندق ، كثيراً ما ينتابها الزهق والملل من العمل والقعدة فى الفندق نفسه ٢٤ ساعة فى اليوم . فتلبس بالطوها الشيك الذى اشترته من سوق اليهود بستة جنيهات ، وتتمشى لغاية فندق شيراتون القريب من فندقها . تدخل وتجلس فى الصالون بـ « ألاطة » شديدة جداً واضعة ساقاً فوق ساق كأى نزيلة ترتدى بالطو بألف جنيه ، وتتسلى بمراقبة والتفرج على نزيلات الشيراتون اللائى يتعاملن مع محلات « هارودر » و « سمريدج » . وأهى كلها محلات أصحابها يهود أيضاً ، والمسألة محصلة بعضها ، يعنى حيفرق قد إيه ثمن البالطو بتاعها عن ثمن اللاطى بتاعتهم ؟ مش غايته ٩٩٤ جنيه بس ؟ . بسيطة ! ! . .

ماكينة

المشروبات

الساخنة والمثلجة ، التى تضع قطعة العملة فى ثقب فيها وتضغط على زر صغير مكتوب عليه إسم المشروب الذى تريده ، فتخرج لك كوباً من

البلاستك ملىء بالشاى أو القهوة أو الكاكاو أو الكوكاكولا . الماكينة الموضوعة فى الـ « كانتين » الخاص بالعاملين فى المصنع تعمل مجاناً . تضغط على الزر الذى تريده دون أن تضع قطعة نقود . فتحصل على ما تريد بلاش .

تدخل الـ « كانتين » فى أى لحظة فتجد إلى جوار الماكينة عشرات الأكواب مليئة بمختلف أنواع المشروبات لم يشربها الذين ملأوها ! ! . . لو كانوا قد دفعوا فيها نقوداً لشربوها ولحسوها كذلك . لكنه البطر على النعمة التى فى اليد . ومن باب « البلاش كتر منه » ! ! .

« سوسن » قالت لى مثلا شعبياً تعليقاً منها على حكاية « البطر » هذه . قلت « قال له من مالك ؟ قال له لأه . قال له طيب بدل ما تاخد حتة . خد حتة وارمى حتة » ! ! . . قالت « سوسن » مندهشة : « ظريف جداً المثل ده . أول مرة أسمعه » فقالت وهى تعود إلى شغلها . « طبعاً . وأنا كمان . لأنى نسيه مألفه دلوقتى حالا » ! ! .

سوسن

وسناء

وبيسة و « مى » و « يسرية » و « سهير » و « عقيلة » و « سعاد » و « ثريا » و « نورا » و « مى » أخرى و « سامية » و « إسراء » و « ناجية » و « أمين » و « شحاتة » و « كالح » و « ماجد » و « هانى » و « سمير » و « محيى » و « ممدوح » و « على » و « عماد » و « علاء » و « أبو زيد » و « فهمى » وغيرهم وغيرهم . . عشرات من الأسماء المصرية تحيط بى من كل جانب منتشرين يعملون فى كل مكان هنا . . وفى منطقة مطار « هيثرو » بالذات لن تجد فى أى فندق من فنادقها أقل من ١٥ من المصريين يعملون فيه . . فكيف إذن نستطيع أن نقول أن فرص العمل محدودة أمام الشبان المصريين فى لندن فى الوقت الذى يعمل فيه كل هؤلاء الشبان وعشرات ومئات غيرهم فى كل مكان فى لندن ؟ ! .

قال لى السفير المصرى فى لندن « كمال الدين رفعت » . ونفس الكلام قاله أيضاً « مصطفى كمال عبد الفتاح » قنصلنا فى لندن ، أن ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين قد جاءوا إلى لندن هذا الصيف للعمل فيها . وإن هذا الرقم رقم مهول لا يمكن أن يستوعبه سوق العمالة فى لندن. لكنى أقول إن سوق العمالة فى « إنجلترا » يستطيع أن يستوعب ضعف هذا الرقم ، لكن بشروط ينبغى أن تكون واضحة ومفهومة جداً :

ما هى — أولا — نوعية الأعمال الممكن أن يشتغل فيها الطلبة المصريون والطالبات المصريات فى إنجلترا ؟ ؟ .

القانون الإنجليزى أساساً لا يسمح لغير الإنجليز بالعمل إلا فى المجال الذى يسمونه هنا (كاترنج) أو أعمال (الخدمة فى الفنادق) . وهى الأعمال التى يرفض العمال الإنجليز أن يشتغلوها . الفتاة المصرية — غالباً — ليس أمامها إلا وظيفتان . إذا كان شكلها أنيقاً ووسيماً ومهذباً وذكياً . وهذه نقطة مهمة . وتعرف من اللغة الإنجليزية بقدر الذى يجعلها قادرة على التفاهم ، فهذه تعمل « ويترس Waiteress » أو جرسونة فى الكافيتيريات ، ويصل مرتبها إلى متوسط ٢٠ جنيهاً فى الأسبوع — بين ٣و٦ جنيهات بقشيش . . أما إذا كانت تنقصها كل أو بعض الصفات المتقدمة فأهلا وسهلا بها برضه لكنها تعمل فى مجال بعيد عن التعامل مع الزبائن ، فى وظائف الـ « تشمبرميدز Chambermaids » أو ما يمكن أن نعتبره — مع الأدب الشديد جداً وربنا يجعل كلامنا خفيفاً عليهن . . : « خادمات غرف » فى الفنادق . لتنظيف الغرف وكنسها وتلميعها وتغيير السراير ومسح وتنظيف الحمامات . وكل الأعمال عموماً التى تدخل تحت بند خدمة الغرف فى الفنادق . وهذه الوظيفة مرتبها نحو ١٣ جنيهاً فى الأسبوع واحتمالات البقشيش فيها نادرة جداً . .

ولا أذكر أننى قابلت فى لندن أى بنت مصرية تعمل فى وظائف أخرى غير هاتين الوظيفتين : جرسونة أو خادمة غرف . .

الصبيان ،
أو الطلبة

الجامعيون بحث الوظائف بالنسبة إليهم أكثر تنوعاً : إذ توافرت فيهم نفس المواصفات والشروط المطلوبة في الفتاة التي تعمل جرسونة . وإذا لم يكن هناك عدد كاف من الشباب للعمل كجرسونات . فالولد إذن ممكن أن يعمل جرسوناً أيضاً . على افتراض أنه يعرف من اللغة الإنجليزية قدراً كافياً . . أما إذا كان من التتار الذين يهجمون على لندن وهم مجردون من إمكانيات العمل فيها . خصوصاً معرفة اللغة الإنجليزية ، على اعتبار أن « إحنا وحظنا ، وربنا مش بيسيب حد يبات جعان » . فهؤلاء إذا كان حظهم صيباً وأمهم داعية لهم ووجدوا فرصة العمل فهي تكون في عمل من هذه الأعمال أعمال النظافة وكل ما يندرج تحتها من كنس ومسح وخلافه . . غسيل الأطباق . وهي أشهر وظيفة يعمل بها أغلب الطلبة المصريين الذين لا يجيدون من « اللغة » الإنجليزية إلا غسيل الأطباق !! . . مرمطونات لنقل لوازم الصدق بين الأدوار وبعضها . . مساعدي طباخين لتقشير البطاطس والبصل والخضراوات وما أشبه . يعني تجهيز الخامات للطباخ . . جمع الملايات من غرف النوم في الفنادق عند إخراجها أمام أبواب الغرف للغسيل . الـ « روم سيرفيس Room-serviece » أو خدمة على الغرف وتوصيل طلبات الزبائن التي يطلبونها في حجراتهم .

وأيضاً لا أذكر أني قابلت شاباً مصرياً واحداً يعمل في غير هذه الأعمال .

إذا
كانت

الأعمال متنوعة ومتوفرة بهذا الشكل ، فما هي مشكلة الطلبة المصريين إذن ؟ ! .

مشكلة عمل الطلبة المصريين — وعندما أقول « الطلبة » فأنا طبعاً أعني « الطلبة والطالبات » . الحصول على عمل يقطع أساسي بدرجة .

● الموسم السياحي في لندن يبدأ من شهر أبريل ويستمر حتى نهاية شهر سبتمبر . . معنى ذلك أن سوق العمالة يكون مستعداً لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة الأجنبية إبتداء من شهر إبريل . أو حتى من منتصف مارس . لكن الطلبة المصريين لا يصلون إلى لندن في ذلك الوقت لأن الإمتحانات في الجامعات عندنا لا تنتهي قبل منتصف يونيو أو أوائل يوليو . وبعدها « يبدأ » الطلبة في ترتيب إجراءات سفرهم . فيصلون إلى لندن — غالباً — في أواخر يوليو أو بعد ذلك في كثير من الأحيان . وإذا ذاك يكون قد مضى من الموسم السياحي أقله — أربعة شهور . ولم يبق منه إلا القليل . شهران — ويكون كل صاحب عمل قد استوعب كل احتياجاته من الأيدي العاملة من الجنسيات الأخرى التي سبقت في الوصول إلى لندن في وقت مبكر .

● إبتداء من أواخر يوليو يهجم على لندن جيش جرار من الطلبة المصريين يتزايد عاماً بعد عام . وصل في هذا الصيف ١٩٧٣ — إلى نحو ٣٠ ألف طالب وطالبة مصريين . يبدأون جميعهم في وقت واحد — وبإلحاح شديد — في البحث عن أعمال . وتبعاً لنظرية « إذا كثر العرض قل الطلب » يصبح أمام أصحاب الأعمال الفرصة لاختيار الأفضل ، وبشروطهم ، وبالأجر الذي يحدده صاحب العمل لا الذي يحدده القانون . ولدرجة أننا في الفترة التي كنا نبحث فيها عن عمل في لندن عند بداية وصولنا كنا ندخل مكاتب أو وكالات التشغيل فيسألوننا من على الباب : « مصريين ؟ » ، فنقول . « أيوه » فيقولون : « متأسفين . . ما عندناش شغل عشانكم » !! . . حتى قررت أن أجرب مرة حين سألونا : « مصريين ؟ » فقلت : « لأ . أسبان » فاستقبلونا ورحبوا بنا ، وكتبنا الإستمارات فعلا . فلما سألتنا الموظفة عن جوازات سفرنا لم يكن

أمامى إلا أن أقول لها أننا قد نسيناها فى البيت ، فأصرت على ضرورة الإطلاع عليها . فخرجنا على إن سنذهب لإحضارها . ولم نعد طبعاً .

● إنجذبنا فى نظر المصريين الذين يصلون إلى هنا هى « لندن » فقط لا غير . . « مدينة لندن » وحدها . ولازم منطقة وسط المدينة . . وكل الطلبة الذين يصلون إلى لندن يتجهون فوراً إلى « أوكسفورد ستريت » - وهو ما يعادل شارع سليمان باشا أو شارع فؤاد فى القاهرة ، أو شارع سعد زغلول وصفية زغلول فى الإسكندرية - ليبحثوا عن أعمال هناك . وقد تتوفر الأعمال فى المدن الأخرى فى إنجلترا أو سكوتلندا أو ويلز أو أيرلندا - وكل هذه تعتبر إنجلترا أيضاً - لكنهم لا يريدون العمل إلا فى لندن نفسها . . بل الأكثر من ذلك أن الأعمال تكون متوفرة فى مناطق الشواطئ القريبة من لندن مثل « دوفر » و « بورتسماوث » وغيرهما ، مع تسهيلات أكثر فى الإقامة والسكن ، ولكن الطلبة المصريين يرفضون . . أكثر وأكثر من ذلك ضاحية « ميدلسكس » فى لندن نفسها ، التى يقع فيها مطار لندن الشهير « هيثرو » ، وهى لا تبعد عن وسط لندن بأكثر من ٣٠ أو ٣٥ دقيقة فى المترو أو « تندرجراوند » لا يقبل المصريون كثيراً على العمل فيها برغم وفرة فرص العمل فى فنادقها ، وبرغم أن فى كل فندق من فنادقها — وكلها فنادق كبيرة ودرجة أولى — ما لا يقل عن ١٥ أو ٢٠ من المصريين يعملون فيها . فإنه يمكن أن يستوعب أكثر من ذلك ، على الرغم من أن :

● أصحاب الأعمال الإنجليز لا يرحبون كثيراً بعمل موعة كبيرة من الشبان أو البنات من جنسية واحدة ، خوفاً من التجمعات الشللية والعصبيات أحياناً ، وخوفاً من الخلافات الممكن أن تحدث بين أفراد مجموعة من جنسية واحدة ، وخوفاً من التكتل والإتحاد والتهديد بترك العمل جميعاً مرة واحدة . وقد أصبحت لدى أصحاب الأعمال الإنجليز معلومات وخبرة كافية عن مواعيد بدء الدراسة فى مصر ،

لدرجة أنهم قرب نهاية الموسم فى شهر سبتمبر يرفضون تشغيل الطلبة المصريين على عتبار أنهم « فاضل لهم أسبوعين ثلاثة وراجعين بى مصر عشان الجامعة » ! !

وفى

الوقت

نفسه فإن ٩٩٫٩٪ من المصريين الذين يصلون إلى لندن لا يكون معهم « تصاريح عمل » من وزارة العمل الإنجليزية . . لذا فإن أصحاب الأعمال — خصوصاً فى منطقة وسط لندن بالذات يخشون تشغيل الطلبة الذين ليس معهم تصاريح عمل . خوفاً من البوليس الإنجليزى الذى له حق التفتيش وحق ضبط أى واحد يعمل بدون تصريح عمل . وفى هذه الحالة فإنه يقوم بترحيله فوراً إلى خارج إنجلترا كلها بعد توقيع مواد القانون الإنجليزى الصارم عليه ، وهى تقضى باسترداد كل الأجور التى حصل عليها نتيجة عمله . بالإضافة إلى الغرامات الأخرى . . وليس ذلك طبعاً هو الذى يخيف أصحاب الأعمال ، وإنما الذى يخيفهم هو الجانب الآخر من العقوبات التى توقع أيضاً على كل صاحب عمل يستخدم عمالاً لا يحملون تصاريح عمل وإذ كان القانون الإنجليزى يكتفى بـ « طرد » الطالب المصرى من إنجلترا ووضع إسمه فى القائمة السوداء وعدم السماح له بدخول إنجلترا مرة أخرى بعد ذلك ، فإن هذا القانون نفسه يقضى بـ « سجن » أصحاب الأعمال . وطبعاً أصحاب الأعمال ليس لديهم الإستعداد لأن يدخلوا السجن من أجل سواد عيون الطلبة المصريين الذين لا يحملون تصاريح عمل . .

● ومع ذلك ، فإن القانون الإنجليزى يغمض عيناً واحدة ويدير وجهه قليلاً إلى الناحية الأخرى فى أثناء الموسم السياحى . . لأنه يعلم تماماً أن إنجلترا فى حاجة فعلاً إلى عدد كبير من الأيدى العاملة خلال

الموسم . لذا فهو « يطنش » إلى حد ما ويسمح بالعمل للأيدى العاملة التى تعمل بدون تصاريح عمل ، على شرط أن يكون ذلك من وراء ظهره . يعنى على أن يتصرف لعاية المصريون فى لندن طول الوقت أمام الجهات الرسمية كأنهم سياح فى إجازة وهذه النقطة سيأتى شرحها بشكل مفسر جداً فى فصل قادم . .

● ومن هنا فإن أصحاب الأعمال لا يرفضون تشغيل « عدد من المصريين » خلال الموسم السياحى الإنجليزى ، لكن ذلك يكون على مسئولية أصحاب الأعمال أنفسهم . وفى مقابل ذلك فإنهم يحددون لهم الأجر الذى يريدونه هم وليس الذى يحدده القانون . . ليس ذلك فقط ، إنما أيضاً إذا كانوا يعملون فى مكان كبير فندق كبير ومحترم مثلا فإن رؤساءهم الإنجليز يسرقون من مرتبات المصريين لحساب أنفسهم . . كما حدث أكثر من مرة مع « سوسن » ومع « سناء » ومع « منى » ومعى أنا شخصياً ، حين كان كل منا يفاجأ — مرة أو أكثر — بأن مرتبه الأسبوعى ناقص عن المفروض . فإذا اشتكى قيل له إن ذلك قد حدث خطأ ، وأن هذا الخطأ ما دام قد سجل فى دفاتر الأجور فإنه لا يمكن تصحيحه إلا إذا تقدم العامل بشكوى إلى مكتب العمل . وطبعاً الطالب المصرى الذى لا يحمل تصريحاً بالعمل لا يجرؤ على أن « يهوّب » ناحية الشارع الذى يقع فيه مكتب العمل وإلا فقشوه ورحموه . لذا فهو يسكت مضطراً . . وليس مصادفة أن تحدث كل حالات « الخطأ » هذه فى مكان عمل واحد . وليس مصادفة أن تكون « حالات الخطأ » هذه قد حدثت مع أغلب المصريين الذين يعملون بدون تصاريح فى لندن ، إبتداء من الذين يعملون فى « شيراتون لندن » إلى الذين يعملون فى حانات وبارات « بيكر ستريت » و « إدجوار رود » . .

ومع
كل

ذلك فإن أصحاب الأعمال الإنجليز لا يقبلون تشغيل المصريين إلا إذا لم يجدوا أمامهم غيرهم . وإذا شغلوهم فهم يرشدونهم عن الأجور ويستغنون عن خدماتهم إذا جاءهم أى طالب عمل من جنسية أخرى هندى أو باكستانى أو فلبينى . . فى الصدق الذى أعمل فيه : « ستر إيريوت هوتيل » . رفدوا من الكافتيريا « بيسة » و « سوسن » و « سماء » و « سمير » و « أمين » لكى يعينوا مكانهم بنات أيرلنديات . ثم عادت مديرة الكافتيريا فاستبقت « سوسن » و « سماء » فقط حين لم يحضر عدد كاف من البنات الأيرلنديات لتسلم العمل . وفى الوقت نفسه حين فصل لمولس الإنجليزى ذات ليلة على الـ « ووشر » الهندى غسل الأطباق لم تجد مديرة الكافتيريا أمامها من يقبل عمله غير الطالبة المصرية « بيسة » ، فوافقت عليها على مضض . ثم ما لبثت أن رفدتها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام عمل فقط حين جاء شاب هندى آخر ليغسل الأطباق .

لماذا

لا يحب

أصحاب الأعمال الإنجليز الطلبة المصريين ؟ ! .

لأربعة أسباب رئيسية . . أولها : أن الإنجليز بشكل عام لا يحبون المصريين بشكل عام أيضاً . ليه ؟ ما اعرفشي . . فهذه تحتاج إلى دراسة فى نفسية الشعب الإنجليزى لا أنا قادر عليها الآن ولا هذا المجال مجالها .

ثانياً . أن صاحب العمل الإنجليزى إذا دفع لك شيئاً واحداً مرتباً فهو يتوقع أن يأخذ منك فى مقابله عملا يساوى ١٠ بنسات فى الوقت الذى مهما أعطيت فيه المصرى من أجر فهو لا يريد أن يعمل . ويردد

دائماً القول الذي اعتاد أن يقوله في مصر : « على قد فلوسهم » ! ! .
رغم أنه مهما قل شأنه أو أجره هنا فهو يتقاضى أجراً لن يصل مثله في مصر كموظف حكومي حتى يصل إلى سن المعاش بإذن الله ..

والسبب الثالث والرئيسي هو أنه — بناء على السبب الثاني — فإن المصريين هنا . والحق يقال . هم أسوأ الناس الذين يعملون في لندن سمعة من ناحية العمل : مهملين ومستهترين . وواحدين المسألة هزار وتهريج كأنها رحلة مدرسية أو جامعية . وأحياناً فتاكة وتشبيح . . طبعاً هناك نماذج ممتازة جداً ومشرفة جداً . لكنني أتكلم عن الغالبية العظمى من المصريين الموجودين في لندن . وقد شاهدت بنفسي ورأيت عدداً منهم كان قريباً مني . وسمعت عن عدد آخر أسعدني الحظ بأني لم أتشرف بمعرفتهم ولا بلقائهم . وسمعت من القنصل المصري « مصطفى كمال عبد الفتاح » ومن السفير « كمال الدين رفعت » عن نماذج مصرية مثيرة للأسى وللأسف فعلا . مثل حادثة ذلك « الطالب » المصري الذي سرق خزينة المحل الذي يعمل فيه في ميدان البيكاديللي . وهرب . فكانت نتيجة ذلك أن أصحاب الأعمال في منطقة البيكاديللي كلها فصلوا كل المصريين الذين يعملون عندهم في اليوم التالي !! .

السبب

الرابع

والأخير — على الأقل على قدر علمي . وأرجو أن يكون الأخير فعلا — هو الجهل الفاضح باللغة الإنجليزية عند معظم الطلبة المصريين القادمين إلى بلاد الإنجليز ليعملوا فيها . أمثال « عليوة » و « ممدوح » و « إسراء » . وغيرهم كثيرون . الذين لا يعرفون كلمة إنجليزية واحدة ويريدون مرافقاً أو مترجماً لهم في كل خطواتهم لكي يتكلم بالنيابة عنهم ويكون الناطق بلسانهم . والذي لم أستطع أن أفهمه حقيقة . هؤلاء

الذين لا يعرفون اللغة الإنجليزية حايين لندن يهبا إيه ؟ ! . . والذى تصوره أنه ينبغى بدلا من « الدراسات الرشيدية » هذه التى تكون عبارة عن محاضرة واحدة يتيمة يحضرها الطلبة من باب سد الخانة وتحصيل الحاصل فقط لكى يستطيعوا بعدها الحصول على الموافقة على استخراج جوازات السفر لهم . ينبغى أن تكون هناك دورة أخرى جادة تضمن فى نهايتها حداً أدنى من المعلومات العامة والقدرة على التفاهم باللغة الإنجليزية . فإذا كان طالب الجامعة يمتحن فى ١٢ أو ١٥ مادة وأحياناً أكثر — لكى ينتقل من سنة دراسية إلى سنة أعلى وهو بداخل كليته الجامعية لن يبعد عنها خطوة واحدة . فإن من حق البلد عليه أن تمتحنه فى مادة واحدة فقط إذا أراد أن يسافر ليكون جزءاً من صورة مصر فى الخارج وسفيراً شعبياً لها لكن أن يكون سفيراً جبيان بالشكل الذى يفضح هكذا . فذلك شىء غير معقول وغير منطقى طبعاً . الواحد أو الواحدة منهم لا يعرف حتى مجرد الجمل البسيطة باللغة الإنجليزية لكى يقول بها أنه يبحث عن عمل أو أنه يريد أن يعمل ، فكيف يشتغل أصلا ؟ لا يعرف كيف يطلب لنفسه كوب ماء . فإذا سأل عن عنوان فهو يحمل ورقة فى يده بها العنوان الذى يريده ويقدمها إلى المارة أو إلى عسكرى البوليس الإنجليزى ويقف أمامهم كالأبكم الأخرس الذى لا ينطق . فإذا شرحوا له ما يريد - بإنجليزيتهم - فهو لن يفهم شيئاً بطبيعة الحال . . وحتى الذين يعرفون قدراً قليلا جداً من اللغة الإنجليزية فهم ينطقونها خطأ لدرجة أنهم لا يعرفون كيف ينطقون أسماء الشوارع بشكل صحيح رغم أن أغلبهم طلبة فى السنوات النهائية بالجامعات — وهذا هو الكلام الذى كتبته قبل ذلك مراراً عن انهيار مستوى تعليم اللغات الأجنبية فى مدارسنا — مثل طالب كلية التجارة الذى ينطق اسم منطقة «ماربل آرش» فينطقها «مارجل آرش» حتى دون أن يفكر فى معناها . . وطالب التجارة أيضاً الذى حكيت له وأنا أدعى أننى أقرأ ذلك فى صحيفة الـ « دايلى تلجراف » أمامه — أنه حدث فى الأمم المتحدة خلاف بين

الإنجليز والبريطانيين . وأن « المملكة المتحدة » تحاول التوسط بين الفريقين لإنهاء الخلاف . في الوقت الذي هددت فيه « إجبارا » بالإنسحاب من الأمم المتحدة إذا لم ينته هذا الخلاف فوراً ! ! وصدقني أنه المتعلم الذي سوف يتخرج بعد سنتين محاسباً من كلية التجارة . وبعد ١٠ — ١٥ سنة سوف يصبح رئيساً لمجلس إدارة شركة من الشركات .. وعليه العوض وبعد العوض !.

الغريب

أن

الصحافة المصرية وأجهزة الإعلام عندنا ساهم إلى حد ما لخزء من الجهل الذي ينعم به شبابنا المسافرون إلى الخارج . حين تنشر وتذيع لأسماء الأجنبية محرفة تحريفاً مشوهاً لا معنى له ولا مبرر . .

لماذا حين نكتب باللغة العربية أو ننطق بها نقول «سنغافورة» واسمها الأصلي « سنجابور » ؟ لماذا نكتب وننطق « يوغوسلافيا » واسمها الأصلي « يوجوسلافيا » ؟ لماذا نكتب ونقول « اسكوتلاند » أو « هولاندا » أو « بولندا » أو « هندا » أو « بريطانيا » ؟ ! ونضيف إلى كل اسم في نهايته حرف «ا» زيادة من عندنا بدون مناسبة ؟! لماذا نقول «سقوسيا» ونقول «قبرص» ونحن نعلم جيداً أنه ليس في اللغات الأوروبية حرف «ق» وأن أسماءها الأوروبية بلغتها هي « سيكوسيا » و « سيبروس » ؟

لماذا نقول إنجلترا والمجر وهما « إنجلند » و « هنجاري » . . لماذا نقول المدث « قسطنطين » والأسقف « نيقولا » وهما إسماهما « كونستنتين » و « نيكولا » ؟! .. لماذا عند النشر في الصحف المصرية أو العربية وعند الإذاعة في الراديو والتليفزيون . نلحظ الأسماء ونحرفها بدون مناسبة وبدون سبب . ويذهب الطالب المصري إلى أوروبا فينطق هذه الأسماء بالطريقة التي قرأها بها في الصحف المصرية وسمعها بها من راديو وتليفزيون مصر . فيضحك علينا الناس الأوروبيين كما نضحك نحن

على القرويين السذج البسطاء حين ينعوج لسانهم فيعقبون (الفلتزيون) و(الوتوجن) و(لكاكولا) . لماذا لا نكتب الأسماء الأجنبية وننطقها بشكلها الصحيح كما ينطقها كل الناس في أوروبا - وليس هناك سبب واحد يدعونا لأن نكتبها وننطقها بهذه الطريقة المضحكة التي لا معنى لها ؟ ! ..

لكن :

هل

ذلك معناه أن سفر الطلبة المصريين للعمل في لندن خلال الصيف كله أضرار وسيئات ومشاكل ومتاعب ، وأن به أيضاً مزايا وفوائد ؟ ! .

وكما أن لكل تجربة في الدنيا مزاياها وحسناتها ، وأضرارها وسوءاتها ، فإن ذلك ينطبق أيضاً على تجربة سفر الطلبة المصريين إلى لندن ولنبدأ بالمزايا .

قطعاً الخروج في حد ذاته مفيد . لا تتصل بشباب الدول الأخرى ولا تنفتح على عوالم أخرى كانت مجهولة لهم ومشاهدة المعالم والأشياء والأماكن التي كانوا يسمعون عنها في الصحف ويشاهدون صورها في المجلات وفي التليفزيون .. أن يتاح للشاب وللفتاة فرصة أن يعبر البحر ، وحيداً ، ليلقى بنفسه في خضم بلد آخر ، معتمداً على نفسه وحده وعلى مجهوده وحده ، بدون كرت توصية وبدون تليفونات وساطة وبدون «أوتكل بيسلم عليك وبيقول لك» .. فذلك كله في حد ذاته شيء كبير .. ومهما ذهب الشاب ماحياً وضعيفاً في اللغة الإنجليزية فسيعود من لندن قطعاً بحصيلة لا بأس بها من القدرة - ولو البسيطة - على التفاهم بها .. صحيح سيتكلمها بطريقة ترجمانات الهرم وأبو الهول ، لكنها على أي حال « خطوة لقدام » ممكن مع التنمية ومع الصقل ومع ازدياد الخبرة والإحتكاك والممارسة في رحلات أخرى لاحقة أن يتمكن من لغة أجنبية واحدة على الأقل . .

أن يكسب الشاب أو الفتاة بعرق جبينيهما ويساعديهما فى بلد لا يعطى الناس إلا إذا أحد فى مقابله عملا يساوى ١٠ بنسات . واللى يبلطج أو يصبهين أو يتدلع يتفضل فوراً مع السلامة . . أن يعود الشاب أو الفتاة — فى أضعف الإيمان وفى حيث كل منهما عدد من العمة الصعبة يدخل به مصر وينفقه على نفسه فى خلال فترة دراسته . فذلك شيء لا بأس به . أن يعود الشاب أو الفتاة وفى حقائبهما كمية من الملابس الشيك لنفسه ولأسرته من عرقه ومن مجهوده . يلبسها فى وسط أصدقائه فيبدو بينهم « أكثر ماضاً » وأكثر أناقة وأحسن مظهراً . فذلك شيء لا بأس به أن تستريح النواصى والشوارع فى مصر من ٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ ألف شاب مصرى يسافرون كل سنة إلى الخارج . فتخفف من العدد الكبيرة فى مصر مظاهر التسكع والصعلكة والتلصع فى بلد لا يعرف شبابه ماذا يعملون وأين يذهبون فى أجازات الجامعات والمدارس . فذلك شيء لا بأس به أن يخرج فيرى ويشاهد ويطبع ويتأثر ويكتسب أشياء جديدة . فذلك فى حد ذاته شيء لا بأس به . . أن يعود الأولاد المصريون من الخارج . لشان بلدات وقد انكسرت نفسيتهم قليلا بعد أن حرموا ذل الخدمة . بل أن يخدموا الآخرين بعد أن كان الآخرون يخدمونهم فى بيوتهم فى مصر الشاب من هؤلاء يكون فى بيته وعلى أسرته وإخوته . خصوصاً على البنات يتدلل ويتدلع ويتبغدد ويتمايص وعايز ده ومش عايز ده . ثم يجد نفسه هنا فى لندن مضطراً لأن يحنى رأسه بكل اتساع ويتحمل قلة أدب كل الناس ومد أيدى « بعض » الناس ده بالنسبة للبنات يمس طبعاً (! !) . . . ورأسه ستات أو رجال يتعاملون معه بقلة أدب وغطرسة وحليطة وسفالة وعلاسة ويمسح الأرض أمام الناس أو من وراء الناس . ويغسل الأطباق ويمرع الزبالة ويمسح دورات المياه وألف شغلة وشغلة كلها أعمال مهينة ومذلة لا يقبل الإنجليز على أنفسهم أن يعملوها لذا يتركونها

للأجانب . أما باقى الأعمال الأخرى — لأكثر احتراماً — فغير مسموح للأجانب أن يحوزوا ناحيتها إلا بعد ٤ سنوات كاملة يقضونها فى لندن بشكل منتظم - وبتصريح عمل — بحيث لا يتغيبون عن إنجلترا أكثر من شهر واحد فى السنة كإجازة . . ثم يعود الشاب من لندن وقد صار أكثر تواضعاً وأكثر واقعية . فذلك فى حد ذاته شىء لا بأس به .

أما الذى

« نفس »

به فعلا فهو أن يذهب الطلبة المصريون إلى أوروبا ويعودوا منها أسوأ مما ذهبوا إليها . . أن يكتسبوا عيوباً جديدة فوق عيوبهم القديمة .. أن ينقلوا معهم إلى مصر أسوأ ما يمكن أن يروه فى أوروبا . أن يذهبوا وهم مجرد متسكعين متصعلكين ويعودوا وهم أيضاً « متحلين » . كل منهم عنده شعر طويل كفرشة لسح أو مكنسة السقف . ولبدة فى الفم وبنطلونات ممزقة حمراء أو شارلستون فضفاضة مهرولة وأحذية ذات كعب عالى كأحذية النساء . وتحور وتحلل وتقليد أعمى لحياة الشبان الجيبيز الذين يرفضون أوروبا وترفضهم أوروبا . لم يكن لدى أى واحد من الذين سافروا معى أو الذين قابلتهم هنا - صبيناً أو بنات - أى فكرة موضوعية وراء سفره إلى أوروبا . . ليس فى تخطيطه أو مشروعاته أن يرى شيئاً جديداً أو أن يتعلم شيئاً جديداً أو أن يستوعب شيئاً جديداً أو يتعلم لغة جديدة أو حتى يضيف إلى معلوماته فى اللغة الإنجليزية القليلة جداً أصلاً أى جديد . وإنما هو يذهب إلى لندن ويعود كما ذهب . كل ما يزيد عليه شوية اصطلاحات تعلمها من المطبخ أو التقطها من الشارع يستعرضها فى كلامه بين حين وآخر . اصطلاحات لا تودى ولا تجيب وغالباً ينطقها خطأ . . لم أسمع أحداً منهم ينطق إسم شارع « هاى ستريت كنزنجتون » صح حتى الآن ، وبعضهم يعمل

ويسكن فى نفس الشارع ، وبعضهم له فى لندن سنتان الآن — أو لعلهم سوف يعرفون كيف ينطقونها الآن بعد أن يروها أمامهم فى هذا الكتاب مكتوبة بالعربى . ويذاكرونها جيداً . أقول « لعلهم » .. كل ما يشغلهم وكل ما فى أذهانهم هى الفلوس الإنجليزى التى سيقضونها والأشياء الأخر موضة التى سيشترونها لأهلهم ولصديقاتهم فى مصر عند عودتهم .. كل ما يشغلهم هو كيف يتعرفون بالبنات — أو بالبنان !! — الإنجليز فى لندن وإمكانيات « الشقاوة » معهن أو معهم . كل ما يشغلهم هو كتابة عشرات الخطابات إلى الأهل والأصدقاء والمعارف والجيران وأصدقاء الأصدقاء ومعارف المعارف وجيران الجيران والناس اللى ماشيين فى الشوارع فى القاهرة . لكى يعرف من لم يكن يعرف أن فلان إبن فلان مستقر فى بلاد الإنجليز والحمد لله وأن الأشيا معدن وكل شىء على ما يرام وسلامه أعب أعب سلامه إلى فلان وفلان وفلان وكل من عندنا يهديكم أزكى السلام . وقد زرنا ميدان البيكاديلى ورأينا الحمام القطاع العام الذى تملكه الحكومة الإنجليزية حراً طليقاً لا يمسك به أحد ولا يصطاده أحد .. وبالمناسبة حتى تأكل الآن كل يوم حمام نطحه فى البيت . والسلام ختام ليس بينا حتام ! ! .

أن

تعود

البنت المصرية من لندن وكل ما زاد عليها أن فساتينها قد ازدادت قصراً . وبضع كلمات بإنجليزية سقيمة ركيكة ترددها فى كل مناسبة وبدون مناسبة . فقط لكى يعلم من لم يكن يعلم أن « المزمزيل » كانت فى أوروبا أن تعود وقد ازدادت عطرسة وكبرياء وتأففاً من كل ما حولها هنا ، ولا يعود يعجبها العجب ولا الصيام فى نوفمبر ، وتتصرف كما لو كانت قد ولدت و« نشأت وترعرعت » وعاشت طول عمرها فى أوروبا

ثم جاءت إلى مصر فصدمت بكل ما تراه هنا ! ! . أن تعود الفتاة المصرية من لندن وكل ما اكتسبته من خبرة جديدة هو ما رأته من الحرية الخطيرة التي تتمتع بها الفتاة الأوروبية في حياتها الشخصية وإمكاناتها الكاملة في « التصرف في نفسها » . فيصبح كل هم الفتاة المصرية بعد عودتها إلى مصر - كما كان همها وهي هنا في لندن - هو أن تتشبه بالفتاة الأوروبية في ذلك . فتجري وراء كل مظاهره بطريقة « كانت في جرة وخرجت لبرة » . فتنتقل من شاب إلى شاب إلى ثالث إلى رابع وكله محصن بعضه . وأهي شوية شقاوت تنفع كذكريات وقت الدروم أو يرتبطن هنا بعلاقات قطعاً لا يستطعن الإرتباط بها في مصر وإلا تعرضن للرجم . خصوصاً وبالخصوص هنا أشد [illegible] العائلات المتوسطة بتقاليدها المحافظة اللاتي يعانين حكم طرهون من الكبت الشديد في مصر ، ويأتين إلى هنا ليجدن العكس تماماً لإنطلاق الشديد . فينطلقن و . . ينطلقن برضه . ولي يعرف حالي يروح يقول له ! ! .

وتنتقل

وقفة

النواصي من ناصيتي أمريكين عماد الدين وسليمان باشا والتلطع على أبواب السينمات ساعة الدخول وساعة الخروج لمعاكسة البنات ، تنتقل هذه الوقفة إلى نواصي أحياء « إيرلز كورت » و « كوينزواي » . ويجيء البوليس الإنجليزي النشيط كل ليلة إلى شوارع « إيرلز كورت » ليجمع الشبان المصريين الواقفين على النواصي يعاكسون البنات الإنجليزيات ويشلونهن من أذرعهن وهن سائرات في الشوارع . . ابنت الأجنبية عموماً والإنجليزية خصوصاً . لا « تصادق » شاباً إلا بكامل رضاها واختيارها ، وهي ليست صيداً سهلا كما يتوقع أو كما يظن الشاب المصري

الشرقان الذى جاء إلى هنا ليغزو لندن وقلوب بنات لندن ، ويتوقع أن يرتمين فى أحضانه بمجرد أن يعرفن أنه مصرى : « أوه . . إيجيبشيان ؟ ياى » ، ويروحوا طايين فى غرامه على طول !! .

والمقهى الذى يطلق عليه هنا : « قهوة المصريين » فى حى (كوينزواى) الضحيج والكركعة والطرقعة والنكت والقفشات الطائرة هنا وهناك والصوت العالى اللى يجيب آخر الدنيا . . حتى الطاولة أحضروها معهم إلى لندن !! . .

وشيع عن المصريين سمعة أخرى معينة ذهبت مع الطالب المصرى « سميح » لأزور بيت الشباب فى حى (هاى ستريت كنزنجتون) الذى ينزل فيه شبان وشابات من كل جنسيات العالم . . . البيت عبارة عن مجموعة عنابر كبيرة ذات فناء واسع جداً ، كأنه كان سجناً أو ثكنة من ثكنات الجيش . مبنى بالطوب الأحمر على الطراز الإنجليزى ذى السقف المخروطى .. السرير فيه ، ١٢٠ بنساً لليلة الواحدة .. الصالة المصريون يستأجرون غرفة فيها ٤ سراير وينامون فيها ١٥ فرداً : ٨ على السراير و ٧ على الأرض — طبعاً من وراء ظهر المسئولين عن بيت الشباب . الذين يطلقون على غرفة المصريين إسم « المقبرة » ، لأنك وأنت على باب البيت تستطيع أن « تستدل » على مكان غرفة المصريين من : رائحتها . عبر العطرة طبعاً !! ..

ولم تكن هذه حالة شاذة قطعاً : فى نفس المكان الذى أعمل فيه تعمل فتاة مصرية طالبة جامعية ، تعمل واردبتين : ١٦ ساعة متواصلة فى اليوم الواحد ، كجرسونة وخادمة غرف . من ٣ بعد الظهر إلى ٧ صباح اليوم التالى . ومن فرط التعب تنام ، «مربية الشغل» لا تخلعها ، ولا تستحم — إذا حصل يعنى — إلا فى يوم عطلتها الأسبوعية . . وبرغم أن عملها هو تنظيف غرف الفندق وترتيب السراير فيها ، فإن سريرها الشخصى فى غرفتها لم ترتبه مرة واحدة طيلة الشهور الثلاثة التى قضتها تعمل فى الفندق ! ! . .

وهذه أيضاً عينة من البنات اللاتى جئن إلى لندن فوجدن العمل متاحاً وفرصة العمل واردتين فى مكان واحد ، أو فى مكانين موجودة . وأصبحن يعملن كالماكينات ١٦ ساعة متصلة فى اليوم لكى يقبضن أكبر قدر من الفلوس . ويبدأ إنتهى أصلا الغرض من خروجهن إلى أوروبا للزيارة والمشاهدة واكتساب معرفة جديدة وخبرة جديدة . ليصبحن « جامعات فلوس » فقط قادمات إلى لندن للتحصيل !! ..

وفى

هذا

المناخ « التحصيلى » والنفسى يستطيع عملاء إسرائيل أن يتدخلوا للتقطوا عينات ونوعيات من الطلبة المصريين لتجنيدهم . و على الأقل لإغرائهم ببيع جوازات سفرهم ، كما سأشرح فى قصص قادمة . ويكون أى طالب مصرى معرضاً لمثل الموقف الذى تعرض له «على عبد العزيز» الطالب فى تجارة أسيوط : كان واقفاً عند مدخل محطة المترو الـ « أندرجراوند » فى (إدرلزكورت) حين أقبل عليه واحد يتكلم اللغةالعربية بلكنة أجنبية قليلا . ليكتمه مدعياً أنه يعرفه . « يزيك يا راجل ؟ إزى صحتك ؟ أمال فين صلاح ؟ » . فلما قال له « على» مندهشاً إنه لا يعرف أحداً إسمه « صلاح » ولايعرفه هو شخصياً . قال له صاحبنا ما معناه أنه يحلق من الشبه أربعين . ثم يواصل كلامه معه يقول له إنه كان يعيش فى الإسكندرية ويعمل مدلكاً فى أنديتها الرياضية . . فيسأله « على » عن أسماء لاعبين معينين صادف أنه يعرفهم فى أندية الإسكندرية . فلم يعرفهم صديقنا الغريب ، ومع ذلك فقد أصر على أن يدعو « على » للعشاء معه والإقامة عنده ، ووعده بأن يجد له عملا حين عرف منه أنه لم يجد عملا بعد !! .. وحين حكى لنا « على » هذه القصة نصحناه جميعاً بألا يذهب خوفاً من أن يقع فى براثن عملاء إسرائيل بصورة أو بأخرى ! .

في

ختام

هذا لعرض فرص العمل المتاحة للمصريين في لندن : طلبة وطالبات ، والصورة العالية الواضحة عن شكل الصلة المصريين هنا . . أحب أن أضيف فقرتين أخيرتين الفقرة الأولى أن البنت المصرية تستطيع بسهولة جداً وفي أي وقت الحصول على عمل في لندن دون حاجة إلى أن تذهب عن طريق المكاتب « إياها » في القاهرة التي تتقاضى ٥٠ جنيهاً وأحياناً أكثر . البنت المصرية تستطيع أن تعمل — حتى لو لم تكن تحمل تصريح عمل — بعد ربع ساعة من وصولها إلى لندن ، وتستطيع أن تعمل في وظيفتين في اليوم الواحد لو اتسع وقتها ولو احتملت صحتها . .

أما الولد المصري — بعد الظروف التي شرحتها فإن فرصته في العمل في لندن ضيقة جداً . والشاب المصري الذي يجد عملا هنا — بدون تصريح عمل يكون محظوظاً ومحظوظاً وأمه داعية له . فالإنجليز يرحبون جداً بالأيدي العاملة من الفتيات ، من الناحية الجمالية فقط لا غير . ودون النظر إليها كأنثى كما قد يتبادر إلى الذهن . . لكن على العموم فإنه من الأفضل جداً أن تذهب الفتاة ويذهب الشاب إلى لندن وهما مسلحان بتصاريح عمل من وزارة العمل البريطانية . حتى لا يتهددهما انكشاف أمرهما أمام البوليس الإنجليزي في أي لحظة . .

إذن فتصريح العمل في إنجلترا لازم لازم لازم وضروري ضروري ضروري ولابد أن تكون عندنا في مصر جهة ما ، حكومية ، مختصة باستخراج تصاريح العمل لشبابنا من إنجلترا بشكل رسمي وقانوني . . إدارة حكومية لا مجال فيها للمصب وليست من عينة «ذلك المكتب إياه» . . قد يكون فيها كأي إدارة حكومية — ورحم الله امرئ عرف قدر نفسه — مجال الوساطة ، وفي أسوأ الظروف قد يكون فيها مجال للإكراميات والمجاملات والحسوبيات بل

والرشوى أيضاً لكن الصلب أو العاشة سوف يخرجان من مصر عن طريقهما وفي أيديهما تصاريح عمل حقيقية من الحكومة الإنجليزية، وليست تصاريح عمل وهمية مثل تلك التي يقدمها مكتب « الدكتور » إياد !!

ويجب أيضاً أن تنظم هذه العمالة بحيث لا يخرج إلا عدد قليل نسبياً من الطلبة والطالبات المصريين لا يزيد عن ٥٠٠٠ طالب وطالبة مثلا . لكن أن تترك كل هذه الأعداد المهولة من الطلبة المصريين ترحم الدنيا هنا بهذه الصورة بدون سياسة وبدون تخطيط . فذلك خطأ كبير جداً طمعاً يعني تلافيه وإيقافه من الفور

الفقرة

الثانية

التي أحب أن أضيفها هي أن السفارة الإنجليزية في القاهرة تدقق جداً في دخول الطلبة المصريين إلى إنجلترا . وتمحصهم بدقة واحداً واحداً وتعقد لهم ما يشبه الإختبار الشخصي . حين يجتمع مسئول في السفارة بكل طالب على حده . وبعد هذه المقابلة قد يعطيه التأشيرة وقد لا يعطيه إذا لم يعجبه شكله . . وقد يعطيه التأشيرة لشهر كامل وقد يعطيها له لأسبوع واحد فقط لا غير .

فإذا كانت سفارة إنجلترا في مصر تفعل ذلك وإنجلترا . يمين أو شمال . مستفيدة قطعاً من المصريين الذاهبين إليها لينفقوا فيها نقودهم من العملة الصعبة التي تحتاجها إنجلترا . ورغم ذلك كله يفلت من هذه المصفاة الدقيقة بعض « الشوالب » المصرية . أفلم يكن من المفروض أن تفعل الدولة عندنا شيئاً مماثلا حرصاً على سمعة مصر وسمعة المصريين في البلاد الأوروبية ، حيث يكفي أن يرتكب مصري خطأ ما لكي يصبح « المصريون » عموماً شكلهم وحش جداً أمام الإنجليز ؟ أفلم يكن من المفروض أن تقوم جهة ما قبل السماح بالجوازات بغربلة

كل هذا العدد المهول من الطلبة المصريين وإذا كنا صرحاء وجادين في معالجة هذه المشكلة حرصاً على إسم مصر وسمعة مصر، خصوصاً في الظروف الحالية فلنقل إننا بصراحة : . غربلة « الفاشلين » المصريين والـ « صُبَّع » المصريين . المتقدمين للسفر إلى أوروبا لكي ينصبوا هناك ويسرقوا هناك ويتطحوا هناك . ويعملوا هتوات وقبضايات هناك . خصوصاً على المصريين اللي زيهم . فيسيئوا إلى سمعتنا هناك واحد مش ناقصين . ويمرمطوا إسمنا ويمرمغوا سمعتنا على تراب لندن وغير لندن مثل العواصم الأوروبية !!

ينبغي ألا يسمح بتقدم أي طالب أو أي شخص غير معلوم العمل أو الوظيفة لإدارة الجوازات طالباً تأشيرة خروج أو جواز سفر . إلا إذا كان يحمل موافقة جهة ما قبل ذلك . ثم تعقد له مقابلة شخصية ولو لعشر دقائق فقط . وهي ليست مدة كبيرة ، يمحص فيها بدقة جداً . فإذا لم « يستريح » الموظف الذي يقابله إلى شخصيته وهم يظهرون على الفور من شكلهم وحركاتهم وطريقتهم في الكلام وفي التعامل رفض أن يعطيه التوصية المطلوبة إلى إدارة الجوازات . . أما إذا أعطاها له فيذهب إلى إدارة الجوازات ليحصل على تأشيرة الخروج على الفور . .

وهذا الكلام الذي أقوله ينطبق على الشباب وينطبق على البنات أيضاً . . فنحن البنات المصريات اللاتي قابلتهن هنا أخطأن الطريق وجئن إلى لندن وكان المفروض أن يذهبن إلى بيروت . والحذق يفهم ! ! !

(١١)

☐ حكاية الغرفة رقم ١١٨ . ! ☐

هله

هى

المرة السادسه التى أزور فيها لندن ، لكنها تبدو لى وكأنها المرة الأولى التى « أراها » فيها على حقيقتها . أرى لندن من القاع . . كنت فى المرات السابقة أنزل ضيفاً معززاً مكرماً فى غرفة محجوزة لى مقدماً فى أرقى الفنادق . ولا أحمل هم أى شىء على الإطلاق . آكل فى مطعم الفندق أو فى دعوات للغداء أو العشاء أو السهر . عسيلى أتركه فى غرفتى فى الفندق عند خروجى فى الصباح وأعود فأجده مغسولا ومكويًا دون أن أحاول أن أتعب نفسى فى معرفة كيف غسل ولا كيف تم كيه . مواصلاتى ميسرة ومرتبة ، ولم أركب المترو الـ « أندرجراوند » من قبل إلا لمجرد مشاهدته ، حتى خريطته لم أرها إلا هذه المرة حين أصبحت رهيناً مستديماً له .. ولم أركب أوتوبيسات لندن لا الخضراء ولا الحمراء إلا هذه المرة .. هذه المرة كانت تبدو لى وكأنها المرة الأولى . دخلت فى « الأنبوبة » وضاعت فوسى فى المواصلات — « الأنبوبة » هى الـ « أندرجراوند » كما يسميه الإنجليز تدليلا — واحتست عسيلى حتى تشرفت بالتعرف إلى ماكينة غسيل الملابس وتجفيفها أوتوماتيكيًا ، وما زلت محتاساً بعكوتى لولا أن — الله يخليه — « أمين القصاص » يتكرم بأخذها كل أسبوع ليكويها عنده فى البيت إشفاقاً منه على عدم خبرتى بالأعمال المنزلية التى يجيدها هو . ست بيت هايل « أمين » ده ! ! . . الأكل أيضاً

الذى لم أكن أحمل همه من قبل . الآن تعودت أن أنزل إلى الـ (سوبرماركت) مرة كل أسبوع لأشترى احتياجاتى من لعب المحفوظة . وتعلمت ألا أشترى من محلات اليهود أو الباكستانيين لأنهم أغلى ولأنهم يغالطون فى الحساب . وكذلك كان محل الذى أشترى منه كثيراً كان أضمن وأرخص . تعلمت أشياء كثيرة كان يدعى أن أبدأ إلا لا أنهى بها . لكن يبدو أن الإنسان كلما كبر عمره احتاج إلى أن يعوض التجارب التى فاتته أو التى كان يجب أن يمر بها وهو صغير ولم يفعل لسبب أو لآخر . ذات يوم وجد حوالى مائة مصريات فى الثامنة عشرة والتاسعة عشرة من عمرهن وحدهن فى لندن . وصبيان مصريين فى السادسة عشرة والخامسة عشرة . وأنا لم أمر بتجربة السفر إلى الإسكندرية حتى إلا وأنا فى العشرين بعد أن تخرجت وأنهيت دراستى . وذهب وفد من الأسرة ليوصلنى إلى محطة السكة الحديد كأنى مسافر إلى الحج . ولولا الملاءة كانوا وصلوا على سوق التصدير . ويوم نقلت وأنا موظف إلى أسوان بعد ١٠ شهور من تعيينى ، حبطت أمى على صدرها وبكت وصاحت وقالت من بين دموعها : « يا حبيبى يا ابنى ، وحا تعمل إزاى بوحدك فى « الغربة » دى ؟ » . كانت أسوان « غربة » بالنسبة لخيلى والإسكندرية مشواراً كبيراً . أما الآن فالمدن خصوصين وفركة كعب دائمة لخيل التسعينات . وربنا يستر فى جيل الثمانينات والتسعينات . قطعاً حا يروحوا القمر « خميس وجمعة » ! !

مدة

إقامة

صديقتنا « سوسن » فى لندن أوشكت أن تنتهى . . عند دخولها لندن حصلت فى المطار على تأشيرة تسمح لها بالبقاء فى إنجلترا لمدة شهر واحد . . والمفروض أن تذهب قبل أن تنتهى هذه المدة إلى الـ « هوم أوفس

Home Office » وهو ما يشبه إدارة الجوازات عندنا في مصر لتطلب مد المدة أو تحديدها لفترة أخرى . فمنحت « سوسن » ما يشبه « الإكتتاب » جمعت من كل الأصدقاء عطايا بها كل ما معهم من نقود إنجليزية لكي تذهب إلى الـ « هوم أوفس » ومعها مبلغ معقول .. أعطيها ٣٥ جنيهاً كانت هي كل ما معي في ذلك الوقت . وفي مساء اليوم نفسه بعد أن حصلت « سوسن » على التأشيرة المصونة - أعادت لكل واحد نقوده مرة أخرى ! !

كل الطلبة المصريين يعانون ذلك عند دخولهم لندن يسألهم موظف مكتب الهجرة الإنجليزي : « عاير تقعد قد إيه في لندن ؟ » وعلى قدر المبلغ الذي يكون مع كل منهم يعطيه تأشيرة بالمدة التي صرح له بها والتي لا تزيد عادة عن شهر على الأكثر ، وأحياناً تكون أسبوعاً أو أسبوعين فقط . وقبل أن تنتهي هذه المدة المحددة يجمع الطالب كل النقود التي معه ومع زملائه وأصدقائه ومعارفه هنا . ليذهب إلى الـ « هوم أوفس » ومعه ١٥٠ جنيهاً إنجليزياً أو أكثر ، ويقول للموظف أو الموظفة الإنجليزية التي تقابله إنه يريد تحديد المدة لأي حجة يختارها «يريد أن يشاهد باقي إنجلترا» .. «ما زال أمامه وقت طويل في أجازته يريد أن يقضيه هنا» . «لم يكن يتوقع أن تكون إنجلترا - متملقاً ومداهناً طريقة بهذا الشكل . لذا فهو يريد أن يقضي فيها مدة أطول » . . وحين تراجع موظفة الجوازات أوراقه ثم تسأله : « من أين جاء بهذا المبلغ الذي معه الآن في حين أنه لم يكن معه غير ٣٠ جنيهاً فقط حين وصل إلى لندن ؟ » يقول أن أسرته أو أهله في مصر قد أرسلوا إليه هذا المبلغ مع صديق للأسرة جاء إلى إنجلترا منذ عدة أيام . . ولكي يهرب من ذكر إسم « صديق الأسرة » هذا حتى لا يبحثوا عنه في سجلاتهم ويكتشفوا أن الطالب كذاب ، يقول إنه أي الطالب — لم يكن موجوداً في البيت أو في الفندق الذي يقيم فيه حين جاء هذا الصديق وترك له المبلغ مع رسالة من الأسرة

دون أن يترك إسمه ولا عنوانه ! ! الطريف أنهم في ا « هوم أوفس » يسمعون نفس هذه الحجج من الطلبة المصريين مئات المرات كل يوم . ومع ذلك فهم – بظرف شديد أو باستعباط شديد – يدعون أنهم يصدقونها ويجددون لهم مدة الإقامة بالقدر الذي يطلبونه ! « ناس حبيبين يصرفوا فلوسهم في إنجلترا . حانقول لهم لأ ليه ؟ » .. ويكونوا يعرفون جيداً أن هؤلاء الطلبة يعملون : « صب وماله . . ما دام فيه مكان في لندن بيشفهم يبقى محتاج لهم . نحرمه منهم ليه ؟ . . ما يضرش . خليهم قاعدين – آهم بيقضوا فلوس إنجليزي من هنا وبيصرفوها تاني في شراء بضائع إنجليزية من المحلات في لندن من هنا ، وفلوسنا فضلت جوا البلد وآهم رجعوا مصر بشوية بضاعة إنجليزية كنا عايزين نوزعها على أي حال » ! ! . تفكير إنجليزي سليم ١٠٠٪ قطعا . .

الأظرف من ذلك تلك الحجج التي تتقدم بها أحيانا بعض البنات المصريات من باب التجديد والإبتكار ، وحتى لا تكون حججهن روتينية مكررة ومعادة : « منى » ذهبت لتقول لهم في ا « هوم أوفس » إنها عروسة وتتجهز بيتها الجديد في مصر ، فتشتري لوازمها من لندن . . وأن أهلها أرسلوا لها مبلغا آخر لكي تستكمل شراء باقي جهازها . كما أن « دادي » تدعها اللي بيشتغل في الكويت بعث لها قال لها حليكي في لندن وأنا جاي لك نقعد مع بعض شهر كمان وبعدين نرجع مصر سوا » ! ! .. أما « سوسن » فقد ذهبت إلى ا « هوم أوفس » بحجة طريفة جدا : كانت في أغسطس ، ومع ذلك قالت لهم « سوسن » إنها تريد أن تبقى في لندن لكي تشاهد احتفالات أعياد الميلاد وليلة رأس السنة التي سوف تحدث بعد خمسة شهور ! !

هتبلة البنت دي . . والأهبل منها موظف الجوازات الإنجليزي اللي وافقها على كده وأعطاها التأشيرة ! !

القنصل

المصرى

فى لندن « مصطفى كمال عبد الفتاح » . شاب مهذب جداً ومتعاون جداً . . حين عرف أنى أريد أن أتكلم معه فى موضوع الطلبة المصريين الذين يعملون فى لندن فى إجازة الصيف ، رحب بشدة . . وحين اختلفت مواعيدنا أنا وهو اتصل بى تليفونيا فى السبت ٤ مرات . حتى الساعة ١٢٫٣٠ ليلا — حتى استطعنا التوفيق بين وقتى ووقته ومواعيدى ومواعيده

عصر اليوم كنت معه فى بيته فى « ريتشموند » ، ليضع أمامى صورة واضحة جداً عن شكل وجود وحياة الطلبة المصريين فى لندن .. وسوف أنشر كلام القنصل كما هو دون تدخل منى بأسئلة وأجوبة بالطريقة الصحفية الروتينية ، حتى لا أقطع تسلسل كلامه ..

قال القنصل « مصطفى كمال عبد الفتاح » :

— وزارة الداخلية فى القاهرة أرسلت تسألنا عن إمكانية توفير عقود عمل هنا فى لندن للأيدى العاملة المصرية بواسطة اتفاقيات تعقد بيننا وبين إنجلترا . وفعلا اتصلنا بوزارة العمل الإنجليزية وناقشنا معها الكلام ده فقالوا لنا « متأسفين . . ماعندناش إتفاقيات بالشكل ده ، لأننا أصلا عندنا نسبة بطالة فى إنجلترا ؛ وحتى لو كانت فيه فرص عمل فإن الأسبقية عندنا للأيدى العاملة القادمة من دول السوق الأوروبية المشتركة ودول الكومنولث » . وأرسلنا إلى وزارة الداخلية فى مصر قلنا لهم الكلام ده فى أواخر عام ١٩٧٢ . .

وأيضاً ليست هناك عقود عمل للطلبة فى الصيف فقط كما يتخيل الناس فى مصر .. ليس هناك غير معسكرات العمل لجمع الفواكه ، يدى برضه قليلة وليست كافية لاستيعاب أعداد كبيرة ؛ وهى على أى حال عن غير طريق القنصلية » ..

ومع ذلك . فالذى يحدث فعلا أن أعداد الطلبة المصريين فى لندن تزايد كل سنة . فى الوقت الذى تقل فيه فرص العمل بنفس النسبة .. مع أنه من الخطر جداً أن يعمل أحد هنا دون أن يكون معه تصريح عمل . فيضطر الطالب من دول يترمى فى الشوارع ويتعرض لمطاردة البوليس الإنجليزى . وتجد أن منطقة أو حى زى (إيرلز كورت) قد أصبح زى حى السيدة زينب أو سيدنا الحسين فى القاهرة فى رمضان أو فى المولد . من زحام الطلبة المصريين فيه بشكل غير مسرف على الإطلاق : انى شايل شمعه خشب بررة وقدر ومدهونة سقوف حمر ومكتوب عليها إسمه بالبوية . وقاعد على الرصيف لأنه مش لاقى حتة يروح فيها . واللى متجمعين ٧ - ٨ وعايشين فى أوضة واحدة ضيقة لا تتسع إلا لواحد أو لاثنين على الأكثر . وضيق ذلك يحدث دون علم أصحاب البيوت . فبالإضافة إلى أن الأمراض تنتشر بينهم لأن الجو فى حجرة بهذه الإزدحام والقذارة يبقى غير صحى على الإطلاق طبعاً . فأيضاً تحدث المشاكل والسرقات بينهم وبين بعض . وتتخانقوا مع بعض من ناحية . ومع أصحاب البيوت من ناحية أخرى . . لأنهم يبهدلوا السكان اللى بيسكنوا فيه ويهربوا من غير ما يدفعوا الإيجار ويتشطوه قبل ما يمشوا . والحكاية دى للأسف أصبحت تمثل ظاهرة الآن . خصوصاً السنة دى . الولد المصرى اللى سرق خزينة المحل اللى بيشتغل فيه فى البيكاديلى وطفش . فطردوا كل المصريين اللى كانوا بيشتغلوا فى نفس المحل وفى المحلات المجاورة له . وساءت سمعة المصريين جداً فى منطقته . ولد تانى سرق ٢٠٠ مارك ألمانى . يعنى مبلغ لا يساوى ٣٠ جنيه مصرى . من غرفة نزيل ألمانى فى شيراتون مطار لندن . ويتضح للأسف أن حال الولد ده شخصية كبيرة جدا فى مصر وكان وزيرا فى وقت من الأوقات . الطالب المصرى بيدخل المحلات الكبيرة فيجد كل حاجة سايبة قدامه ومفيش بياعين فى المحل زى عندنا فى مصر . هنا الواحد يتقى الحاجة اللى هو عايزها

وياخدها فى إيده ويروح خرينة يدفع تمنها ويمشى فيبص لولد لمصرى حوليه يلاقى مفيش حد شايفه فيفتكر أن المسألة سايبة والمال السايب يعلم السرقة . فياخد قميصين أو بولوفرين ويمشى خارج من غير ما يدفع ثمنهم فيفتشوه . لأن المحلات الكبيرة هنا مفيش فيها عمال وبائعين كتير صحيح لكن فيها شكات تليفزيون داخلية بيشوف فيها رجال الأمن كل ركن فى المحل !

وللأسف

التشديد ،

الصحافة فى مصر كان لها دور غريب جداً فى الحكاية دى - الفضل ، مصطفى كمال عبد الفتاح ، يستطرد مثلا : صحيفه مصرية صباحية كبيرة ، فى أبريل أو فى مايو اللى فات . نشرت إن حايكون فيه مندوب من القنصلية المصرية أو السفارة المصريه حاينتظر الطلبة المصريين فى مطار لندن وييسر لهم أماكن لإقامتهم ومعه كشف بالوظائف اللى منتظرهم (! !) .. يعنى كل طالب حاينزل من الطيارة فى مطار لندن يلاقى السكن ويلاقى الوظيفة ، بس هو يتفضل يشرف وهو يجد ما يسره !! .. وده تهريج وكلام فاضى وحرافى طبعا ومش ممكن حد عاقل يصدقه ، ومع ذلك فالكلام ده جعل عدد كبير جداً من الطلبة المصريين هجموا على لندن السنة دى أكتر من أى سنة . ودى مش إشاعة ، أنا كنت فى مصر وقتها وشفت الصحيفة دى بعينى وقريت الكلام ده بنفسى .

وييجوا الطلبة المصريين إلى لندن فيتعرضوا لمضايقات فى المطار بشكل وحش جداً ومهين جداً . بيتفتشوا تفتيش ذاتى وتتفتح شنطهم وتتفتش حتة حتة عشان رجال المطار يشوفوا الطالب معاه عندوين عمل أم لأ . فإذا وجدوا معاه أى عنوان يشتبهوا فى أنه عنوان عمل يبقى جاى يشتغل ، فيرجعوه من برة برة ويمنعوه من دخول لندن أصلا وتفاجأ فى القنصلية

بتليفونات جاية من مطار لندن : «أنا الطالب فلان الفلانى . إلحقونى إعملوا معروف .. حايشيى فى المطار ومش راضيين يلحقونى لندن . وأنا مستلف ثمن التذكرة علشان أقدر آجى لندن» !! .. وما نحاول أن نتلحل عند السلطات الإنجليزية نرفض تدخلنا لأن القانون الإنجليزى واضح وصريح فى الحكاية دى .

وإذا سألتنى عن رأى الرسمى كقنصل ، فسأقول لك نفس الكلام اللى قلناه وكتبناه قبل كده فى تقاريرنا الرسمية أكثر من مرة . هذه المسألة لازم تنتظم بصورة أو بأخرى . لأن الطلبة بييجوا هنا يختاروا ويتبهدلوا من ناحية ، واحنا نختار معاهم ونتلاقى المتعب معاهم وبسببهم ومن تحت راسهم من ناحية تانية .. والسنة دى بالذات أكثر من أى سنة فاتت الطلبة لاقوا متاعب كثيرة حاتخليهم يفكروا السنة الجاية قبل ما ييجوا لندن تانى .. ده إذا مكانوش حايرجعوا مصر يكدبوا ويحكوا حواديت عن بطولاتهم وأمجادهم اللى ما حصلتش طبعا ، وغيرهم ييجى ويتعب ويقاسى وهم ما يجوش مرة ثانية !

وأيضاً

ظاهرة

ضياع جوازات السفر من الطلبة المصريين تتزيد جداً فى فترة الصيف . والأسباب معروفة طبعا : بييجى الطالب يتحجج لنا بأى حجة ، ولا نملك إلا إننا نصدقه طبعا : نسى الباسبور بتاعه فى محل ولما رجع يدور عليه لم يجده .. ركب الـ « أندرجراوند » ونعس نام وماخدش باله لما الباسبور بتاعه وقع منه .. دى الأسباب اللى بيتعللوا بيها قدامنا ، لكن اللى بيوصلنا كإشاعات (!!) هو أن الطلبة لما بيفسحوا ويتزنقوا ويحتاجوا لفلوس بيبيعوا جوازات السفر بتاعتهم .. وطبعا هم عارفين كويس أوى بيبيعوها لمين وليه ؟ ! .. عارفين إن اللى يرضى يدفع ٥٠ أو ١٠٠ جنيه

إسترليني علشان يشترى جواز سفر مصرى مش بيشتريه لأنه بيحب اللون الأخضر أو لأنه غاوى جمع تذكارات وتحف . لكن بيشتريه لأنه من عملاء إسرائيل أمال يعنى حايشتريه ليه ؟ حايهديه لخطيبته ؟ ! ..
ومهما كان الطالب المصرى اللى بيبيع جواز السفر بتاعه لعملاء إسرائيل إنسان ضعيف النفس . إلا أنه برضه بيكون مضطر لأن مفيش معاه فلوس . وهنا المصيبة ..

كمان

بعض

الطلبة المصريين بيلجأوا إلى وسيلة غريبة جداً علشان يحلوا مشكلة إستمرار إقامتهم فى لندن برغم أنف الـ « هوم أوفس » وبرغم المدة المحدودة اللى بتسمح لهم بيها السلطات الإنجليزية فى المطار وهم داخلين لندن .
وبالرغم من باسبور الطلبة اللى معاهم اللى مدته ٦ شهور فقط تنتهى فى ٣١ أكتوبر وغير قابلة للتجديد أو المد : بيروح الطالب المصرى بيتزوج أى واحدة إنجليزية أى واحدة مهما كان شكلها ونوعها وبتشتغل إيه !!
وصبح ١٠ خطوط من قضلك و ١٠٠ علامة تعجب تحت عبارة «بتشتغل إيه»!!
ـ وما دام الطالب المصرى قد تزوج من واحدة إنجليزية يبقى يرمى الباسبور المصرى بتاعه فى الشارع لأن حايبقى من حقه الإقامة الدائمة فى إنجلترا بحكم القانون الإنجليزى نظراً لزواجه من إنجليزية .. . وفى هذه الحالة طبعا لايستطيع العودة إلى مصر لأنه حايعرض نفسه لطائلة القانون المصرى لأنه مارجعش مصر فى الموعد المحدد له فى الباسبور ! !
وفى الحقيقة أن الموقفين متعارضين تماما فى حكاية « باسبور الطلبة » اللى بنعطيه لهم فى القاهرة : إزاى أعطيه باسبور لمدة ٦ شهور وفى الوقت نفسه باسمح له بـ ٣٠ جنيه إسترليني فقط وهو خارج من مصر ؟ ! . .
يبقى معنى كده إنى أنا عارف ومتأكد أنه رايح أوروبا أو رايح لندن

علشان يشتغل . لأن ٣٠٠ جنيه إسترليني دول لو بهم كفوه ١٠ أيام في لندن يبقى فضل من عند ربنا .. وفي الوقت نفسه فالسفارة الإنجليزية في القاهرة والسلطات الإنجليزية هنا في لندن ، سواء في المطار أو في الـ « هوم أوفس » . متعارض جداً في اشتغال الطلبة المصريين . ويبقى مفيش قدام الطلبة غير التحايل على الشغل بغاية ما يشتغلوا صلا من وراء ظهر القانون الإنجليزي وضد رغبته .. وده يبقى كلام مش تمام . إزاي أسمح لأولادي إنهم يروحوا بلد علشان يخالفوا القانون فيه ؟ ويعلمي ورصاني!! . إزاي أبعتهم لندن وأنا عارف إنهم رايحين يخالفو القانون فيها ويعرضوا نفسهم لصائلته ومواد عقوباته إذا انكشفوا ؟ ! . هل لو خالفوا القانون المصري عندي في مصر سأسهل معهم ؟ ! قطعا لأ . أمال إزاي أسيبهم يروحوا يخالفوا القانون — بعلمي — في بلاد تانية ؟! . قطعا بالشكل ده مش ممكن أكون باعلمهم لا الأمانة ولا الصدق ولا الأخلاق ولا المبادئ مطلقا !

□ □ إنتهى كلام القنصل « مصطفى كمال » عند الفتح « قنصل مصر في لندن » . وأنا أؤيده إلى أقصى حد في كل كلمة قالها وفي كل حرف جاء على لسانه .

لكن

الذى

لم يقله القنصل — لسبب بسيط جداً ، هو أنه لا يعرفه ولم يره هو شكل « الذل » الذى يلاقيه الطلبة المصريون والطالبات المصريات اللاتى يحمن هنا فى لندن . لذلك أتصور أنه موجه إلى المصريين وحدهم فقط لا غير ! . فى الفندق الذى أعمل فيه . وفى كل الفنادق الكبيرة المماثلة ، تجد العاملين فيها يشكلون « عصبة أمم » كاملة . كل جنسيات العالم تقابلك : الطباخ هندى ، عمال الصحون باكستانى ، السفرجيات مصريات وأيرلنديات وإيطاليات ، عامله التليفون من جامايكا .. بنات الاستقبال إنجليزيات ومن ويلز ، خادمات غرف « التشمبر ميدز » فلبينيات وأسبانيات ، بنات الحسابات برتغاليات . وووو . . كل الجنسيات . الغريب أننى لم أجد هنا أحداً من العرب على الإطلاق غير المصريين وغير شاب تونسى واحد . . لكن السمة المشتركة الواضحة بين الجميع هنا هو أنهم جميعاً من ذوى فقيرة أو دنية .. إنما الغريب حقيقة هو أن المصريين — دون كل الجنسيات الأخرى — هم الوحيدون المضروبين على دماغهم ويلاقون من الذل وسوء المعاملة فى كل مكان ، حتى أنهم يهربون من فندق إلى فندق ونادراً ما تجد مصرياً أو مصرية قضيا مدة طويلة فى فندق واحد . وإذا صادف أن وجدت واحدة لها سنة أو سنتين فى نفس الفندق فستجد أنها فى حالها ومنزوية ولا تكاد تسمع لها صوتا . فى حين أن الفلبينيات والفلبينيين ، على سبيل المثال ، قاعدين مستريحين ومبسوطين على الآخر ٢٤ قيراط ويعاملهم الإنجليز أحسن معاملة ، وهم من ناحيتهم يتصرفون بعنجهية وألاطة كأن إنجلترا بيت جدهم ، وكأن لهم فيها أكثر مما للإنجليز أنفسهم . فى الوقت الذى يقال فيه إن إنجلترا لا ترحب بالآسيويين !

الإنجليز هم يذلوننا فى بلادهم ونحن نحبط وهم نحترمهم ونكرمهم فى بلادنا آخر كرم . لأننا بطبعنا سمحاء وكرماء . وقد نسينا لهم إستعمارهم لنا لمدة ٧٠ سنة . أما هم فلم ينسوا . . وسر عظمة الإنجليز رغم عظمة ظروفهم الآن ووضعهم الآن بعد أن أصبحوا لأول مرة دولة من الدرجة الثانية . بعد الماضى الإستعمارى الشبيه وإمبراطوريتهم التى كانت لا تغيب عنها الشمس فأصبحت لا تشرق عليها الشمس . . ذلك نفسه هو ما جعلهم ينتبهون للداخل بعد أن تركوا أحلامهم الإستعمارية . فتحسنت الأحوال والأوضاع فى الداخل جدا . ترف غذائى متناه بعد بيضة واحدة للفرد فى الأسبوع أيام الحرب . فأصبحوا الآن متمتعين وكل شىء متوفر بموجود بكثرة بعد أن كان أطفالهم يموتون جوعاً أيام الحرب . . صرفوا النظر عن أحلامهم الإستعمارية فى الخارج وركزوا كل انتباههم على الداخل . لكن الغطرسة الإنجليزية – وهى فيهم طبع أصيل – وجدت فى ذلك الرخاء الإقتصادى والمعيشى المهول الآن ما ينفخ تحت الرماد المطفوء فيشعل نار الغطرسة من جديد . . وعاد العم « جون بول » يطل من جديد من داخل كل إنجليزى ، كل إنجليزى غير مثقف على الأقل . . إلى جانب نظرتهم إلينا أصلاً نحن المصريين كشعب إستعمروه طويلاً وأذلوا أعزة سادته وداسوا رقابهم وكرامتهم بالأقدام وكانوا يشقون رحاله كالدجاج فى دنشواى وعبر دنشواى . فاستكثروا أن يشعر شبابه الآن بالعزة والكرامة : فنافهم يحاولون بشتى الطرق أن يدوسوا هذه الكرامة كلما أتيح لهم ذلك بمصرى سىء الحظ يقع تحت أيديهم . . ومن هنا تبدأ أعنية « أيدل » فى لندن كل صيف . ومن هنا يلاقى الطلبة المصريون والطالبات المصريات الذين يعملن فى لندن فى الصيف ألواناً من الذل الإنجليزى لا يلاقيها غيرهم من الجنسيات الأخرى !

« أمين

القصاص »

.. طالب تجارة القاهرة الذى يعمل جرسونا فى كافيتيريا الفندق ، يبدو وكأنه ولد ليكون جرسونا بالرغم من أن هذه هى أول مرة يخرج فيها من مصر ليعمل فى الصيف ؛ فهو يبدو لفرط حيويته ونشاطه وسرعته فى العمل . وكأن هذه الكافيتيريا ملكه شخصيا . وكان « شايلها على أكتافه » كما يقولون ...

كنت الليلة فى أجازة وسهران أكتب فى البيت . حين جاء « أمين » فى ساعة متأخرة يدق جرس الباب ، وكان المفروض أن يكون فى عمله فى ذلك الوقت ، لكنه جاء ليحمل إلىّ خبراً مثيراً . رفدوه !! إصطدم بـ« بيجى » مديرة واردية الليل فى الكافيتيريا ، بعد أن رأى الغدر فى عينيها وشعر أنها « بتتلكك » لكى تجد حجة ترفده بها . وتحرشت به وأهانته بشكل جارح أمام رواد الكافيتيريا ، فلعن أبو حشها علناً وشتمها وهزأها وترك هو العمل وأخذ حسابه ومشى . وكانت وجهة نظره أنه « إتغدى بها قبل ما تتعشى به » لأنه شعر أنه مرفود مرفود ، فقرر أن يخرج بكرامته ويترك هو العمل قبل أن يرفدوه !!

أيدت « أمين » فى وجهة نظره ، على الأقل لكى يفهم هؤلاء الناس أننا ، كمصريين ، عندنا كرامة ، وأننا لا نقبل الذل ولا الإهانة من أحد ، ولو كان فيها قطع عيشنا ..

وفى الليلة التالية مباشرة لحق « شحاتة عبد الستار » طالب زراعة القاهرة الذى يعمل غسالا للصحون فى الكافيتيريا ، لحق بزميله « أمين » . رفدته « دورا » الحسناء مساعدة المديرة ، بمجرد أن تقدم إليها شاب هندى يطلب عملا ، فيطردون مصريا ليحلوا أى جنسية أخرى محله ! ..

بعد ذلك بليلتين طار « سمير » الجرسون المصرى أيضاً .. رفدوه لكى

تحل محله فتاتان أيرلنديتان .. ثم جاء الدور بعد ذلك على البنات المصريات . فقررت « بيجي » الإستغناء عن اثنتين منهن : « بيسه » و « سناء » . والإكتفاء بواحدة فقط هي « سوسن » !! « بيسة » لم تنتظر حتى تنتهي الليلة فخلعت « مريتها » وانصرفت على الفور . أما « سناء » فقد أمهلتها المديرة أسبوعا واحداً بحث لنفسها خلاله عن عمل في مكان آخر .. لكنها بعد هذا الأسبوع تركتها تبقى في العمل حين وجدت أن « سوسن » أيضاً سوف تترك العمل متضامنة مع توأمتها « سناء » . وكانت المديرة مدهشة في حب « سوسن » لأدبها ورقتها ووداعتها . ولم تشأ أن تفقدها . فاستبقت « سناء » من أجل خاطر عسلة عيون « سوسن » !!

في فندق « سان جيمس » القريب من قصر الملكة في باكنجهام . في الأسبوع الماضي حصلت الفتاة المصرية « حياة السيد عمر » على جائزة أحسن « تشامبر مد » في الفندق كله . متفوقة على جميع البنات المصريات والأجنبيات .. .. في هذا الأسبوع أصدرت مسز « مور » رئيسة الـ« تشامبر ميدز » قراراً بفصل كل البنات المصريات اللاتي يعملن في الفندق وعلى رأسهن « حياة » نفسها . ومعها « حورية سعيد رضوان » و « نفيسة قاسم لدجوى » و « روحية عبد الرحيم » و « نجيبة » . لأن واحدة منهن واحدة فقط أخطأت خطأ صغيراً كان يمكن أن تكون عقوبته « لفت نظر » لها هي وحدها طبعا لكن عملية التنكيل والإذلال جاءت لتشمل « المصريات » جميعهن !!

« روحية » لم تحتمل أعصابها قرار الفصل فانهارت تماما وبكت في الشارع وهي تشعر بالضياع ولا تعرف حتى أين تذهب لتبيت ليلتها .. مسكينة « روحية » . تلقت صدمتين في أسبوع واحد : « روحية » تعمل في فترة المساء عملا إضافيا في فندق بريطانيا . . أحد نزلاء الفندق ضاع من غرفته ٤٠٠ جنيه إسترليني . دون كل البنات اللاتي يعملن في الفندق « رشحت » إدارته « روحية » لتلقي عليها التهمة .. وجاء رجال

(سكوتلنديارد) برهيه يتسلموا على « روحية » صغيرة ويفتشوها تفتيش ذاتي ويأخذوا بصماتها ويحفظوا معها ويسألوها مثلما لأنت وهي أصلا لا تجيد الإنجليزية — كأنها أميرة لوبس قد وقع في قبضتهم ولم تفقد المسكينة « روحية » من بين أيديهم إلا أن اسرائيل صاحب المبلغ المسروق تقدم ليعلن أنه « عثر على المبلغ المفقود في حقيبته » بس هو مكانش يحب كويس في الأول » !!

وأطلقت سكوتلنديارد سراح « روحية » دون كلمة اعتذار واحدة !! ..

على

مائدة

الإفطار صباح اليوم في مطعم العاملين بالفندق . حضرت أنا و« سوسن » و « سناء » حوراً عربيا جداً . الفتى المصري « صلاح » — أقصد « كالح » . لكن « صلاح » هو اسمه المشهور بينما الذي أطلقته عليه « سوسن » — « كالح » واقف في وسط مجموعة من بنات الجرسونات الإنجليزيات يتكلم معهن بلغته الإنجليزية « المتشاشة » . طريقته في الكلام أثارت ضحكهن فسألته واحدة منهن عن جنسيته فقال إنه : « إنجلند » !! يقصد أنه « إنجليزي » لكنه قال إن جنسيته « إنجلترا » !! فلما استنكرت البنات أن يكون إنجليزيا قال إنه على جنسية روحته (! !) وإنه لا يحب أن يكون مصريا لأن المصريين ناس وحشين !! .. ووجدت نفسي دون أن أشعر أتدخل في الحوار الدائر وأقاطع « كالح » وأنهره وأعنفه مخاطبة — بالإنجليزية — أمام البنات الإنجليزيات حتى يفهمن أننا نحن أيضا مرفض مصريته لأنه عينة رديئة من المصريين ولا يشرفنا ولا يسعدنا أن يكون مثله مصريا . فقال للبنات الإنجليزيات ليداري « كبسته » وهو يشير إلينا : « أصل دول بيحبوا مصر أوي » !! .. وبعد انصراف البنات الجرسونات الإنجليزيات هرأته بما فيه الكفاية وهددته

بأن أبلغ أمره إلى السفارة المصرية فى لندن إذا عاد مرة أخرى إلى هذه التصرفات التى لا تسىء إليه وحده وإنما تسىء إلى المصريين جميعهم ..

الفتاة

الأمريكية

الصغيرة التى جاءت مع أسرتها الليلة إلى الصدق . منذ لحظة دخولها وهى تحوم حولى وتشاكسنى وتفيسى بنظراتها الجريئة . جاءت إلى مكتبى لتأخذ مفاتيح الغرف التى سيامون فيها ، لتقول لى بدون مناسبة أنها ستنام هى وأختها الأكبر منها فى غرفة واحدة ، وأن أختها نومها ثقيل وتنام بمجرد أن تضع رأسها على المخدة ولا تستيقظ حتى لو ضربوا بجوارها قنبلة ذرية !! .. « طيب وأنا مالى ومال الحدوتة دى كلها ؟ » .. لم أقل لها ذلك طبعا . قلته فى داخلى . لكنى ابتسمت لها الإبتسامة الرسمية التى تفيد أن القصة التى تحكيها ظريفة جداً . وذهبت الفتاة الصغيرة إلى غرفتها ثم عادت مع أمها وأبيها وأختها ليتناولوا العشاء فى الكافيتيريا . لكنها جاءت إلىّ مرة أخرى تسألنى : « هل من الممكن أن تأخذ عشاءها معها إلى غرفتها لتتعشى هناك ؟ » قلت لها . « ليه لأ ؟ .. إتفضلى » فقالت . « طيب ممكن تيجى معايا علشان تاخد الصينية تانى ؟ » قلت لها : « لا داعى للإستعجال فى إعادتها الليلة ، خليها تصبح » فقالت وهى تثبت عينيها فى عينىّ وفيهما دعوة واضحة صريحة لا تحتاج إلى ترجمة : « معلش ، أصلى ما أحبش أنام فى الحجرة وفيها بواقى أكل » لكن عيناها تقولان : « صينية إيه ياغبى . ماتفهموها بأه » .. قلت وقد بدأت أفهم ما تريده : « سأرسل معك واحدة من الجرسونات البنات لتأخذ الصينية » فقالت فى غضب : « لا داعى .. سأتعشى فى الكافيتيريا » !! .. ودخلت لتتعشى مع أسرتها وتعود إلىّ مرة أخرى بعد أقل من ١٠ دقائق وهى تقول فى جذل . « كويس .. يبدو أنهم يريدون أن يقضوا السهرة فى الكافيتيريا .. هل

من الممكن أن تحضر معى الآن إلى غرفتى لكى تأخذ المفتاح بعد أن أفتح . لأنى غالبا سأنام قبل عودتهم ولا أريد أن أستيقظ لأفتح الباب لأحتى . لأنى لو استيقظت فمن أستطيع النوم مرة أخرى » !! . وبعدين بأه فى الحساء وشقة اللى طريقة الغرام دى ! ! — قلت فى نفسى خلاص بأه يا واد المسألة ما تقنشى تستاهل عصبجة أكثر من كده . والمفروض أنى هنا فى « خدمة » التزيلات والتزلاء وتوكلت على الله ودخلت معها إلى غرفتها .. وفى الطريق قفز على لسانى — الى يستاهل قطعه — سؤال سخيف لم يكن له لازمة أبداً : سألتها عن عمرها فقالت : « ١٤ سنة » !! .. فقطعت على الفور مشروع دعم العلاقات الإجتماعية بين مصر وأمريكا ، وتركتها فى منتصف الطريق واستدرت عائداً إلى مكتبى وأنا أقول لها : « نامى إنتى واطمئنى . وسأفتح لأختك حين تأتى بالمفتاح الإحتياطى الذى عندى » !! .

فى

الثانية

صباحاً دخلت إلى الصدق حسناء ثلاثينية فاخرة طويلة ذات جمال مهيب محترم جداً . كأنها أميرة رائعة الجمال من أميرات الأسر الملكية العريقة فى أوروبا ، ترتدى « تايير » حشمه بأكمام طويلة وعلى الركبة ، يعنى لا « ميني » ولا « ميكرو » .. كان أمام مكتبى لحظتها نزيل سكران يحكى لى قصة طويلة لا أفهم منها شيئاً .. قالت الحسناء له بكبرياء : « عن إذنك » ثم قالت لى . « أنت البورتر المسئول الليلة ؟ » قلت : « نعم ياسيدتى .. تحت أمرك » قالت : « تسمح لحظة على جنب ؟ » .. إندهشت صحيح لكنى تصورت أنها تريد أن تبتعد عن أخينا السكران .. فذهبت معها عدة خطوات على مقربة من مكتبى ، لتسألنى : « من فضلك ممكن تقول لى الغرفة رقم ١٨ امنين لأنى مش عارفة الطريق إليها؟»

قلت بسذاجة « هل أحدث المفتاح ؟ » قالت . « لأ مش مهم لأن فيه حد موجود في الغرفة . فبدأت أشرح لها الطريق إلى الغرفة رقم ١١٨ . لكنها قاطعتني « ممكن تيجي معايا توريهالي ؟ » قلت : « طبعا . تحت أمرك » وذهبت معها لأوصلها إلى الغرفة .. قلت في نفسي « مش غريب أن الست تنسى مكان غرفتها في الفندق اللي عامل زي بيت جحا ده أو على الأقل لأنها لكي تذهب إلى الجناح « A » الذي فيه الغرفة رقم ١١٨ لابد أن تعبر منطقة واسعة مكشوفة مظلمة لانتظار السيارات . وتمكن حيطة من الظلام » . وفي الطريق بدأت الحسناء الفاخرة ذات الجمال المهيب المحترم كأنها إحدى أميرات الأسر المالكة في أوروبا . التي ترتدي « تيراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعني لا « ميني » ولا « ميكرو » . بدأت تتكلم « أنت جديد هنا . مش كده ؟ سوف أعطيك رقم تليفوني في البيت لكي تتصل بي في الوقت الذي تريدني فيه فأحضر إليك على الفور » !! . قلت في نفسي وأنا أبتسم في سعادة في الظلام : « الله .. وأنا طول عمري باقول إني شبه عمر الشريف . الظاهر إن الست وقعت في غرامي من أول نظرة لدرجة أنها تعرض عليّ أن تعطيني رقم تليفونها في البيت لكي أطلبها وقت ما أنا عاير فتيجي لي لغاية عندي .. ده أنا ماكنتش عارف أني ظريف وجذاب وساحر النساء زي أحمد مظهر . وأتاريني كنت مدفون في مصر وما حدش حاسس بي » !! .. الحسناء الفاخرة تستطرد . « إسمي شيرلي .. إسم مصحلك . مش كده ؟ ونمرة تليفوني آهه » ومدت يدها الأرستقراطية البضة الناعمة في جيب قميصي لتأخذ منه ورقة وقلم لتكتب لي إسمها ورقم تليفونها وهي تستطرد . « وفي كل مرة ستطلبني فيها سوف أعطيك خمسة جنيهات » !! .. غبي جداً أنا . أصبحت مش فاهم حاجة أبداً . قلت في نفسي : « وكمان حاتديني فلوس كل ما « نتقابل » ؟ ! طيب ليه ؟ ماهو كفاية أوي وكتر خيرها أنها حاتتعب نفسها وتيجي لي لغاية عندي هنا علشان تاخدني » !! ..

وأحرجتني الحسناء من غيوني الشديدة وهي تستطرد . وكنا قد اقتربنا من باب الغرفة رقم ١١٨ : « إنت عارف إني أنا (بزنس جيرل Business-Girl) في المرة الواحدة بآخد ٣٠ جنيه . مكون نصيبك أنت منهم خمسة جنيه . لكن المرة دي الخمسة جنيه مش لك إنت . إنت مستر « . . . » - يوزتر النهاد - اللي طلبني عصر في التليفون وقال لي أن أتربص اللي في الغرفة رقم ١١٨ عاير فتاه تقضي معه الليلة » !! .

آه يا بنت ال . . . وحياتي أوصلك بنفسي كمان لغاية الغرفة رقم ١١٨ ؟ وبإيدي ؟ على آخر الزمن حاشتغل . . .

وقبل أن أفتح فمي بكلمة واحدة كان باب الغرفة رقم ١١٨ قد انفتح . واختفت وراءه الحسناء الطويلة الفاخرة . الوقورة . المحتشمة . التي ترتدي « تايراً » بكم طويل وعلى الركبة . يعني لا « ميني » ولا « ميكرو » إلخ إلخ إلخ !!!! . .

(١٢)

□ فقط : إمتلك عنواناً . ! □

ثلاثة

شهور

الآن مضت عليّ في لندن .. حالة من الكآبة والملل والزهق تعتريني : أريد أن أرجع إلى مصر .. أريد أن أرى بيتي وأرى ابنتي وقرايبي وأصدقائي عايز أرجع أتمتع بدفء بيتي ودفء علاقاتي ودفء تليفوني الذي لم يكن يكف عن الرنين . أريد أن أرجع إلى مكتبي في المحلة وأرجع لحياتي الروتينية التي اعتدتها . أريد أن أرى « مديحة نجيب » مرتين ثلاثة كل أسبوع وأحضر مونتاج برنامج « ألوان » كل يوم أربعاء وأشاكس « سامية » المهندسة وأداعب « إيفون » سكرتيرة « مديحة » وألاعب « فايزة » و « سامية » و « عايدة » و « نفيسة » موظفات الحسابات في المجلة ، وأحتد على « شوقي البيومي » و « سيف » وأناقش « محمد الغريب » في احتمالات سداد الخمسة جنيه التي مستلمهم مني من سنة ١٩٧١ . شبعت من الساعة المضبوطة الدقيقة جداً التي إسمها لندن وأريد أن أعود لساعتي القديمة التي ماشية على كيفها · القاهرة . زهقت من الغرفة الواحدة المفروشة التي بالإيجار ، وزهقت من المشوار القصير رايح جاي بين محطة الأوتوبيس وبين البيت الذي أسكن فيه في « كرانفورد » .. زهقت من الوحدة وانعدام الأصدقاء . زهقت من « الآلية » التي أعيش فيها كالسمكة الملونة المحبوسة في إناء زجاجي فاخر في غرفة صالون رائعة ، لكنها مهما كانت : محبوسة ، ومهما كانت : وحيدة ، ومهما كانت : بعيدة عن الجو الذي اعتادته وأحبته .. بعيدة عن باقي السمكات !! ..

اليوم

مطير

جداً وشديد الرذالة .. المطر يرح بشدة بلا انقطاع طول النهار وطول الليل . . وبرغم البدلة الكاملة ونشراب الصوف والبولوفر والبالطو الوونر بروف المبطن ذى القلنسوة التى تغطى الرأس كله فتجعلنى أشبه بإسكيمو هارب من القطب الشمالى . إلا أن البرد والصقيع والثلج يتخلل جسمى كله ويشعل ظهرى وساقىّ وعمودى الفقرى ألماً . ويجعلنى أشعر كأنى مضروب ٣٠ علقة بكرباج مشحج . فى الوقت الذى أرى فيه الإنجليز هنا وهم خارجين بالقمصان النصف كم والبلوزات الخفيفة أو الـ جوبات » القصيرة جداً .. مجرد الشمسية مفتوحة فى أيديهم لكى - فقط - يحتموا بها من المطر وحده !! .. حين أراهم هكذا أسقع أنا وأبرد زيادة . أسقع بالنيابة عنهم . حتى استويت من البرد . إشتقت إلى شمس مصر ودفء مصر ياعالم .. ولا يعرف قيمة مصر وجو مصر إلا الذى يبعد عن مصر فترة طويلة ويجرب الحياة الحقيقية فى الخارج ! .

لكن

الشىء

المدهش حقيقة هو أن السماء قد تظل تمطر ٢٤ ساعة فى اليوم هنا ومع ذلك لا تجد طيناً ولا زلقاً ولا زحمة . تجد أرض الشارع تلمع كأنها - فقط - مغسولة .. وذلك لأن البلاعات الـ الـ هنا تصرف مياه المطر أولا بأول وبسرعة وانتظام شديدين . يعنى كأن المطر ينزل من السماء لكى ، فقط ، يغرق سعدنك ويبهدلك ويعدين على البلاعات دوغرى .. وتندهش : المطر ده كله بيروح فين ؟ .. « سوسن » —

الذكية . قالت لى فى استغراب بعد أن لاحظت هذه الظاهرة . « الظاهر إن لسه مخرومه » !!

وتذكرت

وأنا

أجرى تحت المطر فى شوارع صحيح « كرنفورد » هادئة . من محطة لأوتوبيس حتى بيتى فى الساعة الثانية صباحا . تذكرت قصة حدثت لى منذ عدة سنوات فى صحبة المعادى القريبة من القاهرة . كنت أسهر عند بعض الأصدقاء فى ثكنات المعادى . وبينها وبين المعادى حوالى ٤ كيلومترات . وحين فارت الساعة الثانية صباحاً تذكرت أن آخر قطار يقف على محطة ثكنات المعادى لم يبق على موعده إلا دقائق . فنزلت مسرعاً . وأنا فى الطريق إلى المحطة سمعت صوت القطار مقبلا . فبدأت أجرى محاولا أن أصل إلى المحطة قبله . وكنت وقتها من أبطال مصر فى الجرى لمسافة ١٠ آلاف متر . وهنا خرجت علىّ كلاب المعادى السهرانة المطلقة السراح فى شوارع الضاحية هادئة تحرس الفيلات أو يطلقها أصحابها خارج البيوت فى الليل حتى لا تزعجهم داخلها . أو حتى تعطيها الفرصة للتكاثر والله أعلم . وأنا أخوف من أخافه فى الدنيا شيئان أكون أمامهما شديد الجبن . البحر . والكلاب . فلما رأيت الكلاب فى أعقابى تكاد تنهش كعبىّ أطلقت لساقىّ العنان كأنى أجرى فى أصعب بطولة خصتها فى حياتى . وطبعا سبقت القطار ونسيت المحطة ونسيت كل شىء إلا أن أهرب من الكلاب وأجو بجلدى من الوليمة التى تتمناها كلاب آخر الليل السهرانة . وانطلقت لا ألوى على شىء أجرى فى شارع رقم ٩ الموصل بين ثكنات المعادى والمعادى نفسها .. وظللت أجرى دون أن أشعر بشىء إلا أنفاس الكلاب الساخنة تلفح ساقىّ .. ولم أتوقف إلا حين وصلت إلى محطة المعادى نفسها وكان القطار قد دخلها

قبل شوان . فقفزت إليه والكلاب تتواثب ورائى لكن ارتفاع القطار لا يسعها . والحمدلله أنه لم يكن تراماً ولا أوتوبيس . كان رمانى مت شهيد الكلاب !! .

تذكرت
هذه

الصورة كلها وأنا أجرى فى الثانية صباحاً تحت المطر المنهمر كالسيل فى شوارع ضاحية « كرانفورد » الهادئة التى تشبه إلى حد كبير الجزء الصيف جداً من ضاحية المعادى وتذكرت أيضاً وأنا أجرى — أنى لم أر هنا كلباً واحداً يمرح طليقاً فى الشوارع لا بالليل ولا بالنهار منذ سكنت هذه الضاحية . كل كلب وفى يده صاحبه — آسف ، أقصد « فى يد صاحبه » — أو مقيداً بسلسلة أو بطوق جلدى .. مفيش كلب يمرح فى الشوارع يعضعض فى الناس أو يتسلى بمطاردة الناس أو يقطع الطريق على الناس . الكلاب هنا مهذبة جداً كأصحابها . تدوس على قدم الكلب فيكاد ينطق مقول لك « Sorry » متأسف ، ويقابلك الكلب من دون قادم فى طريقك فيفسح لك الطريق وتشعر أنه يكاد يتبسم لك فى أدب جم . وأتصور أنك لو نطرت فى عينى كلب هنا يكاد من فرط حيائه أن يغض الطرف ويكاد تسمح حمرة الخجل على « وجنتيه » .. وترى الكلب الإنجليزى مفحل وزى العجل ومع ذلك تجده مؤدبا ومتربيا ويكاد يذوب رقة ، حتى ليجعلك تتصور أنه يخشى أن تتبع عليه أنت !! ..

« مى » ..
صديقة

مصرية كانت قادمة إلى لندن فى أجازة ، فاتصلت ببيتى فى القاهرة تسأل ما إذا كانوا يريدون أن يرسلوا لى شيئاً معها إلى لندن لم يجد

أهل بيتي العامر ما يرسلونه لي معها غير : مجموعة الشهر الأخير من الصحف المصرية + الأعداد التي صدرت من مجلة « الإذاعة والتليفزيون » بعد سفري من القاهرة !! .. كثر خيرهم وشكر الله سعيهم .. فالحقيقة أن هذه هي أجمل هدية يمكن أن ترسل إلى مصري في أوروبا . أن يرى صحف بلده ويقرأ أخبار بلاده مطبوعة باللغة العربية في صحف بلده فتجعله يشعر وكأنه موجود هناك الآن فعلا ، في بلده ..

أما « مني » نفسها فقد جاءت محملة بما لذ وطاب من رقاق وحماه محشي بالفريك وبسطرمة ومانجو ولب وسوداني ، وكان ناقص تجيب معاها صاندوتشات حواوشي وفول وطعمية من عند التابعي .. وكأنه « واجب قومي » عليها : فقد تكاتفت البنات « سوسن » و « منال » و « بيسة » و « سهير » يداً واحدة — على التشطيب على ذلك كله في ليلة واحدة . متأسف : أقصد في قعدة واحدة .. ولم يفلت من « هوق » هذه الوليمة المصرية إلا بعد أن أصبحت أطلالاً . لكن « ذكراها » ظلت عالقة بفمه شهراً كاملا بعد ذلك !! ..

من

بين

المجلات التي جاءت بها « مني » معها عدد من مجلة « صباح الخير » بتاريخ ٣ أغسطس .. العدد كله عن الحر الحر الحر ، ونحن هنا في لندن في ذلك التاريخ كنا بنشمشم على ٥ دقائق يتوقف فيها المطر ومش طايلين .. يا عالم يا بطرانين ، تعطونا شوية حر من عندكم وتاخدوا بدلهم برد ومطر من العرض المستمر هنا في لندن . ولو طلعت الشمس ٥ دقائق يخلع الناس ملابسهم ويجرون إلى الحدائق يناموا فيها بالمايوهات البيكيني آل يعني بيتشمسوا — واحنا المصريين نظل لابسين البلاطي لأن البرد — برغم الشمس — بيلسوع عظامنا من تحت الهدوم !

السبب

الرئيسى

الذى يجعل عدداً كبيراً من الصفة المصريين الذين يخصرون إلى لندن للعمل فى الصيف يضحون بمستقبلهم الدراسى ويصرفون النظر عن العودة إلى القاهرة ، هو : الفلوس . . المرتبات . . الأجور الإنجليزى . . الشاب المصرى وهو فى وسط أسرته فى مصر يأخذ مصروفا - بالكثير ١٠ قروش فى اليوم لا تكفى قطعا لمواصلاته واحتياجاته وسجائره . لزوم الشباب وإثبات الرجولة ! . أتصور أن هذه هى أقصى ما تستطيعه إمكانيات الأب المصرى المتوسط . .

لكن الشاب المصرى يأتى إلى هنا يسيل وتجرى بين يديه العملة الصعبة كل أسبوع مبلغا مهولا — بالنسبة إليه كطالب و بالنسبة لحياته السابقة فى القاهرة - فيحسبها فى ذهنه وبالورقة والقلم . كم سأتقاضى مرتباً فى مصر بعد الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ؟ ١٧ جنيهاً — مصريا ويضعة قروش ؟ . . كيف أعيش بهذا المبلغ فى مصر بعد أن اعتدت شكل الحياة هنا بمرتبى الحالى ودخلى الحالى ومستواى الحالى ، ودون أن يكون معى ليسانس ولا بكالوريوس ؟ . ويؤجل العودة إلى مصر سنة ، وسنة تجر سنة ، ويبقى الشاب المصرى فى لندن على طول ، يظل طول عمره يخدم فى المطابخ والمطاعم والرستورانات والبارات فى لندن ، ويضيع مستقبله الدراسى فى القاهرة . .

مثلا : إذا حسبنا مجموع مرتبى الشهرى هنا فى لندن + البقاشيش = مرتبى الأسبوعى ١٩ جنيهاً «إسترلينى» طبعاً × ٤ أسابيع ونصف = ٨٥,٥ جنيهاً + القشيش بمتوسط جنيهين فى اليوم × ٣٠ يوماً = ٦٠ جنيهاً + حصيلة القشيش المتجمعة فى الصندوق بمتوسط ٦ جنيهات كل أسبوع × ٤ أسابيع ونصف = ٢٧ جنيهاً . . إذن المجموع الكلى يصل إلى

نحو ١٧٢ جنيهاً إسترلينيا × ١٧٠ قرشاً مصرياً = نحو ٢٩٠ جنيهاً مصرياً في الشهر الواحد. لم أصل إليهم حتى الآن بعد ١٦ سنة صحافة صحيح قضى حاجة بسيطة وى وأوصل لهم نحو ٢٠٠ جنيه بس !! .

يا نقابة الصحفيين في القاهرة : وداعا للسلاح !!

ولو

فكرت

يوماً في أن أستقر في لندن حقيقة فإن كل ما سوف أحتاج إليه هو بيت أسكن فيه ولايكون مفروشا .. مجرد شقة فاضية . وبعد ذلك فكل شيء سهل إلى أقصى حد .. يكفي أن يكون لك « عنوان » لكن تستطيع أن تشتري لندن كلها بالتقسيط المريح وتفرش بيتك كأنه قصر الملكة في اكتنجهام بأرخص أسعار تتخيلها . وفي خلال أسبوع واحد تجد نفسك تعيش في بيت كبيوت نجوم السينما إذا كنت تستطيع أن تدفع الأقساط الأسبوعية التي تبدأ من ١٠ بنسات إذا اشتريت ساعة حائط — مثلا إلى جنيه واحد على الأكثر إذا اشتريت غرفة صالون أو نوم فاخرة .

نظام التقسيط هنا مهول جداً : تستطيع أن تشتري مني مجلس اللوردات بالتقسيط بدون شيك .. وبأقساط صحة التصديق : غرفة مكتب رائعة خطيرة ، طقم جلد ومكتب يصلح لرئيس وزراء ومكتبة فاخرة . كل ذلك قسطه الأسبوعي ٩٥ بنسا ، يعني أقل من جنيه واحد .. فيلا فاخرة من دورين تسليم المفتاح ، يعني ما عليك إلا أن تحضر عفشك وتشرف . قسطها الأسبوعي خمسة جنيهات ، يعني أقل من الإيجار الأسبوعي الذي أدفعه لغرفتي الواحدة .. التلفزيون ملون تستطيع أن « تستأجره » بجنيه واحد في الأسبوع . ولو ظللت تستأجره مدة معينة متصلة فإن حصيلة المبلغ الذي دفعته كـ« إيجار » يحتسب لك كجزء من الثمن إذا أردت في أي وقت أن تشتريه !! . كل شيء يتخيله عقلك هنا بالتقسيط المريح إلى أقصى

حدود الراحة .. فقط إملأ الاستمارة وتوقع بينك فتجد الأشياء التي طلبتها وقد سقتك وحتى ذلك أيضاً ممكن أن يوفروه عليك : في إعلانات الصحف هنا : « إطلب ما تريد وأرسل لنا الثمن وحن نرسل إليك طلبك بالبريد » ، ابتداء من دستة كوبيات إلى السيارة الآخر موديل .. كل شيء ممكن أن تشتريه بالبوستة . ترسل الثمن — أو حتى جزءاً من الثمن وبعد أيام قليلة يصل إليك طلبك بالبريد ، مهما كان حجمه ووزنه . ويذكرون في الإعلان تكاليف البريد والتغليف التي تتحملها أنت . وهي على أي حال ضئيلة جداً إذا قست بأنك ستوفر لوقتك والنفقات في مشوار الذهاب إلى المحل والعودة منه وهناك محلات كبرى تقول في إعلاناتها إن تكاليف التغليف والبريد تتحملها هي . كنوع من المنافسة والإغراء الأكثر والتسهيل الأكثر .. ليس ذلك فقط ، بل أن هناك محلات كثيرة جداً تقول لك في إعلاناتها : « لا ترسل ثمن البضاعة الآن .. بعد أن تصل إليك البضاعة فعلا وتجربها وتستعملها لمدة ٦ أسابيع . إذا أعجبتك فأرسل لنا الثمن وكثر خيرك ، أما إذا لم تعجبك فأعد إلينا البضاعة بالبريد أيضاً — على نفقة المحل ، وكثر خيرك برضه ، ولن نسألك عن السبب الذي أعدتها من أجله » ! ! ..

والإعلانات

عن

البيع والشراء تطالعك في كل مكان تذهب إليه ، بشكل طريف جداً وأنيق جداً ومغرى جداً ، في الشوارع وفي محطات المترو « الأندرجراوند » وفي الصحف . إبتداء من أقلام الحبر الجاف المخصوص عليها بسم سعادتك ، إلى جاراج السيارة واليخت والكاراڤان و ... حمامات السباحة ! ..

فقط إمتلك بيتا ، أو امتلك شقة ، وتستطيع بعد ذلك أن تفرشه وتؤثثه برخص التراب . أسعار السجاد والأثاثات التي يعلن عنها كل يوم في

الصحف مدهشة . رخيصة بشكل غير معقول .. بخمسة جنيهات فقط تستطيع أن تفرش غرفة كبيرة ٤ أمتار × ٣٫٥ بسجادة من الحائط للحائط . البطانية الصوف الإنجليزي الرائعة بجنيه وربع .. ملاءتان للسرير بـ٩٩ بنسا . غرفة نوم رائعة بـ١٠٩ جنيهات . سرير تنام عليه تستحسر تقوم ، بـ١٤٠ جنيها مكتبة مهولة تشغل جداراً بأكمله وفيها بار ومكان للتليفزيون وآخر للراديو وثالث للريكوردر وباقي الأجهزة الأخرى ، بـ٢٤ جنيه . فقط كل ما عليك هو أن تجد شقة فاضية غير مؤثثة لتسكن فيها .

اللافتات التي تحمل كلمة « للبيع » منتشرة جداً هنا على بيوت كثيرة معروضة للبيع . الناس هنا غالباً يمتلكون البيوت ولا يستأجرونها . شقق العمارات فقط هي التي تؤجر ، وغالباً تكون مفروشة . ومع ذلك فإن صحف يوم الأحد تصدر وبكل صحيفة منها ٦ صفحات كاملة عن الشقق والبيوت المفروشة والخالية المعروضة للإيجار .. بعض البيوت تنشر صورة واجهتها من الخارج وفي الإعلان كل التفاصيل الممكنة : عدد غرف النوم والطعام والجلوس . المياه الساخنة والباردة .. التكييف والتدفئة . قرب البيت أو بعده عن المواصلات . حديقة .. جاراج مؤثث أو غير مؤثث .. به تليفون وتليفزيون وراديو أم لا شكل الأثاث الذي فيه .. قيمة الإيجار المطلوب وما عليك إلا أن تختار البيت أو الشقة أو الغرفة التي تتوافر فيها المواصفات التي تريدها وترفع سماعة التليفون وتحجزها ، وتذهب لتسكن .

وقد كنت أتوقع أن تكون أزمة المساكن هنا في لندن خانقة ، لكن اتضح أن الأزمة أزمة جهل : جهلنا نحن بكيفية العثور على مسكن على الطريقة الإنجليزية ! .

وصلني

اليوم

بالبريد على عنوان البيت كتاب كنت قد طلبته – بالبريد أيضاً – . الكتاب إسمه « جون مايرز John Mayers » في ١١١٤ صفحة غير الملاحق ، مطبوع كله – على ورق كوشيه فاخر و كله – بالألوان المهولة الرائعة الطباعة و : يرسل لمن يطلبه .. مجاناً ! !

والخواجة « جون مايرز » هذا ليس هو الذي اكتشف الجزر البريطانية وليس هو الذي حررها من الإستعمار ، إنما « جون مايرز » هذا الذي يصدر عنه هذا الكتاب ذو الألف صفحة وثوية ليس إلا واحداً من محلات إنجلترا الشهيرة التي تبيع كل شيء . . وهو حتى ليس محلا بالمعنى المفهوم ، إنما هو مجرد « مخازن » تبيع لك كل شيء . بالبريد فقط .. يعني غير مطلوب منك أن تذهب إلى هذا المحل ، إنما فقط .. بعد أن تقلب صفحات هذا « الكتالوج » المهول – « تكتب إليه » بيانا بالأصناف التي تريدها تكون عندك بعد أسبوع واحد بالضبط .. وهذا الكتاب المهول ذو الألف ومائة صفحة يضم كل شيء يباع في مخازن الخواجة « جون مايرز » إبتداء من إبر الخياطة و بنس الشعر والبونبون ولعب الأطفال ، إلى السيارات والنشات وليموزين وناقص كمان يبيعوا دبابات وطائرات وغواصات . بالصور الملونة وبيان الأسعار والمقاسات والأحجام والألوان وكيفية التقسيط : ٦ بنس كل أسبوع تستطيع أن تشتري . . .

ويبدو

أن

الإنجليز قد استغنوا تماماً الآن عن استعمال الزيت في دهان الحوائط والجدران .. أغلب البيوت والفنادق والمحلات والمطاعم والكافيتيريات التي

دخلتها يلصقون على جدرانها الورق المنقوش المزين بكل الألوان والنقوش التي تخطر والتي لا تخطر على البال ويكون شكلها أحسن وأحسن وأرق وأنظف من الدهان بالزيت ألف مرة لا يقشر ولا يقع ولا يتحدش ولا يبقع ولا حاجة أبداً . وسهل جداً في التركيب . يعني شقة بأكملها أو محل كبير يتم لصق الورق على جدرانه في عدة ساعات قليلة وبأسعار رخيصة جداً لا تتجاوز ثلاثة جنيهات للغرفة الواحدة . الطريف جداً في الموضوع أيضاً أنك إذا اشتريت عدداً من « رولات » أو لفات ورق اللصق هذه ، ثم لم تستعملها كلها وبقيت منها عدة لفات مقفولة لم تفض . فإنك تستطيع أن تردها للمحل الذي اشتريتها منه وتسترد ثمنها فوراً ! ! ناس سهلين جداً وبسطاء جداً في تعاملهم دون عقد ولا فيونكات ولا كلاكيع

كما

أنك

لست محتاجاً إلى أن ترحم منزلك بأدوات وأشياء وأجهزة لن تستخدمها كثيراً ولن تحتاج إليها كثيراً . لم أر بيتاً واحداً فيه « غسالة بالكهرباء » الموضة البورجوازية المنتشرة في بيوتنا في مصر الآن .. لكن هناك في كل شارع كبير أو في كل ضاحية صغيرة محل أو أكثر لـ « ماكينات الغسيل » . محل كبير ليس فيه أي عمال إنما فيه مجموعة ماكينات غسيل متجاورة .. تفتح غطاء الماكينة لتضع غسيلك بداخلها وفوقه كمية من الصابون المبشور ، وتضع ١٥ بنساً في ثقب خاص ثم تضغط على زر صغير فتدور الماكينة لتقوم بغسل الغسيل بمفردها ، بينما تجلس سعادتك على كرسي في انتظار أن يتم الغسيل .. وحين تنتهي الماكينة من عملها تتوقف وحدها لتأخذ منها غسيلك المغسول المبلول لتنقله إلى ماكينة أخرى في نفس المحل لتقوم هي الأخرى بتجفيفه : تضع في ثقبها قطعة من ذات البنسين

وتضغط على الزر فتعمل الماكينة وتقوم بتجفيف غسيلك بواسطة الهواء الساخن.. وبعد حوالى نصف ساعة تخرج من المحل وغسيلك نظيفا ومجففا، وما عليك بعد ذلك إلا أن تكويه بنفسك فى البيت ، لأنه ليس فى لندن كلها محلات مكوجية ..

حتى
الأكل

أنت لست محتاجا إلى أن تصنعه فى البيت . ففى أغلب المحلات الكبيرة التى تبيع كل شىء تجد ركنا مخصصا للأكل الجاهز الذى تستطيع أن تأخذه معك إلى البيت لتقوم بتسخينه قبل أكله : قطعة السمك المقلية المملحة بـ ٢ بنس أو ٣ بنس . قطعة كبيرة يمكن أن تأكلها فى المحل مشبعة وأنت واقف . أو تأخذها معك إلى البيت لتسخنها وتأكلها والعة ! !

« الكولونيل كنتوكى » هو صاحب أشهر وأرخص سلسلة مطاعم منتشرة فى أنحاء إنجلترا كلها . مطاعم تأكل فيها على الواقف أو تأخذ الأكل منها معك إلى البيت ساخنا ملهبا ومطاعم « الكولونيل كنتوكى » الضابط الإنجليزى السابق الذى تقول الإعلانات عن محلاته أنه قضى مدة خدمته العسكرية فى الهند - لا يبيع لك إلا صنفا واحداً فقط لا غير : الفراخ المحمرة « كنتوكى فرايد تشيكن » فى علبة صغيرة من الورق المقوى بـ ٣٢ بنسا بها قطعتان كبيرتان لا تقلان عن نصف فرخة محمرة بطريقة شهية جداً ، دعايتهم أنها مطهوة بالطريقة البيتى ، وإلى جانبهما كمية من البطاطس المحمرة .. يعنى وجبة كاملة مهولة بـ ٣٢ بنسا فقط . مفيد جداً « الكولونيل كنتوكى » هذا للعزاب وللأزواج الذين طفشت منهم زوجاتهم نتيجة حسن المعاملة ! !

الإنجليز

ألغوا

الحساب من تعاملهم الذهني بعد الدخول الرهيب للآلات الحاسبة في حياتهم .. فألغوا تماماً عمليات الضرب والطرح والقسمة والجمع من أذهانهم .. وابتداء من العامل أو الموظف الصغير لغاية المدير العام أصبح الجميع ما لم تكن أمامهم آلة حاسبة - يعدون على أصابعهم إذا أرادوا حتى حساب رقم مكرر : تدخل مكتب البريد لتشترى ٥ طوابع فئة ٣ بنسات . عندنا نحسبها . في سرها هكذا : ٥×٣= ١٥ لكن هنا يشيرون على كل طابع بأصبعهم وهم يحسبون بصوت عال : ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٥ (!!) . تدخل للمدير لتقول له إن مرتبك ٤ جنيهات في اليوم وأنك اشتغلت هذا الأسبوع خمسة أيام . فيعد المدير على أصابعه . ٤ ، ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٠ .. وهكذا !!

حاجة غريبة جداً . سيطرت الآلة على حياة الناس هنا تماماً ! !

أختنا

« بيسة »

والدها رجل فاضل من رجال الدين وأستاذ في جامعة الأزهر . لذا فهي تعتبر نفسها « أرشدنا » وولية أمرنا فيما يتعلق بأمور الدين .. ظلت « بيسة » شهرين كاملين تبحث وتدقق وتمحص وتستشير الفلك والنجوم والكواكب والأقمار الصناعية ، وكادت أن تضرب الرمل وتوشوش الودع وتفتح المندل حتى توصلت أخيراً إلى العثور على الـ « قبلة » في لندن - بكسرة تحت القاف طبعاً (!!) - فبدأت تصلي ..

الشغل الشاغل لـ « بيسة » منذ فترة هو شهر رمضان الذي سيأتي عينا ونحن في لندن : متى يبدأ وكيف سوف نصوم فيه وكيف نفطر وكيف

تسحر ؟ وهل نتبع مواعيد الإفطار والسحور والإمساك فى القاهرة - وفرق التوقيت بيننا وبينها ساعتان - أو نصوم على مواقيت ساعة « بجبن » الشهيرة فى لندن ، وهى ساعة مسيحية والله أعلم ؟ ! . وكيف نحتفل بشهر رمضان ونحن لا نعرف الترجمة الإنجليزية المعتمدة ! (حاللو ياحاللو رمضان كريم يا حاللو) . وميين نجيب فول مدمس وطرشى بلدى بالدقة على مائدة الإفطار كل يوم ؟ ! .

وحين توصلت « بيسة » الشيطة إلى الوصول إلى حل فى هذه المسائل العويصة كان رمضان قد جاء وانتهى ، وكل سنة وهى طيبة ! !

أول مرة

التعامل مع البرود الإنجليزى الشهير كانت صباح اليوم . . غلطت غلطة صغيرة أشعرتنى بالمدى الممكن أن يصل إليه فعلا البرود الإنجليزى !

نزيلة حسناء جاءت إلى مكتبى وأعطتنى مفاتيح غرفتها لكى أحضر لها حقائبها لتغادر الفندق إلى المطار .. كنت مشغولا بتليفون هام خاص بالعمل ، ولما انتهيت من التليفون وضعت السماعة ونسيت تماماً موضوع حقائب النزيلة الحسناء ؛ وهى بالبرود الإنجليزى الشهير الذى يظهر وقت اللزوم لم تحاول أن تذكرنى أو تكرر الطلب منى ، إنما جلست فى صالون مدخل الفندق ووضعت ساق فوق ساق وأشعلت سيجارة وتركت — ببساطة جداً — موعد طائرتها يمر ويضيع ! ! . فلما تذكرت أنا وأسرعت أحضر لها حقائبها كان أوتوبيس الفندق قد انطلق إلى المطار فعلا وتركها ! ! . . واكتشفت أنا إذ ذاك أن المفروض أن أطلب لها تاكسى — على حسابى الشخصى — لكى يذهب بها إلى المطار ، فإذا لحقت بطائرتها كان بها ، أما إذا لم تلحق بها فتعود إلى الفندق لتبيت فيه الليلة إقامة كاملة على حساب الفندق خصما من مرتبى ، لأن الغلطة غلطتى وأنا

الذى أتحمل نتائجها ! ! . .

لكن ربنا ستر ولحقت بطائرتها . فلم يخصم منى غير جنيه ونصف فقط . أجرة التاكسى ! !

آخر

أخبار

مغامرات أحوبا « كالح » جرسون الكافيتيريا الذى يريد أن يتزوج من إنجليزية . أى إنجليزية : استفرد اليوم بـ « سوسن » طالبة كليه المجرة — الطيبة الساذجة التى تصدق أى شىء يقال لها — ليسرح بها سرحة كبيرة جداً ولا أفلام الجاسوسية والعصابات . فاب . قص قوه إنه إذا كان خاها . التى هو أنا يعنى — صحفى - فإنه التى هو « كالح » هو أيضاً فى « مهمة خاصة » هنا فى لندن . وبعد أن تنتهى « مهمته » هنا سوف ينتقل إلى جنيف فى مهمة مماثلة . وهو لن يستطيع أن يصرح لها بنوع « مهمته » لأنها من النوع الـ « Top Secret » أو « السرى جداً » ، وعليها أن تفهمها كده بوحدها دون أن يقول هو شيئاً ! !

فرحت « سوسن » كطفلة صغيرة بهذه القصة السينمائية الطريفة التى تدور حوادثها بين لندن وجنيف والقاهرة . وجاءت مسرعة لتحكيها لى ! ! فلما ذهبت إلى الفندق فى المساء طلبت « كالح » وقلت له أن « الرسالة » التى أراد إبلاغها لى قد وصلتنى . لكننى لم أفهم بالضبط ما الذى يريدنى أن أفهمه ؟ ! .. فأنكر أنه قال ذلك بالتحديد لـ « سوسن » . إنما قال لها : « يعنى إن أنا قلت كده . ماهو كل واحد يقدر يقول على كيفه » .. فلما حاصرته وضيقت عليه الخناق قال أخيراً « شوف بأه . أنا حاقول لك على كل حاجة بصراحة ، وبعدين حاروح السفارة المصرية وأسألهم عنك إذا كنت انت صحفى بصحيح والا لأ .. فإذا كنت مش صحفى حاطلب منهم إنهم يحرسوك ويحموك منك ! ! . أصل فى الحقيقة .. ».

وقبل أن يصارحني الأخ « كالح » « الحقيقة » ، جاءت « بيجي » مديرة الكافيتيريا في الوقت السينمائي المناسب تماماً لتشحط فيه وتسوقه أمامها إلى داخل الكافيتيريا ليعود إلى عمله ويتوقف الفيلم الجديد « كالح » عند هذا الحد ، الليلة على الأقل ! ! .

الآلات والماكينات

الإنجليزية يبدو أنها لا تحب الهزار أو لا تحب أن يستكردها أحد . . « سوسن » و« سناء » كانت تتجولان اليوم في الضاحية فشاهدتا ماكينة المشروبات المثلجة والساخنة التي تضع فيها ٣ بنسات وتضغط على زر فيخرج لك كوب من المشروب الذي طلبته . ثم تجد « سناء » معها فكة غير ٢ بنس فقط فأرادت أن « تحم » الماكينة ، فوضعت الـ٢ بنس وضغطت على زر الشاي الساخن . لكن يبدو أن الماكينة كانت متوعكة المزاج الليلة وليس لديها استعداد للهزار . فأعادت لها الـ٢ بنس من فتحة أخرى وشحطت فيهما باللغة العربية « إحرى يانت انتي وهي العبوا بعيد » !!

الحقيقة أنه نزل حما في الكوب ماء ساخن فقط دون شاي ، ومن باب « الأمانة الإلكترونية » أعادت إليهما الماكينة الـ٢ بنس بتوعهم ! ! .

برغم أن مستر

« هوبكنز » المدير المساعد للفندق — الذي عينني هنا — لم يدخر وسعاً في نشر « السر » الذي اتفقنا على أن نحتفظ به بيننا ، حتى علم كل الناس الذين يعملون في الفندق أنني صحفي ، وأن عملي كـ « بورتر » في الفندق ليس إلا مهمة صحفية من نوع خاص ؛ فإنه قد جاء الدور

عني أنا أيضاً – كمصرى – منذ عدة ليال لكى أمر بتجربة رذالة بعض الإنجليز

الست الأيرلنديه الشمطاء « بيجى » مديرة الكافيتيريا لاحظت أنى لا أطلب فى العشاء كل ليلة إلا صنفاً واحداً لا يتغير هو « الفراخ » .. لفت ذلك نظرها فسألت « سوسن » و « سناء » فقالتا لها إن ذلك لأنى مسلم ولا أستطيع أن أطمئن إلى اللحم الذى يقدم فى الكافيتيريا خوفاً من أن يكون من لحم الخنزير الذى تحرمه ديانتنا . . ومن هنا قررت الست « بيجى » أن تضطرنى إلى طلب لحم الخنزير عنوة عنى . . فادعت منذ عدة ليال حين دخلت للعشاء أن الفراخ قد انتهت ، فطلبت سمك . . وفى الليلة التالية قالت لى عن الفور وأنا داخل للعشاء : « لا يوجد الليلة لا فراخ ولا سمك » . فطلبت فطيرة ببيض مقلى بلحمة .. فلم يكن منها فى الليلة الثالثة – من غيظها منى – إلا أن ادعت أن الكافيتيريا مغلقة من الساعة ٢ إلى ٥ صباحاً لتنظيف المطبخ . وهى تعلم أنى لا أتناول عشائى قبل الثالثة صباحاً كل ليلة ! ! .

« سوسن » حين وجدت أنى لن أتعشى فى تلك الليلة « هربت » لى ربع قرشة أكلتها فى السر وأنا أتمشى فى الظلام فى حديقة الفندق ليلا . . وكنت أشعر أنها أشهى وأظرف وألذ وجبة عشاء أكلتها فى حياتى . بلعنة الست « بيجى » الشمطاء ! !

(١٣)

□ جاك ماشاش . . فى روكاباك ! ! □

أعمل

أربعة

أيام فقط فى الأسبوع . . المفروض أن عدد الساعات التى أعملها لا تزيد عن ٤٠ ساعة أسبوعياً . وقد كانت مواعيد عملى من الساعة ١٠ مساء إلى ٨ صباح اليوم التالى ، يعنى ١٠ ساعات كل ليلة . لذا فإننى أعمل ٤ أيام فقط فى الأسبوع . .

وبالرغم من أننى قد أصبحت « رئيس واردية » بعد ١٤ يوماً فقط من تعيينى كما ذكرت من قبل ، إلا أن ذلك يحدث ليلتين فقط كل أسبوع . وذلك معناه أننى أكون « مرؤوسا » فى الليلتين الأخريين . وحسب جدول الورديات فإننى أعمل كل ليلة من الليلتين مع رئيس مختلف : مرة مع « ريتشارد » والثانية مع « توني » وكلاهما شاب صغير عمره ٢٤ سنة ، لكنهما يختلفان اختلافاً مهولا . .

«ريتشارد برايان Richard Brayn» و «توني مورجن Tony Morgan» . كل منهما يمثل نوعية مختلفة من الشعب الإنجليزى . « ريتشارد » هو الإنجليزى الساذج الطيب الأهبل «الطيطى» الذى تقترب به سذاجته وطيبته من حد العبط ، ولم يكن هذا هو رأيى أنا وحدى فيه ، إنما كان رأى زملائه ورؤسائنا أيضاً ، وبالرغم من ذلك فقد كان « ريتشارد » هو أكثر واحد أحببته فى الفندق كله . .

أما « توني » فهو على العكس من ذلك تماماً : « چون بول » صغير ؟؟

إنجليزى متعجرف ومتعطرس ومغرور . . مهم جداً ومرسوم على الآخر . . ويعتقد أنه إذا كانت ميزته الوحيدة فى الدنيا هى أنه إنجليزى فذلك يكفى . متشبث بالوهم القديم الذى يصور له أن « الإنجليز هم سادة العالم » . وكل من عداهم فهم خدم وحشم وعبيد للسادة الإنجليز !! . . « توفى » كان يعمل كهربائياً . ثم ترك الأعمال الكهربائية « لأسباب صحية » . كما قال لى هو وجاء ليعمل كـ « بورتر » فى هذا الفندق منذ نحو سنة ونصف . وسرعان ما تدرج فى الترقى سريعاً حتى أصبح رئيس واردية . ثم رئيساً لكل الـ « بورترز » العاملين فى كل ورديات الليل يعنى رئيساً على « ريتشارد » أيضاً .

طوال الفترة التى قضيتها فى العمل فى هذا الفندق كانت أكره ليالى الأسبوع إلى قلبى هى تلك الليلة الوحيدة التى يكون « توفى » فيها هو رئيسى . « ريتشارد » يقتسم معى كل الأعمال المهمة والبسيطة بالعدل والقسطاس . وبأدب شديد . . أما « توفى » فهو يقعد و « ينجعص » فى المكتب ويتولى هو كل الأعمال الإدارية المهمة ويترك لى عملا واحداً فقط ، هو توصيل حقائب النزلاء من وإلى غرفهم . . حتى أصبح جلد باطن يدى خشناً حافاً قريباً من ملمس « السنفرة » ! . وحتى تصورت أنى سوف أعود من هذه الرحلة « الصحفية » بانزلاق غضروفى أكيد . . وحتى إنى أحياناً — من فرط علاسة « توفى » وغلاسة بعض الإنجليز — أكاد أنسى مهمتى وأصبح فيه وأنا أخلع جاكتة الـ « يونيفورم » وألقيها فى وجهه : « أنا صحفى يا أولاد الـ . . . وبحترم عنكم كلكم » . ثم أعود فأتذكر المهمة التى أنا هنا من أجلها . وأننى لو عومست كصحفى لما رأيت الصورة الحقيقية التى أريدها والتى أراها الآن فعلا . ولأننى كما قال لى مستر « هوبكنز » المدير المساعد يوماً ما : « قد تكون أشهر صحفى فى بلدك أو أشهر صحفى فى العالم ، لكنك تعمل عندنا هنا « بورتر » فقط » ! !

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

بما أن

« ريتشارد »

هو الإنجليزى الطيب لسذج لوحيد فى المحيط الذى يعمل فيه . فهو كان « لقطة » وصيداً ثميناً بالنسبة لـ « سوسن » التى لا تترك أحداً فى حاله . وكتشفت « سوسن » أن « ريتشارد » (يجيد) من اللغة العربية كلمة واحدة فقط — لا يعرف حتى معناها — هى كلمة « إمشى » التى التقطها من ترديد « أمين القصاص » لها أمامه . . ووقع « ريتشارد » مرة بلسانه فقال لـ « سوسن » . « إمشى » ، فلم يخلص منها : طلبت وراءه حتى جعلته يحفظ عبارة كاملة باللغة العربية مكونة من ٤ كلمات بحالها . وأعجبت العبارة « ريتشارد » فظل يتذوقها ويستطعمها ويدوكها بلسانه المعوج حتى حفظها تماماً وأصبح « لبلب » ويقولها لكل الناس — حتى للمديرين بمناسبة وبدون مناسبة ليجعلهم يعرفون أنه أصبح الآن « يجيد اللغة العربية » . فيطلقها بلكنته الحواجاتى على مقصين ، وبوضوح شديد : « جاك ماشش فى روك باك » . .

« حك مشش فى ركبك » ! ! .

كان

عندنا

الليلة فى الفندق زحمة شغل رهيبة . طائرة وصلت عند منتصف الليل وعليها نحو ٢٠٠ سائح من أصحاب الملايين الأمريكان العواجيز الكهنة الهكعين ، أكثرهم « شاباً » تعدى الستين بكثير .. أوصلت حقائبهم جميعاً إلى غرفهم فلم يعطنى ولا واحد منهم بقشيشاً أكثر من كلمة « Thank you » .. ورئيس الوفد العجوز يبتسم لى من بعيد كأنه يطمئننى إلى أن الحساب عنده فى الآخر ! .. وفى النهاية أوصلته هو وزوجته

إلى غرفتهما . فمد يده فى جيبه وأخرج محفظته ودعبس فيها قليلا ثم مد يده إلىّ : بنس ونصف ! ! يعنى ثلاثة تعريفة ! ! .

تناسية البقشيش أطرف بقشيش تلقيته طوال مدة عملى بالفندق حتى الآن كان . طالع بريد يابانى جديد من فئة العشرة « ين » .. بريلة يابانية حسناء قدمته لى بدلا من البقشيش ! ! . .

رجل
الأمن

الوسيم ذى الشعر الأحمر : « جويفور إيفانز Gwynfor Evans » الذى يعمل فى مطار « هيثرو » ويقيم فى الفندق عندنا . عائد غداً إلى موطنه « ويلز » فى أجازة لمدة شهرين .. وكان طوال فترة وجوده معنا صديقاً لكل المصريين .. جاء « إيفانز » الليلة ليودعنى قبل سفره ، وليقول لى إنه قرأ كثيراً عن الفدائيين العرب ويعرف الكثير عن مشكلة الشرق الأوسط . وأنه يكره الإسرائيليين كما نكرههم نحن ، وكما يكره أهل « ويلز » وأهل أيرلندا الإنجليز . وأنه سوف يأتى قريباً ذلك اليوم الذى يطرد فيه العرب اليهود من فلسطين كلها ، كما سيأتى أيضاً اليوم الذى يستطيع فيه الأيرلنديون أن يطردوا الإنجليز من بلادهم ، ويتحرر أهل « ويلز » و يسالوا استقلالهم عن إنجلترا . .

حقيقة ، من النادر أن يلتقى المصرى أو العربى فى أوروبا كلها ، وليس فى إنجلترا فقط ، بواحد أوروبى له آراء « إيفانز » . .

زمان ،
وأنا

طفل ، كنت حين أتلكأ يومين أو ثلاثة عن موعدى « الأسبوعى » فى الذهاب إلى الحلاق ، تقول لى أمى : « راسك بقت عاملة زى (راس

العيد) يفضوا بيها السقف وشكلك بتى يضحك . إجرى إحلق » . . .
اليوم لى ثلاثة شهور فى لندن لم أذهب فيها للحلاق ، وأصبح رأسى مثل « راس العيد » فعلا ولا أحد يضحك علىّ ولاحاجه ، بالعكس ، الناس هنا يظنونى « ماشى مع الموضة » . لأن الموضة هنا أن الناس اللى شعرهم أكرت يتركون شعرهم هايشاً كالمنفضة فوق رؤوسهم . . الأغرب من ذلك — أو على الأصح : الأعبط من ذلك أن الناس إلى شعرهم ناعم يذهبون إلى الحلاق لـ « يكركته » لهم لكى يبدوا أكرت . . ولله فى خلقه شئون وورق الهيل على المجانين ! ! . .

وأنا لم أطلق شعرى تشبهاً بـ « هيبيز » لا سمح الله ، ولا تأثراً بجو الحياة فى لندن ، لكن لعدم ثقتى فى أن الحلاقين هنا سوف يفهمون ما أريده بالضبط ، لأننى لا أعرف اصطلاحات الحلاقة باللغة الإنجليزية ، وحتى لو كنت فى أى بلد عربى فأيضاً لن أستطيع أن أجعل الحلاق الليبى أو اللبنانى أو اليمنى مثلا يفهم ما أريد ، لأن لكل بلد عربى اصطلاحاته الخاصة فى المهنة ، إلا إذا أريتهم صورة فوتوغرافية لى وأنا حالق .. فأنا أحلق حلاقة أقرب إلى العسكريين ، وقطعاً نسى الحلاقون هنا شكل الحلاقة التقليدية ، لأن الرجال جميعهم هنا كباراً وصغاراً ، عواجيز وشباناً ، قد أطلقوا شعورهم لتتهدل على أكتافهم كشعور النساء .. وحين ذهب « أمين القصاص » مجازفاً ليحلق شعره قصيراً ، حعلوه كالكتكوت الشركسى الأزعر أبو رقبة طويلة حين يقع فى الماء فيبتل ريشه ويتلباك . . حلقوا له حلاقة غريبة جداً جعلت شكله مضحكاً . . وأنا أفضل أن أعود إلى مصر بعد خمسة شهور وشعرى طويل وأقصه فى مصر ، من أن يبدو شكلى مضحكاً هنا أمام ولاد الـ . . إنجليز ! ! . .

بالمناسبة : سعر حلاقة الشعر هنا جنيه إسترلينى كامل ، ، وربنا يجعل كلامنا خفيفاً على الحلاقين فى مصر ! ! . .

وبالمناسبة أيضاً : سألت « بوب » فى الإستقبال لوسيم ذو الشعر .

الطويل المفهاف المتلمس ناعماً على كتفيه أطول من شعور الفتيات

— بوب . . شعرك بقى طوله كده فى قد إيه ؟

فأجاب .

فى سنتين تقريباً . .

قلت وأنا أتحسس شعرى .

— يعنى تتنكر شعرى ممكن يبقى « زى » شعرك بعد قد إيه ؟ .

فنظر « بوب » بدهشة شديدة إلى شعرى الأكرت المجعد المكرمش وقال باستنكار عظيم :

— ولا بعد ١٠٠ سنة طبعاً ! ! .

تعلمت

من

الإنجليز شيئاً هاماً : هو عدم الإحتفاظ بالأشياء التى ليس لها لزوم . فإنك لن تجد فى البيت الإنجليزى أية كراكيب أو أى شىء يجعلك تشعر أنه زائد عن حاجة البيت أو زاحم الدنيا بدون مناسبة وبدون مبرر . . . .

أتصور الآن أننى لو استفدت . بعد عودتى إلى القاهرة مما تعلمته من الإنجليز ورميت كل الأشياء التى ليس لها لزوم فى بيتى . فسأفاجأ بأن البيت قد أصبح على البلاط ! ! . .

« ليلى

سليمان »

. . الإذاعية المصرية التى تعيش وتعمل فى لندن منذ نحو سنتين ، اتصلت بى بالتليفون اليوم لتدعونى إلى الغداء فى أحد الكازينوهات

على نهر التيمس . دعوة على الطريقة الإنجليزية . نتغدى معاً . لكن كل واحد يدفع لنفسه ! !

أدا و « ليلى » أصدقاء من زمان صحيح . لكنها صداقة « الزمالة » بين شاب وفتاة على الطريقة المصرية . يعني صديقين داخل نطاق العمل فقط . وعند الباب الخارجي للمبنى الذي نعمل فيه معاً تنتهي « صداقتنا » تماماً ويكاد لا نتبادل التحية إذا اتفقنا مصادفة في الشارع . فما الذي غيّر « ليلى » وجعلها «تبور » إلى هذا الحد الذي تدعوني فيه هي لنخرج معاً ؟ !

لم تتغير « ليلى » . . بالعكس . إن مشكلتها هي مشكلة البنت المصرية التي تعيش وتعمل وحدها في أوروبا . لكنها تظل « تفكر » و « تتعامل » بالعقلية المصرية كأنها ما زالت موجودة في مصر .. الفتاة الأوروبية تخرج مع أي شاب يطلب منها أن تخرج معه . وطالما أنها ليست مرتبطة بمواعيد أخرى فهي لا ترفض موعداً لشاب للخروج معه ، بل وتتوقع ببساطة جداً ، وتندهش إذا لم يحدث — أن تنتهي السهرة بأن تذهب معه إلى بيته أو يذهب معها إلى بيتها إذا كانت تعيش وحدها .. ويمكن جداً أن تكون « ليلة وتعدى » ولا تتكرر ولا تحدث مرة أخرى ، بل وقد تكون تعرف جيداً أنها لن ترى هذا الشاب مرة أخرى . لكن الفتاة المصرية التي «تعيش» في أوروبا عالماً لا تفعل ذلك . . فهي تظل وفي ذهنها الفكرة الشرقية التقليدية من أنها لا تخرج مع شاب إلا إذا كانت ترتبط معه بعلاقة حب تؤدي في نهاية الطريق إلى الزواج . . كون أن العلاقة تنتهي أو لا تنتهي بالزواج فعلا فذلك موضوع آخر .. المهم أنها لا تخرج مع شاب إلا إذا كان هناك حب يربط بينها وبينه . ومن هنا تعيش « أغلب » الفتيات المصريات في أوروبا متقوقعات على أنفسهن ، لا خروج ولا دخول ، حتى يصادفهن الحب ومن هنا أيضاً فإن وجود « صديق » أو « زميل » عزيز من مصر في زيارة محدودة للندن فرصة للتنفيس

عن الإنغلاق و « الحسة » التي تعيش فيها الفتاة المصرية ، بحجة الترحيب به وإكرام وفادته وبحجة أن تكون مرشدته ودليلته في مشاهدة لندن ، برغم أني أعرف عن لندن في ست زيارات ما لم تعرفه «ليلى» في سنين متصلتين قضتهما فيها .. لكن الذي أعرفه أكثر . وأقدره أكثر هو إحساسي بالضيق النفسي لدى تعانيه « ليلى » والذي جعل وزنها يزيد عشرة كيلو جرامات عن آخر مرة رأيتها فيها منذ سنة ونصف تقريباً.. نتيجة «القعدة» في البيت بقلة الحركة وعدم الخروج إلا إلى العمل . .

و« ليلى »

تعمل

كمقدمة برامج في مراقبة تعليم اللغة العربية بالراديو في البرامج الموجهة في إذاعة القاهرة . ومهما كان العمل ظريفاً فإنه بعد فترة من الوقت يصبح روتينياً مملا غير متجدد ، ويصاب المرء بحالة من القرف والإكتئاب والملل والزهق تجعله يكاد يكره عمله ويكره كل ما يحيط به ، ومن هنا لعلها كانت الحكمة في وجود « الأجازة السنوية » . . وتمر هذه الحالة بـ «ليلى سليمان» إلى جانب مجموعة أخرى من الظروف النفسية والظروف الشخصية تجعلها تتصور أنها لاسبيل لها إلى الخلاص من هذه الحالة إلا بالإبتعاد عن عملها والإبتعاد عن البلد كلها لفترة من الزمن .وهكذا حصلت « ليلى » على أجازة بدون مرتب وجاءت إلى لندن منذ نحو سنتين ..وبشغلها عملها الجديد في أحد فنادق لندن الكبيرة ، ويشغلها شكل الحياة في لندن عن حالتها بعض الوقت . لكنها بمضي الوقت تعود إليها نفس الحالة وعلى أشد . . فتصبح أكثر عصبية وأكثر زهقاً وملالا ، وتكاد تكون « مش طايقة حد » ، ومش عارفة هي هنا في لندن بتعمل إيه ، ولا تجد مبرراً لاستمرار بقائها في لندن بعد أن أصبحت الحياة في لندن — أيضاً — روتينية هي الأخرى بالنسبة إليها .. وفي الوقت نفسه فإنها تخشى أن تعود

إلى عملها فى إذاعة القاهرة لأنها تعرف أنه لم يتغير ولن يتغير ، وأيضاً — بالرغم من إعجابها الشديد بشكل الحياة فى لندن - إلا أنها لم تستطع أن تحبه ولا أن تتواءم معه .

قلت لـ « ليلى » متفلسفاً .

- ليس المهم أن نغير عملنا ولا أن نغير المكان الذى نعيش فيه المهم أن نغير ما بداخل نفوسنا ، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . ألم تكن لديك الفرصة لترتبطى بصداقات مع الإنجليز ؟

قالت « ليلى » توضح فى شيئاً لم يكن غامضاً على .

- الشاب الإنجليزى ياعزيزى شاب عملى ، ليس لديه وقت للصداقة بين الشاب والفتاة كما أفهمها أنا وكما تفهمها أنت . . الشاب الإنجليزى ليس مرشداً سياحياً ولا فاعل خير ولا متطوعاً للخدمة العامة ولا عضواً فى جمعية الصداقة المصرية الإنجليزية . . الشاب الإنجليزى ، مثل أى شاب أوروبى ، يتعرف بالفتاة ويخرج معها وأمام عينيه مثل إنجليزى مشهور يقول :

«Find them - Feed them - Love them - Leave them.» !!

يعنى . « إعثر عليهن - إدعوهن للغداء أو العشاء مارس معهن الجنس — ثم اهجرهن بعد ذلك فوراً ! . » .

□ مسكينة « ليلى » . . ستعود من لندن أكثر تعقيداً مما ذهبت ! ! . .

كان

معى

عنوانه حين جئت من القاهرة ، لكننى حين بحثت فى خريطة لندن عن إسم الشارع الذى يقيم فيه لأعرف فى أى حى من أحياء لندن يسكن زميلنا الإذاعى « إبراهيم عطية » ، لم أعثر على إسم هذا الشارع عن

خريطة لندن كلها . فتصورت قطعاً أن الذى أعطانى العنوان قد أخطأ فى كتابة إسم الشارع . لكننى لكى « أخلص ضميرى » لم أجد مفرا إلا طريقة واحدة يمكن أن تحقق نتيجة : كتبت العنوان كما هو على ظرف خطاب ووضعت عليه طابع بريد . وكتبت كلمتين أقول فيهما لـ « إبراهيم » أى موجود فى لندن ورقم صندوقى هو كذا . وأرجوه أن يتصل بى هو إذا وصله هذا الخطاب . وألقيت الخطاب فى صندوق البريد وريحت نفسى من هذه المشكلة .

وفى الليلة التالية مباشرة دق جرس التليفون على مكتبى يأتينى صوت « إبراهيم عطية » يرحب بى فى لندن ويشرح لى السبب فى عدم وجود الشارع الذى يسكن فيه على خريطة لندن . ذلك لأن المنطقة التى يسكن فيها « إبراهيم » منطقة جديدة ، تدخل ضمن التوسعات التى امتد إليها العمران حديثاً فى أطراف لندن .

لم أر « إبراهيم عطية » منذ ٤ سنوات تقريباً . . « إبراهيم » كان موظفاً فى مراقبة عقود الإذاعة بشهادة متوسطة . وكانت مشكلته دائماً هى أن طموحه أكبر من الإمكانيات المتاحة له : يريد أن يدرس سينما . لكن معهد السينما فى مصر لم يقبله ، وحتى لو كان المعهد قد قبله لما استطاع «إبراهيم» الإنتظام فى الدراسة فيه بسبب مواعيد عمله فى الإذاعة وفى لحظة من لحظات « الإلهام » يقرر « إبراهيم » أن يترك عمله فى الإذاعة ويأتى إلى لندن ليدرس السينما فى معاهدها .. لكنه بمجرد وصوله يكتشف أن « ما ألعن من سنى إلا سيلعى » . وأنه إذا كانت مشكلته فى مصر أن معهد السينما فى القاهرة لم يقبله دارساً به ، فإن معهد السينما فى لندن يرحب به صحيح ، لكن على أن يدفع ٣٠٠ جنيه إسترلينى كل سنة كمصاريف دراسة ! ! . . ولم يكن ذلك سهلا طبعاً بالنسبة إليه فى بداية حياته فى لندن ، فأجل مشروع دراسته للسينما مؤقتاً حتى يستقر ويعمل فى لندن ويعرف أوله من آخره .. لكن الواضح الآن أن « إبراهيم » قد استقر وعرف أوله من

آخره . وعرف أيضاً أن القصة تتكرر مرة أخرى . وأنه لن يستطيع دراسة السينما في لندن أيضاً .

« إبراهيم »

بدأ

حياته في لندن كعامل أطباق . ثم مساعد جرسون . وهو الآن جرسون . وكان ممكناً أن يصل إلى وظيفة رئيس جرسونات لو أراد — بحكم الخبرة والأقدمية — لكنه لا يريد . لأن دخل الجرسون أكبر . والجرسون في إنجلترا — لو تعلمون — شيء عظيم . .

كان آخر مرتب تقاضاه « إبراهيم » في مصر ١٣ جنيهاً وصف جنيه بعد عمل ٧ سنوات في خدمة الحكومة . والآن دخله الشهري ١٢٠ جنيهاً إسترلينياً . غير البقشيش . وهو يشعر حقاً بالفرق الرهيب في المرتب لأنه يحيا هنا حياة أحسن بكثير من المستوى الذي كان يحيا فيه وهو في مصر . يسكن بستة جنيهات في الأسبوع في شقة صغيرة في أطراف لندن . غرفة وحدة وصالة ومطبخ وحمام . استأجرها حالية وفرشها هو . . عنده الآن تليفزيون ملون وثلاجة وبوتاجاز وماء ساخن وماء بارد وبدلة وسيارة « هيلمان » صغيرة و . زوجة ألمانية وطفل : « جيد رايلي » و « كريم » .

وليست

قصة

وجود « إبراهيم عصية » في لندن قصة نجاح بقدر ما هي صورة صادقة بدون رتوش لشخصية مصرية تعيش في لندن . . ويقول « إبراهيم » إنه كسب كثيراً من مجيئه إلى لندن . . كسب المعرفة قبل كل شيء . أجاد اللغة الإنجليزية قراءة وكتابة وحديثاً . فتفتحت أمام عينيه كنوز معرفة

وكنوز ثقافة . . ورأى بعينيه أماكن كان يسمع عنها فى الكتب ويقرأ ما نكتبه نحن الصحفيين عنها .. و . « الناس فى مصر متصورة وفاهمة أننا بنيجى هنا لنمد ملاقى الفلوس مرمية فى الأرض تحت رجلينا واحنا ما علينا إلا أننا « نتنازل » ونلمها . ما يعرفوش أننا بنشقى ونتعب . وأن الشغل فى لندن مش حاجة بسيطة ولا حاجة سهلة » .

« إبراهيم » ينوى أن يستقر هنا فى لندن عن طول ، خصوصاً أنه فى شهر أكتوبر الماضى كان قد أتم ٤ سنوات فى إنجلترا وأصبح من حقه أن يعامل معاملة الإنجليز فى كل شىء من ناحية الوظائف . . فقبل هذه السنوات الأربع كان ممنوعاً أن يعمل — كأجنبى — إلا فى أعمال الخدمة فى الفنادق ، لكنه الآن يستطيع أن يعمل فى أى وظيفة تسمح بها إمكانياته وخبراته . كما أنه يستطيع أن يبدأ بنفسه أى مشروع أو يفتح محلا .. وفى ذهنه الآن يدور مشروع محل فول وطعمية يبيع فيه الصاندوتش بـ ٤٠ بنساً ، يعنى حوالى ٧٠ قرشاً مصرياً — ربما يجعل كلامنا خفيف على التابعى أبو قرشين صاغ .. وحين تتحسن ظروف « إبراهيم » فإنه سوف ينعش من جديد فكرة دراسة السينما حتى لو كان عمره ٦٠ سنة ، لأنه فعلا غاوى سينما ويحبها فنًّا وليس مظهراً .

« إبراهيم »

لديه

مشكلة صغيرة جداً ، لكنها طريفة جداً . زوجته « جينا » مازالت حتى الآن غير مسلمة . . أرادت أن تكون مسلمة ، فذهب بها « إبراهيم » إلى المركز الإسلامى فى لندن ليشهر إسلامها ، لكن « الشيخ شلبى » أصر على أن تحفظ « جينا » — التى لا تتكلم العربية — (ربعاً) من القرآن « يسمعه لها » ، وأن تتوضأ وتصلى ٤ ركعات أمامه ، كامتحان لها قبل أن يوافق على إشهار إسلامها ! ! . . ولما كان ذلك مستحيلا طبعاً فقد

قرر « إبراهيم » أن يأخذ زوجته ويحضرا إلى القاهرة فى زيارة سريعة . فقد يكون إشهار إسلامها فى القاهرة أسهل ! ! . ويقول « إبراهيم » إن « الشيخ شلبى » لو امتحن « إبراهيم » نفسه . المسلم منذ ولادته . فى حفظ الـ « ربع قرآن » وكيف يتوضأ ويصلى . لرفده من الإسلام ، لأن « إبراهيم » لا يحفظ القرآن ولا يصلى . ومع ذلك فهو مسلم برغم أنف « الشيخ شلبى » ! !

عثرت

الليلة

بالصدفة على واحد آخر من أسرة الإذاعة والتليفزيون موجود فى لندن « مهاب مرزوق » . . « مهاب » يعمل مخرجاً فى البرامج السينمائية فى تليفزيون القاهرة بعد تخرجه من معهد السينما منذ ٧ سنوات . لكنه — هو أيضاً شعر فجأة أن الأيام والشهور والسنوات تمضى وراء بعضها دون أن تحمل إليه الجديد الذى كان يتوقعه . ويشعر أن فى داخله أشياء تتفاعل وتريد أن تخرج لكنه لا يعرف ما هى على وجه التحديد ، فأراد أن يعطى الفرصة لهذه التفاعلات لتخرج فى جو جديد وفى ظروف تجربة جديدة ، فخرج من مصر خروجاً بوهيمياً وجاء إلى لندن بلا خطة ولا مشروعات ولا أى شىء على الإطلاق إلا أن يرى شيئاً جديداً ويتعامل مع جو جديد لمدة سنة واحدة . ونلتقى هنا بالصدفة لنجد أنفسنا وكل ما جاء تقريباً لنفس الفكرة ونفس الغرض ، ولا يفصل بيننا إلا عرض شارع صغير إسمه « بات رود » : هو يعمل فى فندق الشيراتون ، وأنا أعمل فى فندق الـ « ستر إيريبورت هوتيل » . وإن كنت بعد أنا أن تنتهى مهمتى هنا سوف أعود إلى مصر فوراً . أما « مهاب » فى ذهنه أن يتجه إلى أمريكا بمجرد أن يستطيع أن يدخر ثمن تذكرة الطائرة إليها . . لكى يستكمل هناك تجربته التى يريدها . .

شعرت

الليلة

تماماً بالأزمة الممكن أن تواجهها لمفلس فى بلاد غريبة كنت مرتبطاً بموعد مع صديقتى الصحفية الكندية الشابة « سوزانا روسسون » لنلتقى فى لندن . لكنى إكتشفت فجأة أنى فى نهاية الأسبوع ، وأنى مفلس جداً وليس فى جيبى غير ٤٥ بنساً فقط . . نزولى إلى لندن سوف يكلفنى ذهاباً وعودة ٣٥ بنساً . ولا أستطيع على الإطلاق أن أجازف بالذهاب إلى لندن وفى جيبى ١٠ بنسات . . لنفرض أن تذكرة العودة ضاعت من جيبى . لنفرض أنى تهت ولم أعرف أين أنا وأردت ركوب المترو الـ « أندرجراوند » مرة زيادة . . لنفرض أنه صادفتنى أية ظروف مفاجئة لم تكن فى الحسبان جعلتنى أحتاج إلى أى مبلغ يزيد عن العشرة بنسات التى معى . فماذا أفعل وأنا هنا فى لندن ؟ . . فى القاهرة ممكن أن أمشى أى مسافة أو أمر على أى واحد من الأصدقاء المنتشرين فى أنحاء القاهرة لكى أطلب منه ما أريد . . أما هنا فلا أعرف أحداً ولا يعرفنى أحد . وحتى لو كنت تعرف أحداً فوقتك لكى تنتقل من مكان إلى مكان فى لندن سوف تنفق فى المواصلات مبلغاً وقدره . وحتى لو عرفت أحداً وعرفت مكانه وعرفت كيف أصل إليه ، فشكلها وحش جداً - فى مبادئى - أن أمد يدى لأى إنسان لكى أقترض منه ..... إنها ، فعلا ، أزمة المفلس فى بلاد غريبة

ولم أذهب إلى موعدى مع « سوزانا » . وأنا واثق من أنها - بأحاسيس الكاتبة - سوف تفهم وتقدر مشاعرى حين أحكيها لها عندما نلتقى بعد ذلك .. لما أقبض ! ! .

أروبة
جداً

أحتنا « بيسة » ... فرغم أنه ما زال أمامنا أكثر من شهرين آخرين نقضيهما في لندن ، إلا أنه كان من رأيها أنه من الأفضل أن نحجز للعودة على الطائرة من الآن . قبل أن يبدأ موسم عودة الطلبة المصريين إلى القاهرة فتزدحم الطائرات ولا نجد مجموعتنا « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « منى » وأنا . أماكن على طائرة واحدة نعود عليها معاً .
وافقت « بيسة » على رأيها واتفقنا على أن نذهب معاً بعد انتهائي من العمل صباح اليوم إلى مطار « هيثرو » لنتفق مع مكتب شركة « سويس إير » على تاريخ عودتنا

انتهت ورديتي ، وستبدلت لـ « يونيفورم » . وعدت إلى مكتبي مرة أخرى لأنتظر حتى تحضر « بيسة » .. لكني قبل أن أصل إلى مكتبي تسمرت مندهشاً وقد تعلقت عيناي بحسناء تجلس في صالون مدخل الفندق وبجوارها حقيبتها : عربية جداً . . ما الذي تفعله صديقتي مذيعة التليفزيون الحسناء « نجوى إبراهيم » هنا في لندن ؟! .. وكيف حدث أنها نزلت في الفندق دون أن أعرف ذلك مع أن أسماء النزلاء جميعهم تأتيني كل ليلة وأقرؤها إسماً إسماً بحكم عملي ؟! . وبالذات هي وحدها ولا أحد معها ؟! . ولماذا ولكن . «نجوى» سوداء الشعر وهذه الحسناء شقراء !! . وضحكت لسذاجتي : ومنذ متى شئت لون شعر النساء ؟! على أي حال لأقطعن . ظريفة جداً « لأقطعن » دي ، طبعت لوحدها كده لأقطعن الشك باليقين . سأمر من أمامها وأحييها تراني ، فإذا عرفتني كانت هي « نجوى إبراهيم » . أما إذا لم تعرفني فهي تخلق من الشبه أربعين ، وتكون هذه قطعاً هي النسخة الأولى من الأربعين ! ! .

وطلعت تخلق من الشبه أربعين فعلاً . لكنها الخلق الناطق

« نجوى إبراهيم » . إنما على شقراء . وقبل أن تهدأ دهشتي فوجئت بـ « بيسة » تأتي من بعيد لتحيي الحسناء الشقراء وتقف معها وتكلمها : باللغة العربية !! .. ويعدين بدأ ؟ . تكونشي هي « نجوى » فعلا بس ما أحدشي باطر مني حين مررت من أمامها ؟! .. وقبل أن تبدأ سماؤلاتي مرة أخرى سحبت « بيسة » الحسناء الشقراء شبيه « نجوى إبراهيم » من يدها وجاءت لتعرفها بي . « منتهى محمود حجار . أردنية . أمينة مكتبة في عمان . أوبكل حسين . . نعمل معا في الفندق هنا » . أمينة مكتبة ؟ ! . . لا بد أن نساء الأردن جميعهن دهرت الجمال إدن لكي تعمل حسناء زي القمر مش « منتهى » أمينة مكتبة !! .. أمال ممثلات السينما ومذيعات التليفزيون هناك شكلهم إيه ؟ ! .

« منتهى محمود حجار » باتت ليلة واحدة في لندن - ترنزيت - في طريقها من عمان إلى « تورنتو » بكندا . رحلة في اتجاه وحد .. بلا عودة . هجرة . لكي تكون مع أشقائها الذين سبقوها إلى هناك بفترة استقرت فيها حياتهم وأحوال معيشتهم ، فأرسلوا يطلبون ذهاب « منتهى » لتنضم إليهم . ويبدأ « منتهى » الحسناء ذات الثلاثة والعشرين عاماً رحلتها لتنضم كوحدة عربي جديد إلى قافلة المهاجرين العرب الدجحين في المهجر في أي مكان .

بسرعة أصبحنا أصدقاء : هي و « بيسة » وأنا .. وذهبنا إلى المطار معاً في أوتوبيس الفندق .. باقي عن طائرة « منتهى » ٤ ساعات ونصف .. قالت وهي تنظر في وجهي ووجه « بيسة » في تأمل شديد إنها تشعر كأنها تعرفنا من زمان .. كأنها رأتنا من قبل . لكن فين فين فين ؟! مش عارفة .. ورجتنا أن نبقى معها حتى يحين موعد إقلاع طائرتها لتونس وحدها . . وافقت أنا على الفور : حد يكون عنده فرصة أن يبقى علقة ساعات مع حسناء مثلها ويرفض ؟ ! يبقى عبيط قطعاً . خلال الكلام والدردشة إنسحبت «بيسة» من لسانها وقالت لـ «منتهى» إني صحفي،

فوجئت . «منتهى» تقول على الفور وعلى وجهها كل أمارات الدهشة : « عرفت إذن أين رأيتك — أو على الأصح رأيت صورتك — من قبل.. أنت حسين عذرى الصحفى فى مجلة الإذاعة والتليفزيون القاهرية ؟ ! » . . قلت لها وأنا مندهش أنا أيضاً « أيوه » .. قالت . «وكنت تكتب منذ عدة شهور فى المجلة رحلة صحفية لك بعنوان (رحلة إلى دولة ترانزستور) ؟ » .

الحمد لله يارب . أعظم شىء فى الدنيا يثلج صدر الكاتب ويسعده هو أن يجد أحداً يعرفه — ككاتب — ويقرأ له . . فما بالكم إذا كان هذا « أحد » حسناء من عينة « منتهى » ؟ .

وطرت « منتهى » إلى كندا . وتركت على شفتاى طعم السعادة والإمساك ما زال باقيا حتى الآن ! !

« حفيظة » . .

الشابة

الباكستانية الحسناء صاحبة الفيللا التى أسكن فيها فى « كرسفورد » .. باكستانيه مسلمة . . كانت تطلب منى دائماً أن أترك لها الصحف الإنجليزية التى أنتهى من قراءتها لكى تستخدمها فى تنظيف زجاج النوافذ هنا لا يبيعون الجرائد بالكيلو للقمالين ! ! . . فلما تركت لـ « حفيظة » بعض الصحف المصرية فوجئت بها فى اليوم التالى فى صفيحة الزبالة . بالصحف صبحاً وليس بالست حفيظة ! ! . ولم يكن ذلك تقديراً منها لدور الصحافة المصرية كما تصورت أنا فى البداية . لكن . كما شرحت لى هى الأمر بعد أن استفسرت منها : لأن الصحف المصرية مطبوعة باللغة العربية : اللغة التى نزل بها القرآن . . ومحتمل أن يكون فى بعض هذه الصحف « كلام الله » . . لذا فالست « حفيظة » تستحرم أن تستخدم « كلام الله » فى تنظيف النوافذ ! ! .

عقبالنا يا رب لما نبقى مسلمين للدرجة دى ! ! .

عدوى

الصحافة

تنتقل إلى الباب الخصاب في الذي يعمل حوى هنا . « سهير حمزة » العاملة في بكاوريوس جاره بين شمس التي تعمل في الصيف في فندق شيراتون مطار لندن « سهير » فقشت فضيحة صحفية طريفة حاعبي بها مع «المستندات» . فندق شيراتون لندن يضع في كل غرفة من غرفه صورتين متجاورتين بالألوان لشيراتون القاهرة وشيراتون تل أبيب في إسرائيل . على اعتبار أن هذين الفندقين – بالذات – هما أحسن فنادق شيراتون في العالم كله ! !

وبمناسبة الشيراتون لقصة أخرى تحمل مدلول معنى . في كل إعلانات سلسلة فنادق الشيراتون التي تنشرها في صحف ومجلات العالم . تضع إسم شيراتون تل أبيب – جغرافيا – ضمن فنادق شيراتون الموجودة في أوروبا ! !

من

الأشياء

الظريفة التي تحدث هذه الصداقات ممكن أن يعود بها لطالب المصري من رحلته الصيفية .. خصاب ظريف وصلني صباح ليوم من جزر الكناريا الأسبانية . من رجل الأعمال الأمريكي العجوز الظريف مستر « دونالد كاميرون » الذي ينزل في الفندق هنا كلما جاء إلى لندن .. رجل خمسون وعشرين وكل العاملين في الفندق أصدقاؤه بنداء من المديرين لغاية خرسونات الكافيتيريا . مستر « كاميرون » حين تعرف على مجموعة المصريين والمصريات الذين يعملون في الفندق فرح بنا جداً لأنه كان قد زار مصر لمدة ٤ أيام منذ ٣٠ سنة . ويجيد اللغة العربية إجادة تامة .

« كوايس .. موس كوايس . شوقي مشهور – يعني مجهود !! –» . ثم العد من واحد لعشره بطريقة الجواحة مجو ورايح جاي في الفندق يستعرض ثقافته العربية ويحيي كل الناس كمستشرق : « ساهيلة آفيندي » يعني « سعيدة يا أفندي » !! . على اعتبار أن هذه هي قمة البلاغة في اللغة العربية ! !

كانت « جوانا » فتاة الإستقبال الحسناء تقف معي عند مكتبي ذات ليلة تحكي لي حكاية ما . فجاء صديقنا العجوز « المستشرق » مستر « كامبرون » ليقف بيننا بلون مناسبة كالعول ويستعرض لغته العربية المهشمة أمام « جوانا » فيقول وهو قطسان من الضحك كأنه يحكي نكتة بارعة . « شوقي بست . شوقي بنت . شوقي » ! ! وتظن « جوانا » أنه يقول لي شيئاً عنها فتسألني في ضيق : « هو بيقول إيه ؟ » .. ويطلب هو مني – بإلحاح – أن أترجم لها ما قاله . كأنه قد قال شيئاً يستحق الترجمة . لكنني حتى لا تغضب « جوانا » ترجمت لها ما قاله حرفياً . « شفت البنت . شفت البنت . شفت . » . فلا تجد « جوانا » في ذلك أي شيء يدعو للضحك والسخرية بهذا الشكل . فلا تضحك وإنما تسأل ببرود : « وهل في ذلك شيء يضحك ؟ » فيرد مستر « كامبرون » وهو ما زال مستغرقاً في الضحك . « إنه هو – يقصدني أنا – الذي لم يترجم جيداً » ! !

أردت

ألا

أكون متجنياً على الإنجليز في اتهامي لهم بأنهم يحاولون إذلال المصريين .. ابنت « بيجي » المديرة الليبية للكافيتيريا ، التي تقف في موقف العداء بدون مناسبة منذ أن جئت إلى هذا الفندق ، حتى إنها منعت تقديم الفراخ في الكافيتيريا كلها على العشاء لأنها الصنف الوحيد الذي أطلبه . فلما طلبت سمكاً بدلاً من الفرخ منعت السمك أيضاً في الليلة

التالية ، وظللنا نلعب المساكة هكذا عدة ليال : كلما طلبت أنا صنفاً ادعت هي أنه غير موجود . كل ذلك لأني أكبر المصريين هنا — سن على الأقل . فإذا أذلتني فهي تذل في شخصي كل المصريين . .

قالت لي « سوسن » الليلة : « صيب ما تغير طريقتك معاها . بدل ما انت كده كأنك واحد منها موقف وبتعاملها . ما تجرب صداقتها بدل عداوتها » .. قررت أن أجرب وجهة نظر « سوسن » .. ذهبت إلى « بيجي » في غرفتها الصغيرة في الكافيتيريا وسألتها بود ومرح لزوم تغيير الطريقة : « هل يضايقها أن أتناول عشائي مكرراً الليلة ؟ » . فقالت على الفور وفي ود هي الأخرى : « أبداً أبداً . هل تحب أن تتعشى الآن ؟ » قلت : « ياريت » قالت بخبث . « وماذا تريد أن تأكل ؟ » قلت : « اللي تأمرين به أنت » قالت بكرم زائد . « أنت تحب الفراخ . . سأعد لك أنا عشاءك » ! ! . شكرتها وذهبت إلى مكتبي المفضل في مطعم العاملين في الفندق . لتأتي القرشانة ورائي بعد لحظات لتسألني : « هل تحب أن أعطي سنات سوسن وسناء فترة راحة الآن لكي تتعشيا معك ؟ » قلت — كاذباً — : « أنت كريمة دائماً » . فذهبت وأرسلت لي « سوسن » و « سناء » وكل منهما تحمل عشاءها . وبعدهما جاءت هي المديرة شخصياً تحمل لي عشائي بنفسها ! ! . .

ومنذ تلك الليلة وأنا والبنات نتناول عشاءنا معاً كل ليلة . و « بيجي » تقدم لي بنفسها — بنت الأيرلندية — الفراخ كل ليلة ! ! .

كان

واقفاً

يسدد فاتورة حسابه عند الحربة التي توجه مكتبي . فمحني على البعد . . الملامح المصرية والدم المصري يتحدثان جداً هنا في الغربة . ويكتشف المصريان بعضهما بسرعة جداً .. نحي ، ولمحت نظرته لي من بعيد

فابتسمت له . فجاء إلى ناحيتى ليتطر بإمعان فى إسمى المكتوب بالإنجليزية على الـ «بادج» المعلق على صدرى ، ثم سألنى بالإنجليزية «جود مورنج .. هل أنت عربى ؟» . فأرد عليه بالعربية : «صباح الخير يا افندم . مصرى» ؟ . ونقف لنتدرش فترة طويلة معاً . يسألنى عن أحوال المصريين الذين يعملون هنا وأسأله عن أخبار مصر وحين يحين موعد ذهابه هو وأسرته إلى المطار أنقل له حقائبه بنفسى إلى أوتوبيس الفندق . برغم أننى كنت رئيس الواردية الليلة والمفروض أن يقوم مساعدى بهذا العمل فيلس فى نحو ٣٠ نسناً وهو يتمنى لى النجاح وأنا أتمنى له رحلة طيبة . .

لم يعرفنى بنفسه ، لكننى لمحت إسمه المكتوب على حقائبه : المهندس «سعد ح العبد» رئيس مجلس إدارة شركة النحاس المصرية بالإسكندرية ، الذى سوف يعرف الآن فقط وهو يقرأ هذه السطور ، أن الـ «بورتر» المصرى الذى قابله فجر أحد أيام أكتوبر الماضى فى فندق «سفر إيرپورت هوتيل» فى مطار لندن ، وحمل له حقائبه من الفندق إلى الأوتوبيس ، هو نفسه الصحفى الذى يكتب هذا الكلام الآن فى القاهرة . .

لك عندى ٣٠ بنس يا باشمهندس ! ! .

(١٤)

□ إنه عالم أهبل أهبل أهبل ! !.. □

أو

□ خطاب حب إلى واحدة ما أعرفهاش ! ! □

للمرة

الثانية

أتعرض لنفس الموقف . كنت سهراناً فى مكتبى فى الفندق حين جاءت فى الخامسة صباحاً سيارة سبور رياضية « چاجوار » فاخرة وركنت أمام الفندق ، لينزل منها رجل طويل القامة مهيب المنظر فاخر جداً وشيك جداً شكله كأساتذة الجامعة الإنجليز ، بدلته الإسكوتش ونظارته لطية البيضاء الأنيقة وشعره المشوب بالبياض والپايپ المعلق فى جانب فمه . . هببت واقفاً لتحيته ، لكنه تجاوزنى بعظمة ونفخة وكبرياء دون أن يرد تحيتى .

بعد دقائق دخلت دورة المياه ، فوجدت أستاذ الجامعة الأنيق الشيك ذا البدلة الأسكوتش الفاخرة ، خالعاً چاكتته وممسكاً بخيشة المسح والجردل والفرشاة يمسح دورة المياه ، بنفس العظمة والنفخة والكبرياء !!.

فى السادسة صباحاً مر من أمامى مرة أخرى ، وركب سيارته الأسبور الرياضية الـ « چاجوار » . . وانطلق ! ! .

الإنجليز

قطعاً

ناس مجانين فيهم أشياء وتصرفات غير طبيعية . وقد أتاح لي عملي في هذا الصدق أن أرى أكبر قدر ممكن من الخبط ومن الخبل الإنجليزي ! . .

هؤلاء الشبان والبنات الـ « هيبيز » . الذين يحمل كل واحد منهم وكل واحدة منهم « جراسلديته » خلف ظهره . ويرتدي ملابس ممزقة وأسمالا بالية وهلاهيل لا يرتديها الشحاذين عندنا في مصر . فتساورك الرغبة في أن تمد يدك إليه بشلن يفك به أزمته . لكنك تفاجأ بالواحد منهم لا ينزل في بيوت الشباب ولا ينام على الدكك الخشبية في الـ «هايدبارك» شأن المفلسين . إنما يذهب إلى فنادق الدرجة الأولى مثل فندقنا ليدفع ٧ جنيهات إسترلينية وشوية لمجرد مبيته فقط في الليلة الواحدة . غير ما ينفقه في الكافيتيريا وفي بار الفندق ! ! .

وبمناسبة الـ « هيبيز » إكتشفت هنا مؤخراً شيئاً ظريفاً جداً عن الهيبير الزوج : ذلك الشعر الأكرت الهايش العظيم الذي يعلو رؤوسهم يشبه مقصة السقف . ليس إلا : باروكات ! ! . . كل يعني هم ناقصين قبح في المنظر وفي الشكل لكي يزيدوا أنفسهم قبحاً لكن يبقى أن المسألة كما قلت . إنه عالم أهبل أهبل أهبل ! .

وبقدر

ما هو

مشهور ومعروف عن الإنجليز من الأدب في التعامل . فإنك أيضاً في الوقت نفسه معرض في أي لحظة إلى شطحة أو همة من الشطحات والهفات الإنجليزي : ذلك الرجل الشتلي الذي كان يبدو شخصاً هاماً . كان ينزل عندنا في الفندق ، وذهب في أوتوبيس الفندق إلى المطار وعند

منتصف الليل لكي يستقبل زوجته القادمة من الهند ، وطلب أن يذهب الأوتوبيس إليه في المطار مرة أخرى في الثالثة والنصف صباحاً ليعود به هو وزوجته إلى الفندق . . لم أكن رئيس الواردية في تلك الليلة ومع ذلك قمت بتذكير « ريتشارد » عدة مرات بموعد لنزيل الهندي في المطار ، ليوقظ « ريتشارد » السائق « جوك » لكي يذهب بالأوتوبيس لإحضار النزيل الهندي وزوجته ، لكن « ريتشارد » طنش ولم يوقظ « جوك » ، حتى استيقظ هذا وحده في الخامسة والنصف صباحاً بعد الموعد بساعتين كاملتين — وذهب إلى المطار . . لكن النزيل الهندي - بعد أن رهق من الإنتظار — عاد إلى الفندق بتاكسي على حسابه بمجرد ذهاب «جوك» . ولم يعجب ذلك التصرف «جوك» السائق ، وزعل جداً وانحمق ، فرفع سماعة التليفون وطلب النزيل الهندي في غرفته وشتمه وبهدله وقفل التليفون في وشه . لماذا لم ينتظره في المطار حتى لو ذهب إليه متأخراً عشرة أيام ؟ ! . .

آلمني أنني كنت طرفاً في هذا الموضوع على الأقل رأيته — دون أن أستطيع أن أتدخل إلى جانب النزيل الهندي الذي كان على حق قطعاً . . لكن ، وأنا مالي ، ما يتفلقوا في قلب بعض . . الراجل الهندي مش حايزعل مني أنا شخصياً لكن حايزعل من الإنجليز ومن إنجلترا نفسها . . ؟ ويمكن الهند تترك الـ « كومنولث » من تحت راس الحكاية دي ! !

وزميل

العمل

الإنجليزي شخصية طريفة جداً وعربية جداً : يكون سهران معك في الشغل طول الليل تمزحان وتضحكان وتتبادلان النكت ، وفي نهاية العمل تخرجان معاً ، فيذهب ليركب سيارته ويكون طريقه هو نفس طريقك فلا يعرض عليك أن يوصلك . . ولو وجدك واقفاً على محطة الأوتوبيس فلن يكلف خاطره حتى بالنظر إلى ناحيتك ، وغايته لو تكرم ونظر إليك

فسيلوح لك بيده وهو منطلق بأقصى سرعة ليقول لك «إلى اللقاء بالليل» ! ! .

أخونا

التونسي

«محمد ولى» صاحب بنسيون «كاوميل هاوس هوتيل» . يبدو أنه أصيب بالعدوى من الإنجليز : لديه كلب إسمه «سام» لا يطيق أن يبتعد عنه ، للدرجة أنه يأخذه معه حين يسافر إلى الخارج . . لذا و «سام» - الكلب - له باسبور وفيه صورة ماوية لسادته وهو «يبتسم مهوهواً» . . وبه حبيبة حين يبادى واحد منا على إسمها «جيني» يصرخ «سام» ودانه ويهز ذيله ويجرى إلى ناحية الباب ليستقبلها . ثم يغضب وينبح في وجوهنا برقة وأدب ودماثة وودعة - حين يكتشف أننا كنا نسخر منه ومن «عوطفه» ، وأن «جيني» لم تأت بعد ! !

والإنجليز - كان الله في عونهم - مهتمون جداً بتربية الكلاب والقطط إلى حد هوس والجنون . . للدرجة أنه في كل محلات البقالة والـ «سوبر ماركت» تجد رفوفاً كاملة لأطعمة القطط والكلاب : علب محفوظة : أكل القطط مرسوم على كل علبة منه صورة قطة ظريفة حسناء ، وأكل الكلاب مرسوم على كل علبة صورة كلب وسيم . ليس ذلك فقط ، بل إنك تجد في المحلات الكبيرة قسماً خاصاً لـ «لحس» القطط والكلاب على شكل «عظام» مختلفة الأشكال والألوان والأنواع . . ليست عظاماً حقيقية طبعاً ، ولكنها مصنوعة من البلاستيك بلون العظام الحقيقية . .

أتصور أن المفروض في هذه الحالة أن «البيه الكلب» يجيء مع الهانم الإنجليزية صاحبته لكي «يبقى» العضمة التي تعجبه ! !

وفى

بعض

المحلات الكبيرة فى شارع « أوكسفورد ستريت » بالذات تجد ركناً خاصاً لهذه اللعبة « الصحفية » الطريفة : « كيف تنشر إسمك وخبراً عنك فى نسخة واحدة من أى صحيفة إنجليزية تعجبك » ! ! . . إكتب الخبر الذى تريده أن ينشر عنك على اعتبار أنك عملت كذا وكذا وسويت الدوايل . وأن المستر « هيث » رئيس وزراء إنجلترا قد استقبلك بنفسه فى مطار لندن . وأنك قد قابلت المرحوم المستر تشرشل فى « تربته » . وأنك قد سحرت الأميرة « آن » برمش عينيك وأنها سوف تترك خطيبها من أجلك . إفتر ما شئت وخد واحدك على الآخر وقل كل اللى فى نفسك . وادفع ثلاثة شلنات ليصنع لك هذا « الخبر » وأنت واقف فى نسخة واحدة من الجريدة الإنجليزية التى تختارها . لكى تأخذها معك وأنت عائد إلى بلادك لكى تفرح بها العيال . عيالك يعنى . ولكى تثبت للناس فى بلدك أنك مهم . وأنت ولا رحت ولا جيت ولا قابلت أحداً إلا كسارة المترو ! !

الآن فقط عرفت كيف يفوز « عبد اللطيف التلبانى » و « شريفة فاضل » دائماً فى مهرجانات الأغنية فى أوروبا ! !

حين

رأيتهن

لأول مرة ظننت أن الحرب قد قامت فجأة وأن حالة التعبئة العامة قد أعلنت : فتيات يرتدين « أوفرول » قطعة واحدة من قماش يشبه الجلد ويضعن فوق رؤوسهن خوذات كخوذات سباقات السيارات . ويركبن موتوسيكلات متشابهة ينطلقن بها بسرعة هائلة فى شوارع لندن . . ظننتهن

. على الأقل — فريقاً رياضياً يتدرب على سباقات الموتوسيكلات في شوارع لندن . حتى فوجئت مرة بطابور الموتوسيكلات المتشابهة هذا « راكناً » عند الباب الخلفي لأحد المطاعم في شارع جانبي صغير متفرع من « أوكسفورد ستريت » . وكانت عندي الفرصة لكي أقرأ ما هو مكتوب على الموتوسيكلات .. فاكتشفت أنها تابعة لمطعم إسمه « شيش كباب تركي » لتقوم بتوصيل الطلبات إلى المنازل ! !

وبمناسبة هذه الـ « حوادث » . عرفت هنا أن قانون المرور الإنجليزي يلزم راكبي الموتوسيكلات — نساء أو رجال — بلبس هذه الخوذة الخطيرة كأنهم ذاهبون إلى الحرب . . وذلك خوفاً على رؤوسهم من حوادث انقلاب الموتوسيكلات .. والذي يخالف هذا القانون يستوقفه رجال المرور ويسحبون ترخيصه فوراً ويعاقب عمر وشي بيه وإيه من دون قانون لعقوبات ! ! . . وتصبح المسألة شكلها طريف جداً شاب يأخذ صاحبته وراءه على الموتوسيكل خارجين يتمسحان ويشمان الهواء ويحملان بعصبهما على الموتوسيكل . فتجد الحبيبين وقد لبس كل منهما في دماغه هذه الكسرولة الغير رومانسية على الإطلاق . فتحسبهما أشبه برجال الفضاء في طريقهما إلى القمر

أتصور

أن

أغلى شيء في لندن هو المواصلات . ثمن التذكرة في الأوتوبيس أو في المترو الـ « أندرجراوند » لا يقل عن شلن ، يعني نحو ٨ قروش مصرية حتى لو ركبت محطة واحدة ، وتتدرج في الزيادة بزيادة عدد المحطات حتى تصل إلى ٧٥ بنساً أو ما يساوي ١٣٥ قرشاً مصرياً . وهي أعلى تذكرة أوتوبيس عرفتها أنا على الأقل . .

والتاكسيات في لندن حكايتها حكاية : كلها شكل واحد وطراز واحد :

سوداء كبيرة الحجم قديمة الطراز تشبه سيارات نقل الموتى ، يفصل بينك وبين السائق من الداخل لوح زجاجي أو نافذة زجاجية حتى لا يسمع كلامك مع صديقك أو صديقتك ، ولا يفتحها إلا إذا نقرت له عليها .. والعداد يبدأ بـ ١٨ بنساً ثم يجري بسرعة البرق ليعد كل ٣ بنسات معاً . ١٨ — ٢١ — ٢٤ — ٢٧ — ٣٠ وهكذا وكل ٣٠ بنساً يعدها العداد يأخذ السائق منك ١٠ بنسات زيادة كبقشيش إجباري ، غير البقشيش العادي طبعاً الذي يجب ألا يقل عن ١٠ بنسات ، و إلا نظر السائق إليك باحتقار يساوي ١٠٠ جنيه !

والتاكسي لا يحمل حقائب الزبون في شنطته الخلفية مثل عندنا . إنما لها مكان خاص بجوار السائق نفسه . ليس بجوار كرسي السائق كرسي آخر ، إنما المكان الذي بجواره خال تماماً ليس فيه إلا فرصة مران تضع فوقها حقائبك فتوزن وتدفع عنها أجراً غير أجر المشوار نفسه !! مش حاجة سهلة زي عندنا . تطلع التاكسي ومعاك قفة أو سحاره أو صندوق بحالها ما حدش يقول لك حاجة . كما أن سائق التاكسي لا يتحرك من مكانه ليحمل عنك أو حتى ليحمل معك — حقائبك . . أنت تحمل حقائبك بنفسك وتضعها فوق الميزان داخل التاكسي بنفسك وليه السائق قاعد مطرح مستريح ٢٤ قيراط . هي حقائبه هو والا حقائبك أنت ؟ ! .

والمرور

في

لندن تنظمه وتقوده — والله أعلم — الشرطيات النساء فقط . . فإني لم أر «رجل مرور» واحداً طوال فترة وجودي في لندن . . وإذ كنا نستطيع أن نسمي هؤلاء الشرطيات « نساء » تجاوزاً ، لأنهن يعتبرن كذلك من الناحية التشريحية فقط ! ! .

أما قطارات السكة الحديد الإنجليزية فهي التي ظريفة حقاً : القطار

نفسه يبلو وكأنهم جاءوا به من متحف القطارات الأثرية التاريخية ، ولا يمت بأدنى صلة إلى القطارات الحديثة الحربية أو الديزل أو الإكسبريس .. إنما يشبه القطارات التي نراها في أفلام رعاة البقر أيام أن سارت القطارات في أمريكا للمرة الأولى : تفتح باب عربة القطار فتجد نفسك داخل الصالون على الفور . يعني كل كبينتين ٤ مقاعد بينها باب يفتح على الرصيف مباشرة ، وتفتح الباب وأنت على الرصيف تلاقي نفسك قاعد دوغري .

ركبت هذا القطار التحفة . رغم سرعته — عدة مرات من لندن إلى « ويست كرويلون » وإلى «ستراتفورد» قرية شكسبير الشهيرة . في المحطات التي وقف فيها القطار لاحظت شيئاً طريفاً جداً صوت مذيعة حسناء تقول بصوت حلو مشرق : « القطار الواقف الآن على رصيف رقم كذا في هذه المحطة ، ذاهب في اتجاه محطات كذا وكذا » ، وتعود فتكرر نفس النداء مرتين ، ثم يأتي بعدها صوت حنجور ليقول : « والقطار الذي على رصيف رقم كذا ذاهب إلى محطات كذا وكذا » ، ويكرر النداء مرتين ، ومع السلامة . وينطلق القطار التحفة السريع يستأنف رحلته من جديد .

منظمين بشكل يعرس هؤلاء الناس . ولا يستطيع الواحد أن يفتش عليهم خطأ واحداً في التنظيم ، منتهى التسهيلات بحيث لو ذهب حمار مخطط وحده إلى لندن لما تاه أبداً في مواصلاتها ، واحنا عندنا القطارات نفسها تتوه . ووالله العظيم والله العظيم هذه ليست تشبيهة . ركبت مرة أوتوبيساً في القاهرة ، وكان السائق كل شوية يتوقف ليسأل الركاب : « هه ، وبعد كده حانمشي مين ؟ » لأنه هو والكمساري كانا جديدين على هذا الخط وأول مرة يعملان فيه ! ! .

والإنجليز

من

أكثر شعوب العالم إيماناً بالتفاؤل والتشاؤم . ولهم في ذلك أشياء وتصرفات تموت من الضحك . . فهم مثلا لا يتعاملون مع رقم ١٣ أبداً . ملغى تماماً من حياتهم . . لن تجد أتوبيس رقم ١٣ ولا ممر رقم ١٣ ولا غرفة رقم ١٣ أو ٢١٣ ، وهكذا . . أما إذا صادف وجاء يوم ١٣ في الشهر يوم جمعة فياداهية دق . . تبقى المصيبة دوبل ! .

ويتشاءمون إذا كسروا مرآة . ويعتبرون أن ذلك يدوم بسبع سنوات كاملة من الحظ السيئ . ويتشاءمون إذا عبر أحدهم تحت سلم مرفوع موضوع في مكان ما دون أن يمسه . ويتشاءمون إذا رأوا قطة سوداء في يوم جمعة إما إذا كان ذلك في أي يوم آخر من أيام الأسبوع فهم يتفاءلون . وقد تكون نفس القطة والله أعلم

وهم يصنعون أثر التشاؤم بشيء بسيط جداً ، هو أن يأخذ الواحد منهم بين أصبعيه شوية ملح صغيرين جداً ويلقيها وراء كتفه اليمنى . . لذا نصحت أصدقائي الإنجليز بأن يأخذ كل واحد منهم معه وهو خارج إلى الشارع من باب الإحتياط كيس ملح أو ملاحة ! ! .

وقد

تعلمت

لعبة ظريفة من ألعاب التفاؤل : الإنجليز عندما يعثر أحدهم على دبوس إبرة ملقى على الأرض ، يلتقطه ويحتفظ به في مكان ظاهر في غرفته أو في بيته . . حاولت أن أقلدهم في هذه العادة ، فكلما عثرت على دبوس في الأرض التقطته ورشقته في تسريحة غرفتي لكن العكس

كان يحدث معي دائماً . فكلما عثرت على دروس جاءتني مصيبة . . وبعد ٤ دبابيس كنت قد قنعت تماماً بأن الإنجليز يخدعونني وأنهم عايزين يرونى فى داهية ويرموا لى الدبابيس فى طريقى . فبطلت ألتقطها من الأرض ، وأصبحت حين أرى دبوساً مومياً فى الأرض أشيح بوجهى إلى الناحية الأخرى حتى لا يرانى هو ! !

لاقيت

صعوبة

كبيرة فى بداية عملى فى الفندق فى التفاهم مع بعض الدمين الإنجليز الذين يتكلمون بلهجة الـ « كوكنى » هجة منطقة الـ « إيست إند » فى لندن . . وكنت لا أفهم ما يقولون إلا بعد أن يكرروه مرة ومرتين وثلاثة ، وببطء . . وكنت فى البداية أظن أن العيب منى أنا ، حتى اكتشفت مع الوقت أننى لست أنا وحدى « الجاهل » ، إنما كثيرون من الإنجليز أو الذين لغتهم الأصلية هى الإنجليزية ، أيضاً لا يفهمون لهجة الـ « كوكنى » . . .

مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد للفندق : نصف ألمانى ، لذا فهو « متعلم » اللغة الإنجليزية زى حالاتى ، وحاله مثل حالى فى « التفاهم » مع « الناطقين بالكوكنى » . اليوم كان يقف معى فى الصباح نتكلم فى موضوع ما ، وكان السائق « أنتونى » موجوداً ، فتدخل فى الحديث بطريقته الـ « كوكنى » التى تصخم الحروف ولا يفتح فمه وهو يتكلمها . . فلم يفهم مستر « بتشورتشيك » من « أنتونى » شيئاً ، فالتفت إلىّ ليسألنى : « ماذا يقول أنتونى ؟ » ، فترجمت له إلى الإنجليزية — ما قاله « أنتونى » بالإنجليزية ! ! .

ومن

التيسيرات

والتسهيلات الممتازة عند الإنجليز والتي نفتقد عندنا في مصر مثيلاتها تماماً . أكشاك التليفونات العمومية في كل شارع وفي كل محطة مترو تجد عدداً من هذه الأكشاك متقاربة . . تدخل الكشك الزجاجي — وتقفل الباب وراءك فتنعزل عن جو الشارع تماماً . تضع في الثقب قطعة العملة ذات الـ ٢ بنس وتتكلم لمدة ٣ دقائق . فإذا سمعت الصفارة التي تفيد انتهاء المدة تضع قطعة أخرى من العملة وتستمر في المكالمة ٣ دقائق أخرى . وهكذا إلى ما شاء الله . . أما إذا كنت ناوي ترعى مع حسنه مثلا . فهناك ثقب آخر تضع فيه قطعة من فئة العشرة بنسات مرة واحدة وتتكلم لمدة ربع ساعة كاملة دون أن ترعجك الصفارة . .

وكل نيمون في هذه الأكشاك له رقم خاص مثل أي تليفون في أي مكان . . يعني يستطيع أحد أصدقائك أن يتصل بك هو في تليفون الكشك القريب من بيتك مثلا في موعد محدد تنتظره فيه داخل الكشك . وتتكلم ١٠ ساعات في هذه الحالة دون أن تنقطع المكالمة إذا كان الذي يطلبك — أو « التي » — تتكلم من تليفون بيت . .

وحين تصطلح معك النمرة التي تطلبها فإنك تطلب رقم ١٠٠ . الذي يوازي رقم ١٦ أو ١٨٨ عندنا في القاهرة ، لكنه في لندن يرد عليك على الفور وبأدب شديد — ويوصلك بالنمرة المطلوبة ويشكرك هو قبل أن يخرج من الخط ولا ينتظر حتى تشكره أنت . . أدب إنجليزي . .

عقبالنا يارب : في التليفونات ، وفي الأدب ! !

وفي كل كشك من أكشاك التليفون هذه مجموعة كاملة من دفاتر تليفونات مدينة لندن ، عددها ستة دفاتر . . موضوعة في الكشك الموجود في الشارع ، دون حراسة ** ولا أحد يمزق صفحاتها أو يعبث بها أو يشخبط

فيها . . أسفر من لندن وأرجع ها فأجدهم كما هم لا أحد ينقلهم من مكانهم ولا أحد يسيء استعمالهم . . لو كانوا عندنا في مصر لأصبحوا بعد ١٠ دقائق قراطيس لب وسودة وترمس وطعمية !

سيارة

لوري

مقفلة تشبه سيارات نقل الأثاث ، لكنها مصممة بطريقة طريفة . . غالباً ما تراها في ضواحي لندن المتطرفة . . تدخل شوارع الضاحية في الصباح في موعد يكاد يكون ثابتاً بالنسبة لكل شارع . . وتتوقف فيه لتفتح جوانبها ومؤخرتها لتكشف عن « محل خضري وفكهاني » متنقل على السيارة اللوري . . وتطلق السيارة بوقها مرة واحدة فقط إعلاناً عن وصولها ، فتنزل إليها ربات البيوت ليشترين منها احتياجاتهن من الخضر والفاكهة . يعني التكنولوجيا الإنجليزية إستبدلت عربات اليد بباعة المتجولين بسيارات لوري . .

وتلك النغمات الموسيقية على البيانو التي أسمعها كل يوم في الساعة الرابعة عصراً ، ظننتها في البداية دقات ساعة أو إشارات ضبط الوقت من راديو أو تليفزيون الجيران العالي ، حتى اكتشفت أنها : بائع الجيلاتي الإنجليزي المسريح . . عندنا ينفخ في زمارة وهنا — على قدر المستوى — يلعب موسيقى ! !

نزلت

مع

البنات اليوم صباحاً ليريني شيئاً جديداً « إكتشفته » يوم الأحد الماضي : « سوق الأحد » ، الذي يقام كل يوم أحد في الأرض الفضاء الواسعة التي تقع خلف الفندق : . البنات المصريات أطلقن عليه

سوق اليهود » لأن اليهود هم الوحيدون الذين يعملون يوم الأحد . أما الآخرون المسيحيون فيقدسون أجازة الأحد .

وكنت أظن أن زبائن هذا السوق هم فقط العاملون في قلعتنا وعلى الأكثر زملاؤه أيضاً . . لكني فوجئت بعدد مهول من الناس قدموا من كل مكان بالأوتوبيسات والسيارات الخاصة . وجاءوا من الشبرتون ومن كل الضواحي القريبة منا . مع أن السوق « تقالي » ينصب يوماً واحداً في الأسبوع . لكن البضائع التي تباع فيه قطعاً أرخص كثيراً من مثيلاتها في المحلات العادية . تستطيع أن تشتري « تيبراً » من قطعتين من القماش الفاخر بجنيه واحد . يمكن أن تجد فيه بالطو حريمي ممتاز بجنيه واحد . ستجد فيه بنطلون رجالي شيك جداً — يعني لبس أنا لابسه ده — بخمسين بيساً . يعني نصف جنيه . أشيك « تيبر » عدلت به « ميني » من لندن . وأشيك « فستان » إشتريته « سوسن » في رحلتها كله . كل منهما دفعت فيه جنيهاً واحداً . . بدأ أتصور أن أغلب هذه البضائع . إن لم تكن كلها — مستعملة مجددة أو شيء من هذا القبيل . ولا فما سبب رخص أسعارها هكذا ؟

وأصحاب هذه البضائع يأتون بها في سياراتهم الخاصة الصبح بدري جداً . وقبل الساعة التاسعة تكون البضائع مرصوصة ومعروضة على ترابيزات تقام بسرعة قبل أن يأتي الزبائن . . وتستطيع أن « تقيس » أي شيء في غرفة قياس صغيرة مربعة من البلاستيك مصنوعة على جوار كل بائع مثل خيمة البلاج .

اليوم

الأربعاء ،

نزلت سوق « هونزلوبيل هاي ستريت » ظهراً لعمل جولة في المحلات . . فوجئت بمعلومة جديدة أعرفها لأول مرة : أغلب المحلات في لندن تقفل أبوابها بدري يوم الأربعاء ، من بعد الثانية ظهراً ،

وهي في عادة لا تقفل قبل الخامسة مساء ! ! . لم أفهم لماذا يوم الأربعاء بالذات . وتلافيهم هم كمان مش عارفين ليه . .

وبمناسبة المحلات والسوق والشراء : الأولاد وبنات المصريون هم حين يبرلون للشراء يحسبون كل شيء بالعملة المصرية : هذا البنطلون بأربعة جنيهات إسترلينية ، يعني بسبعة جنيهات مصرية لا ، يبقى غالي . . هذا الدلطو مثلا عشرة جنيهات إنجليزية ، يعني يساوي ١٧ جنيهاً مصرياً . . لأ ، يبقى غالي . أقل تذكرة سينما هنا ، ٦٠ بنساً أمام الشاشة على طول ، وتتدرج بعد ذلك من ٩٠ إلى ١٢٠ بنساً في الصالة . و ١٤٥ بنساً إلى ١٧٥ بنساً للبلكون ، وهكذا لكن الأولاد المصريين ينسون أن هذه الأسعار تعتبر إلى حد كبير رخيصة جداً بالنسبة إلى مستوى الأجور هنا . إلا أنهم يريدون أن يعيشوا في لندن بأسعار القاهرة . وينسون أنهم يعيشون في لندن ويتقاضون مرتبات لندن . . ويقبض الواحد منهم في لندن ٢٥ جنيهاً في الأسبوع مثلا ، يعني ١٠٠ جنيه إسترليني في الشهر ١٦٠ أو ١٧٠ جنيهاً مصرياً . غير النقشيش ، لكنه حين يصرف يريد أن يجد صالدوتش الفول والطعمية بقرشين ووجبة الغداء بعشرة قروش وتذكرة المترو بخمسة تعريفة . . وذلك غير معقول طبعاً ، لأنه يتقاضى في أسبوع واحد هنا ما يتقاضاه خريج الجامعة في مصر في ٣ شهور . .

هنا

يطلقون

على فنادقهم أسماء المشاهير والأعلام . . فتجد « راسل هوتيل » و « شرلوك هولمز هوتيل » و « تشارلز ديكنز هوتيل » و « تشرشل هوتيل » . منسوبة إلى الشخصيات اللامعة في تاريخ السياسة والأدب والفكر الإنجليزي . .

ترى هل سنجد يوماً عندنا فى مصر فنادق بأسماء « طه حسين هوتيل » أو « محمود تيمور هوتيل » أو « عزيز أباظة هوتيل » أو « محمد عبد الحليم عبد الله هوتيل » ؟! .. لا أظن . لأن الفكر والأدب فى بلدنا رحيصان جداً والتمثيل والغناء والرقص هم الذى لهم قيمة : لذا فإننا غايته قد نجد يوماً ما : « عماشة هوتيل » أو « همسكه هوتيل » أو « فؤاد المهندس هوتيل » أو - يمكن - « شفيق جلال هوتيل » ! !

فى أغلب

الميادين الرئيسية فى لندن وفى الشوارع ال « أوتوستراد » التى تنطلق فيها السيارات بسهولة متدفقة لا تنقطع ولا تتوقف ، لن يقابلك عسكرى مرور ينظم مرور المشاة الذين يريدون أن يعبروا الشارع . لكنك ستجد الطرق السفلية ال « سب واى Subways » التى تمر تحت الشارع بالعرض حتى يتفادى المشاة السيارات المنطلقة بلا توقف فى بحر الشارع نفسه . وفى كثير من المناطق ، مثل منطقة « هايد بارك كورنر » ستجد أن هناك عدداً كبيراً من هذه الشوارع أو الأنفاق السفلية ممتدة تحت المنطقة كلها ، وما خريطة معلقة على جدران النفق تقابلك كل بضع خطوات لتبين لك أين أنت الآن . . وهذه الممرات التى تحت الأرض نظيفة جداً ومضاءة جيداً كأنها شارع رئيسى بالضبط وأكثر ، حتى لا يكون هناك فرصة أمام أحد ليسىء استخدامها . . وفى أغلب الأحيان تجدها مزينة بلوحات تشكيلية جميلة ، بالنقش البارز أو السيراميك الملون وما إلى ذلك ، وفى بعضها تماثيل أيضاً . .

وفى

هذا

العالم المجنون الذى إسمه لندن طريقة غريبة وظريفة جداً للشحاتة الإنجليزى . الصبيان والبنات الكويسين الشيك جداً ، الواضح أنهم أولاد ناس : يجيئون بلمية فى حجم الرحل العادى ويلبسونها ملابس عادية سطلون وسويتر مثلا ، وكاب وحذاء ، ويجلسونها على الأرض مسنودة إلى حائط أو إلى جذع شجرة ، ثم يصطادون المارة السائرين فى الشارع يطلبون منهم « بنس واحد من أجل جوى » بهذه العبارة التى لا تتغير كأنها اصطلاح أو كأنها من قواعد اللعبة Have you a penny for goy? » . . وورق الحمل على المجانين : ناس يعطونهم بنساً أو عدة بنسات من أجل مستر « جوى » الراقد على الأرض ، وناس لا يعطونهم . . لكن الأولاد لا يلحون على أحد ولا يطاردون أحداً . . إنما هى على أى حال طريقة غريبة جداً للشحاتة الإنجليزى ، تكاد تشبهها إلى حد ما يحدث من الأطفال عندنا فى شهر رمضان فى الأحياء الشعبية حين يحملون فوانيسهم ويروحوا يطرقون أبواب بيوت الحى ويلاحقون الناس السائرين فى شوارعه بـ : «حاللو يا حاللو رمضان كريم يا حاللو . . لولا فلان لولاجينا ، ياللا الغفار ، ولا تعبنا رجلينا ، ياللا الغفار ، يحل كيسه ويدين ، ياللا الغفار . إدونا العادة . . إلخ » فيحل كل فلان كيسه ويديهم . .

يبلو

أن

الإنجليز مصرون على أن يجعلونى أرى كل تقاليعهم الغريبة و « هفاتهم » الهبلاء : «دان Dan» رجل الأمن الذى يعمل فى مطار

« هيثرو » ويقيم عندنا فى الفندق . شرب شوية زيادة الليلة وبسط وشعشع . فقرر أن يبسط زوجته أيضاً . بأن يرسل لها خطاباً عرامياً ، ليس منه هو لكن : منى أنا ! ! . . جاء إلى مكتبى يطلب منى أن أكتب خطاباً باللغة العربية إلى زوجته فى «ويلز» ، أقول فيه أننى باحبها و باموت فيها و بافكر فيها ليل ونهار ولا أنام الليل من أجلها وإذا نمت فإنما فقط — لكى أحلم بها وأصل طول الليل أردد : «مسز دان مسز دان مسز دان . » . ثم أوقع الخطاب بإسمى : قدرى ! !

ولأن «دان» رجل عاقل وهادىء ومعقول عادة ، فقد طنشته فى البداية بمزح . لكننى حين رأيت أنه واخد المسألة جد فعلا لم أجد بداً من كتابة الخطاب الذى يريده وأنا أضع يدى على قلبى أحسن الست بشكل ما تعرف تقرأ الخطاب ، وتكون هبلاء رى جوزها فتصدق ما جاء فيه ، وتطلب الطلاق من زوجها الأهبل لكى تتزوج عاشقها المتيم المغرم صبابة . اللى هو أنا ! !

على أى حال ربنا يستر وتطلع حسناء ! !

كلمة

« هام

« Ham » تلعب دوراً كبيراً فى أسماء المناطق فى إنجلترا . عشرات من المناطق فى مختلف أنحاء إنجلترا تحمل فى نهايتها كلمة « Ham » : ويستهام ، توتنهام ، إيستهام ، نوتنجهام ، برمنجهام ، كلابهام ، ستريتهام ، حتى قصر الملكة إسمه « باكنجهام » . قطعاً لا بد أن يكون معنى كلمة « Ham » هذه شئ « هام » . . سألت زميلى الإنجليزى « ريتشارد » عن معناها ، فجحظت عيناه من الدهشة من وراء نظارته البيضاء ثم هرش رأسه وفكر طويلا قبل أن يقول لى فى النهاية : «مش عارف » ! !

نزلت

اليوم

إلى ميدان البيكاديللى . النزول إلى ميدان البيكاديللى يعتبر فسحة فى حد ذاته حتى لو لم تكن ذاهباً لغرض معين . لأنه يعتبر سرة لندن السياحية ، وتجد فيه السياح الأجانب من كل صنف بشكل ولون . وتقربه الشديد أيضاً من حى « سوهو » الشهير . حى الدعارة والجنس والإجرام فى لندن . . وفى الوقت نفسه فى ميدان البيكاديللى يبدأ شارع « ريجنت ستريت » أفخر وأغلى شارع فى لندن كلها كانت معى الصديقة المصرية « منى » . ولمنت المصرية - كأى امرأة فى أى مكان فى العالم - تتوقف طويلا أمام المجوهرات والجواهرجية حتى لو لم يكن فى جيبها سوى ثلاثة تعريفة . لفتت « منى » نظرى إلى الساعات المعروضة فى ڤاترينات محلات « ريجنت ستريت » . . الساعة بـ ٨٥٠ جنيه إسترلينى وتصل إلى ١٠٠٠ جنيه يعنى ما يقرب من ١٧٠٠ جنيه مصرى ! ! . . الغريب أنها ساعات تبين الوقت فقط ولا تختلف كثيراً عن ساعتى التى ثمنها بالعملة المصرية ١٢ جنيهاً . . لكن يبدو أن هذه الساعات - فئة الألف جنيه - فيها شىء لله مثلا ، أو أن الساعة منها فيها أكثر من ٦٠ دقيقة ، يعنى ساعة تطول العمر ، أو لعلها ساعة تمنع قيام الساعة .

أتصور أنه لا يوجد إنسان عاقل يرضى أن يدفع فى أى ساعة مهما كانت ثمناً يزيد عن ٢٠ أو ٢٥ جنيه مثلا ، حتى لو كانت ساعة ميدان التحرير ! !

الإعلانات

التى

« تتوس » فى طلب سائقين للأوتوبيسات أو المترو منتشرة هنا فى كل مكان . سائق الأوتوبيس يعين بمرتب قدره ٤١٥ جنيهاً فى الأسبوع . وتنص الإعلانات على أنه يصل إلى ٥٠ جنيهاً فى الأسبوع بعد سنة وحدة . يعنى ٢٢٥ جنيهاً إسترلينيا فى الشهر ! ! ! - . ليس ذلك فقط ، فليس مهماً أن تكون تعرف القيادة أصلا ، إنما شركات الأوتوبيس مستعدة لأن تأخذك وتدربك هى على القيادة على أن « تعدها » وعد شرف أنك سوف تعمل فيها بعد أن تتعلم ! !

عسكرى المطافىء الإنجليزى المبتدىء ، الإعلانات تلح فى طلبه هو الآخر ، وتقدم له مرتباً قدره ١٥٥ جنيهاً إسترلينيا فى الشهر . ؟ يعنى نحو ٢٦٥ جنيهاً مصرياً ! !

ياترى رئيس مجلس إدارة هيئة النقل العام الإنجليزية ، أو مدير مطافىء عموم لندن ، بياخدوا كام ؟ !

أيضاً

من

التقاليع والهفات الإنجليزية الهبلاء : شىء غريب جداً حدث لى فى ميدان الـ « ترافلجار » الشهير فى لندن الذى يمتلىء بالحمام الإنجليزى الظريف الذى يحط على يدك وعلى ذراعك وفوق رأسك بهدوء واطمئنان ليلتقط حبات القمح من كفك . . كنت مع صديقة هناك ، ولأن كاميرتى أوتوماتيكية ، يعنى ممكن أن تُصَوِّرْ وحدها ، فقد وضعت الكاميرا على الحامل لكى ألتقط صورة لنا معاً ، ففوجئت باثنين من رجال بوليس لندن الشيك جداً ينقضان علىّ ليمنعانى من استخدام الحامل أثناء

التصوير ، ويسألانى : « هل حصلت على تصريح باستخدام الحامل » ؟ . سألتهما مندهشاً : « تصريح بالتصوير أم باستخدام الحامل فقط ؟ » قالا : « باستخدام الحامل فقط » قلت فى دهشة أشد : « يعنى التصوير فى حد ذاته ممكن بدون تصريح ، لكن استخدام الحامل هو الذى يحتاج إلى تصريح ؟ ! » ، فأجابا بالإيجاب ، ومنعانى فعلا من استخدام الحامل برغم أننى أبرزت لهما بطاقتى الصحفية الدولية المطبوعة باللغة الإنجليزية والصادرة من الإتحاد الدولى للصحفيين ، إلا أنهما أصرا على أن استخرج تصريحاً من مكان وصفاه لى ، بينه وبين ميدان « ترافلجار » حاجة كده زى من لندن إلى أسيوط ! !

طيب ليه ؟ ! . فقط أريد أن أفهم الحكمة البريطانية البليغة فى أن التصوير فى حد ذاته ممكن ، لكن مع استخدام الحامل لأ ؟ ! . . تكونش سلطات بريطانيا ليست عشرية ولا تحب أن يتصور الناس مع بعضهم ، لكن ما عندهاش مانع أن كل واحد يتصور لوحده ؟ ! . . أو يكون الحامل يضايق سيادة حمام لترافلجار الشهير ؟ ! . أو ممكن تكون اللى أصدرت هذا الفرمان البريطانى الغريب هى الملكة إليزابيث الأولى لأنها كانت عاقر ومش بتحب وليس لديها أطفال فتتضايق من « حامل » ؟ !

صديق ورئيس

الإنجليزى الظريف « ريتشارد » طلب منى ليلة طلبٌ دمه خفيف : طلب منى أن أعطيه نسخة من المجلة المصرية التى أكتب فيها تكون صورتى منشورة فيها ، وأوقع له عليها بالعربية والإنجليزية لكى يريها لـ « دادى » ولـ « مامى » ، بناء على طلب « مامى » التى حكى لها كثيراً عنى فطلبت أن ترى صورتى ! !

والله ودخلت التاريخ وحتى مشهور يا أبو على عند « ست أم ريتشارد » وفى حوارى حى ال « إيست إند » فى لندن و . « شايفه يست أم روبرت يا اخى صورة البيه الصحفى المصرى صاحب إدلعدى سى ريتشارد إيبى وآل شوفى يا اخى الكلام ده بالإنجليزى صعب . وباللهجة ال « كوكنى » الستانى . وآل إيه لى حارسه بيشتغل بورتر مع سى ريتشارد فى الشغل . والنبى الصحفيين دول هم تقالع عجب » !

(١٥)

□ بنت سيئة السمعة ! ! □

اليوم

أول

رمضان وكل سنة وانت طيبين . . مجيء رمضان وحن في لعربة في لندن بعيداً عن البيت والأسرة والأهل كان شيئاً قاسياً جداً على نفسية البنات المصريات اللاتي يعشن هنا في أجواء الصيف ، لذا تكرمن مشكورات واعتبرني « كبير العائلة » . وبرغم أننا كنا جميعاً سهرانين معاً في الشقة حتى صباح اليوم . إلا أني فوجئت قرب الظهر بمجموعة منهن يرددن في البيت لتهنئتي بداية شهر الصيام .

بعد ترون لبنات تلقيت دعوة طريفة أصحاب الفيلا التي أسكن فيها باكستانيون مسلمون . الأخت « حفيظة » صاحبة الفيلا جاءت تحمل لي هدية رمزية صغيرة بمساكبة فيها مواعيد الإفطار والسحور والإمساك . مطبوعة باللغة (الأوردية) التي يتكلمها الباكستانيون . وأيضاً تدعوني أنا وجارتي المصرية « منى » للإفطار أول يوم في رمضان على مائدتهم ، مع عدد من ضيوفهم الباكستانيين مسلمة بنانية مسلمة ، على اعتبار أن النبي وصى على سابع جار . وهكذا قدر لي أيضاً أن أتعرف على رمضان على الطريقة الباكستانية . .

واجتمعنا عشرة أفراد حول مائدة الإفطار : ٨ باكستانيون ومصريان . . وفوجئت بأن كل الأطباق التي وضعت على المائدة ! « تمطر » نحن العشرة هي ثلاثة أطباق فقط . طبق فيه كمية عنب لا تزيد أبداً عن كيلو واحد ،

وطبق آخر فيه عدد من أصابع الموز بعددنا تقريباً . وطبق ثالث فيه شيء لم أتبينه جيداً فى البداية . فما همست فى أذن « منى » أسألها : « وده يطلع إيه ؟ » همست هى الأخرى لى « فعل روحى مقلى بالطريقة التى تقلى بها القرنبيط فى مصر » ! ! أحدث إصبعاً من الموز وعدة حبات من العنب وأكلت حتى ملأت بطنى من هذا الفلفل المقلى ، وأنا مندهش جداً من هذه العروبة القرديحى : يعنى الست « حفيظة » كلفت خاطرها وطبخت لغاية حجرتى فوق لتدعونى أنا و« منى » . وتدعو ستة ضيوف آخرين غيرنا . للإفطار ، على فلفل مقلى وموز وعنب ؟ ! ده إيه الكرم ده كله ؟ !

ورفعت المائدة ، وبدأ الحديث والدردشة ومشاهدة برامج التليفزيون ، وانهمك مستر « علام الرسول » صاحب الفيلا فى حديث طويل باللغة (الأوردية) مع ضيوفه الباكستانيين لم أفهم منه حرفاً واحداً بالطبع ، واقترب موعد ذهابى إلى العمل ، فاستأذنت وشكرتهم على هذا « الكرم » وصعدت إلى غرفتى لأتهيأ للذهاب إلى الفندق . لكن الأخت « حفيظة » التى كانت فى المطبخ عند انصرافى — لحقت بى فى غرفتى قبل أن أنزل لتقول لى أن « الإفطار » سيكون جاهزاً فى التاسعة ولنصف مساء ! ! . . « إفطار ! . . إفطار إيه ياست ؟ ! أمال الفلفل المقلى اللى أنا ملأت به بطنى ده كان إيه ؟ ! » . . « لأ ده كان مجرد « أورديفر » وفاتح للشهية » . وحاولت أن أعتذر لكنها أصرت وألحت ، وقدمت موعد الإفطار . علشان خاطرى — فجعلته فى الثامنة مساء . ولم يكن أمامى إلا العودة لأفطر للمرة الثانية — إفطاراً على الطريقة الباكستانية أيضاً . طبق واحد كبير يوضع لك فيه . أرز مطهو ، لبن زبادى ، قطع فراخ بالصلصة والدمعة ، قطع كفتة وكان الأكل الباكستانى - الذى أتعامل معه لأول مرة — حراقاً جداً ومليئاً بالفلفل والشطة والبهارات اللاذعة ، لكنه والشهادة لله : كان لذيذاً : :

لم
أكن

أتصور أنني سوف أصبح في يوم من الأيام فتوة من فتوات كباريهات الأفلام المصرية ، لكن يبدو أن العمل في فنادق إجازة سوف يعلمني الكثير الليلة في الفندق قرب الثالثة صباحاً جاءت «سوسن» لتستنجد بي : «إلحقنا يا أونكل . فيه واحد سكران في الكافيتيريا بيتزارل علينا ومش عارفين نروح ولا نيجي منه» . ودخلت إلى الكافيتيريا لأتفاهم مع أحبابنا السكران بالحسنى ، لكنه رفع في وجهي قبضته مهدداً . . فسته بنظرى فوجدته سكران طينة بشكل لن يجعله قادراً على استعمال قبضته بصحيح ، فتوكلت على الله وشحطت فيه ثم حملته تحت إبطي وخرجت به من الكافيتيريا وألقيت به على أحد المقاعد في صالون مدخل الفندق ، وما كاد «يستقر» على المقعد حتى نام على الفور ! !

«سوسن» صفقت بيديها سعيدة جداً كأنها تشاهد فيلماً من أفلام فريد شوقي وقالت وهي مبسوطة جداً : «أونكل حسين بيحوش عن الحريم بتوعه . . آهي دي الأخلاق المصرية والا بلاش» ! !

في
الحقيقة

أن هذه النقطة بالذات كانت تشغلني جداً وأنا هنا في لندن أعمل في وسط ذلك العدد من الطلبة والطالبات المصريات : حكاية «الأخلاق المصرية» . كان يهمني جداً أن أعرف كيف يتصرف الشبان المصريون ـ صبياناً وبنات وهم بعيدون عن البيت وعن الأهل ، وكل منهم مسئول عن نفسه وعن تصرفاته مسئولية مزدوجة : مسئوليته «كفرد» عن

أولا ، ومسئوليته « كمصرى » ثانياً ! ! ما الذى يعود به هؤلاء الأولاد والبنات إلى مصر ؟ ! . ما هى الإكتسابات الجديدة أو الصور الجديدة التى سوف يبدون عليها عند عودتهم إلى مصر بعد العمل فى أوروبا شهور الصيف ؟ ! . . ما هى الصورة التى سيراهم عليها أصدقاؤهم ومحاطوهم والمحيطون بهم بعد عودتهم . فيحدوا أن يتشبهو بهم ويقلدوهم ؟ ! الصورة المفروض أنه ستكون نتيجتها فى مجموعها تشجيع عدة آلاف من الطلبة والطالبات المصريات على محاولة المجئ إلى أوروبا فى إجازات الصيف القادمة ؟ !

كثيراً ما كنت أناقش هذا الموضوع بالذات مع التوأمتين « سوسن » و « سناء » حين نجتمع كل ليلة على مائدة العشاء أو السحور فى الفندق فى الثانية أو الثالثة صباحاً ، ليحكى كل منا للآخرين حصيلة ما صادفه فى يومه . التوأمتان « سوسن » و « سناء » (٢٠ سنة) ٢٠ سنة لكل واحدة منهما طبعاً بقدر ما هما متحابتان جداً ومتعاطفتان جداً وملتصقتان جداً . بقدر ما هما مختلفتان جداً : « سوسن » رقيقة هشة ناعمة لا تستطيع أن تحكى لك شيئاً مهما كان شيئاً حاداً — إلا وهى مسخسخة من الضحك وحاتمع من طولها ، قطعاً صواميلها ومفاتيحها نعمت من كثر الضحك . . أما « سناء » فيبدو أن فترة التجنيد التى قضتها فى الجيش العامل برتبة شاويش قد أكسبت شخصيتها قدراً كبيراً من الصلابة والعنف إلى حد الفظاظة أحياناً . « سوسن » و « سناء » كل ليلة فى حال : ليلة « سوسن » خلاص مش مستحملة البعد عن مصر أكثر من كده وتريد العودة حالا بأسرع وقت ممكن ، و « سناء » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها تستنى لغاية ديسمبر . . وفى الليلة التالية تضم « سناء » كتفيها متوسلة فى ضراعة وتجرى وراء كل طائرة تراها أو تسمع صوتها تغادر أرض المطار محلقة ، وهى تناشدها : « خدنى معاك يا اللى انت مسافر خدنى معاك » بينما « سوسن » هى التى تصبرها وتشجعها وتقول لها :

«طيب خلينا ولو لغاية العيد» . وفى نهاية الأمر اقتنعت كل منهما بوجهة نظر الأخرى : التى كانت تعارض البقاء قررت أن تبقى . والتى كانت تريد أن تبقى وافقت على أن تسافر ! !

وقد لا تختلف

مشاعر جميع المصريين والمصريات هنا عن مشاعر «سوسن» و «سناء» فى الحنين إلى الوطن والرغبة فى العودة إليه . وقد لا يختلفون أيضاً – معظمهم – فى تمسك بمصريتهم ووطنيتهم وقت اللزوم . . لكن السمة الواضحة والظاهرة المشتركة بينهم جميعاً – صبياناً وبنات – هى أنهم يتغيرون فعلاً . وتحدث «هزة نفسية» حين يجدون أنفسهم فى وسط مجتمعات أوروبا متحررة المطلقة التى تركت وراء ظهرها منذ سنوات بعيدة أشياء عفى عليها الزمن – فى نظر المجتمعات الأوروبية . أشياء اسمها التقاليد والعادات والتمسك والقيم والخلق والمحافظة . كل هذه أشياء أصبحت «موضة قديمة» فى المجتمعات الأوروبية . ويجىء الولد المصرى وتجىء البنت المصرية ليجدا أن هذا هو شكل «البحر» المطلوب منهما أن يسبحا فيه . . وهنا تختلف الطريقة ويختلف التعامل حسب البيئة والوسط والأصل والأخلاق والتربية التى جاء بها الشاب وجاءت بها الفتاة من مصر . البعض – وهم أقلية جداً . . جداً جداً – يفضلون أن يبقوا على البر ولا ينزلوا للسباحة فى هذا البحر الغريق . والبعض يكتفى بالسباحة إلى البراميل فقط ، يعنى لغاية «حد الأمان» لكى يستطيع أن يتراجع ويسحب وقت اللزوم . ويشترط فى هذا «البعض» أن يكون أصلاً قد ترك وراءه وسطاً ومجتمعاً فى مصر قريب الشبه إلى حد ما من المجتمعات الأوروبية . . أما البعض الثالث فهو الغشيم المتعالى الذى ما إن يرى البحر أمامه حتى «يتهبل» فيلقى بنفسه فى خضمه ، ويطلق مع انطلاقاته

وينعت مع انفلاتاته ويتصرف بطريقة « اللى يعرف حالى يروح يقول له » ، على اعتبار أنها أجازة صيف وبعيداً عن رقابة الأهل . وفرصة أن يمارس هذا البعض الحرية و « يشم نفسه » ويرود بحصيلة من « الذكريات » يجترها حين يعود إلى مجتمع المقبول المترمت المحافظ الذى يعيش فيه فى القاهرة ..

ولأن المسألة ليست تشهيراً ولا تعريضاً . إنما هى فقط من باب تقرير الواقع . وحتى يعرف كل أب وكل ولى أمر الشكل أو النوعية المحتمل أن يندرج ابنه أو ابنته تحتها قبل أن يسمح له أولها باسفار إلى أوروبا فى الصيف لتعمل هناك . فإننى فيما يتعلق بالنوعيات المشرفه سأذكر أسماءها الحقيقية . أما « النوعيات الأخرى » فلن أذكر أسماء ، لأن الأسماء هنا لا تهم .

البنت المصرية

هنا تنقسم إلى ثلاث نوعيات : بنت مقيمة إقامة دائمة ، يعنى تركت القاهرة وراءها لتعمل فى لندن طوال السنة . وهى إما أنها قررت أن تستقر وتبقى هنا إلى الأبد وتنقل حياتها تماماً من القاهرة إلى لندن ، وإما هى هنا لسنوات محدودة كثرت أو قلت . مثيلات « بسرية يحيى صادق » و « نورا سالم » و « عقيلة عبدون » و « ليلى سليمان » و « رابحة سليمان » و « سعاد » وغيرهن .. وجميعهن قد أنهين دراساتهن فى القاهرة قبل أن يجئن إلى هنا :

باقى نوعيتان للفتاة المصريه التى تعمل فى لندن .. لنوعيتان تشتركان فى أنهما جاءتا للعمل هنا خلال شهور الصيف فقط ، يعنى فى فترة أجازة الجامعات غالباً .

□ بنت جاءت من وسط إجتماعى معين ، يحترم شخصية البنت ويعطيها القدر من الثقة والحرية الذى يجعلها قادرة على اختيار أصدقائها

وصديقاتها . ويسمح لها بأن يكون لها أصدقاء وزملاء شبان فى حدود المعقول . من باب « قدام عينى أحسن من وراء ظهرى » . . يربيها ويغرس فيها اللى ربنا يقدره عليه من القيم والمبادئ والحق ، ثم يتركها لتتعامل مع الحياة بنفسها وبتقديرها الشخصى على حسب ما تربت عليه .

من هذه النوعية : « سهير حمزة » الطالبة بكلية التجارة بجامعة عين شمس ، و « ناجية نهاد العشرى » المعيدة بكلية البنات بجامعة الأزهر . و « منى » الموظفة فى إحدى الهيئات فى القاهرة وهن عالماً من بنات مصر الجديدة والزمالك وحدائق سيتى فى القاهرة . .

□ النوعية الأخيرة عكس ذلك تماماً . البنت المصرية العادية التى جاءت من بعض أحياء القاهرة الشعبية المشهورة بتقاليدها وكبتها وبرمتها وجمودها وطريقتها فى التربية البنت التى جاءت من أسرة عادية متوسطة أو دون المتوسطة . تحكمها تقاليدها وقيودها وتلغى شخصية البنت تماماً ولا ترى فيها إلا « الأنثى » التى يجب أن تحاط بكل أنواع الرقابة والشك والتشدد حتى توصلها « سليمة » إلى « بيت العدل » . البنت التى انفتحت أمامها أبواب الجامعة فجأة دون إعداد سابق ودون أن تتيح لها تقاليدها العائلية وظروفها البيتية أن تستعد لهذه « النقلة » إلى مجتمع الاختلاط . مجتمع الصبيان والبنات معاً . فتفعل البنت كل ما تريده من وراء ظهر مجتمعها ، الذى غالباً — حرصاً على الهيبة — يفضل حكاية « وراء ظهره » هذه . فتسمع البنت شخطة أبيها التى ترج البيت وهو يصرخ مستنكراً : « وكمان قدام عينى ؟ ! » ، وتسمع زجر وتأنيب أمها : « مش خايفة لاحد يشوفك يقول لأبوكى أو لأعمامك ؟ ! » . . فما أن تجئ هذه البنت المصرية إلى لندن وتتأكد أنها قد ابتعدت مسافة كافية عن عين الأب وعيون الناس الذين يعرفون أعمامها وأخوالها وأزواج خالاتها ، حتى تتفرد على الآخر وتنطلق وتطيح ، و « تعب » من حياة الحرية والانطلاق عباً ، بهبل شديد يصل إلى حد البجاحة ، وكما قلت من

قل ، بطريقة « اللي يعرف أبويا يروح يقول له » . .
ولتتناول بعض العينات من كل نوعية من النوعيات الثلاث . .

البنت

المصرية

حين تصبح عاملها الدائمة وعملها الدائم وحياتها الدائمة في لندن . تختلف تماماً شكل حياتها في لندن عنه في مصر . تشعر أن هذا الجو الجديد سيكون حياتها وستتقبلها لتعود غير محدودة . لذا يكون عليها أن - على الأقل - تتوهم أو تتأقلم مع هذا الجو . و « إذا كنت في روما فافعل مثلما يفعل الإيطاليون » . لكن مع ذلك أيضاً يختلف شكل التأقلم من واحدة إلى أخرى

□ « يسرية نجي صادق » . جاءت إلى لندن بتصريح عمل لمدة ٣ سنوات . تتحمل جرسونة في بار حمام السباحة في أحدث فنادق إحاتر . صاحب « هيلتون » . مشكلة « يسرية » خطيبه هي أنها حتى الآن وبعد ٣ سنوات إقامة كاملة في لندن . لم تستطع أن تتخلص من شكل حياتها التي كانت عليه في القاهرة . البنت التي تخرج من البيت بميعاد وتعود بميعاد . وتتصور أنها لو تصرفت أي تصرف « كده ولا كده » فسوف يصل على الفور إلى بابا وماما في القاهرة لذا . ورغم أن عملها لا يأخذ منها غير ٣ أيام فقط في الأسبوع . فإنها تحبس نفسها تماماً في البيت الذي تسكن فيه . ولا تغادره في أيام أجازتها .. وحين مرضت « يسرية » مرة زارتها في بيتها مجموعة من زميلاتها المصريات في العمل . وكان مع واحدة منهن خطيبها وصديق له . وكلاهما مصري .. وفي الغربة سرعان ما تدق القلوب الوحيدة وتتآلف : حدث الحب بين « يسرية » والصديق . . الحب كما تفهمه « يسرية » ليس إلا طريقاً مباشراً إلى الزواج . . والزواج - حتى في لندن - تلزمه موافقة بابا وماما في مصر . . أرسلت « يسرية »

إلى أسرتها فى القاهرة تشرح لهم كل شىء وذكرت إسم العريس .. الأب المحافظ النشيط سأل عن العريس فى القاهرة فسمع عنه ما لم يعجبه . فكتب لابنته بأنه لا يوافق على هذا العريس للأسباب التالية . . . وفى النهاية ترك الأمر لمشاعرها الشخصية إذا كانت متمسكة به رغم ذلك .

ورفضت « يسرية » العريس — الذى خطبه . لأن أبا لم يوفق عليه من القاهرة ! .

□ « نورا سالم » . . تعمل « هاوس كيبر » أو رئيسة للفتيات « شامبر ميدز » اللاتى يعملن فى ترتيب وتنظيف غرف فندق « سمر بدريورت هوتيل » . « نورا » وقع فى حبها زميل لها إنجليزى يعمل فى نفس الفندق إسمه « ريتشارد » — وهو ليس زميلى أو « بورتر » « ريتشاردرايان » . . ورفضت « نورا » الزواج من « ريتشارد » لأنه مسيحى ، فذهب وأشهر إسلامه وسمى نفسه « عمر » . ومع ذلك لم تستطع أن تتزوجه دون علم أهلها فى القاهرة . لكن « نورا » كانت عملية أكثر من أختها « يسرية » : « نورا » جاءت إلى القاهرة فى أجازة سريعة و بعدها « ريتشارد » أو « عمر » و (طرحته على بساط البحث) ! ! ؟ . فسمته لأسرتها وتركتهم « يفحصونه » تعرفهم ثم يقررون هم ما يرون ! !

ونجح « عمر ريتشارد » فى الإختبار . وعادت « نورا » إلى لندن ومعها عريسها « المعتمد » من الأسرة ! !

□ « س . . . » . ولا داعى لذكر إسمها الحقيقى . . وهى تعمل فى فندق غير فندقنا . سمعت عنى من صديقة لها . قالت لها إننى صحفى جئت لأكتب عن حياة المصريين والمصريات فى لندن . . فجاءت تزورنى متطوعة — كثر خيرها — لتحكى لى قصة حياتها على سينما خالص وعلى ميلودراما جداً . فحياتها مليئة بالمآسى والفواجع والكوارث والمصائب والآلام إلخ إلخ .. وقالت لى فى النهاية أنها تنوى نشر قصة حياتها — عمرها ٢٥ سنة على الأكثر . فى كتاب باللغة العربية حين تعود إلى القاهرة بإذن الله .

لكنى نصحتها . والنصيحة واجبة على المؤمن لأخيه المؤمن – بأن تبيع قصة حياتها لجريدة الـ « تايمز » أو لـ « صنداى تليجراف » بـ ١٠٠ ألف جنيه إسترلينى . إنما هى فضلت أن تطبعها على نفقتها فى مصر علشان تكسر الدنيا هناك ..

هى مطربة سابقة فى إذاعة وتليفزيون القاهرة لمدة شهر واحد قبل مجيئها إلى لندن .. والدها من كبار رجال الأمن : شاويش فى الشرطة فى خدمة الشعب . المهم أنها استعلت مزاجى وقعدت معى ٣ ساعات حكت لى خلالها قصة حياتها المأخوذة من ٩ أفلام عربى على الأقل من صنف الأفلام المصرية القديمة التى يطلقها عليها التليفزيون فى مهرجان منتصف الأسبوع . والتى مضمونها فى النهاية أنها طاهرة الذيل وبريئة براءة طفلة عمرها أربعة شهور . . وأن – باى – اللى يلمسها بإيده مجرد لمسة مش عارفة تعمل فيه إيه وإيه وإيه .. وأنها – مسكينة يا حبه عينى – كلما ذهبت لتعمل فى مكان يتهافت عليها الرجالة ويقعون صرعى حسنها الفتان وجمالها الوان ويتركون بيوتهم وزوجاتهم وعيالهم ويجرون وراءها !. وفى الحقيقة أتصور لو أننى وجد من هؤلاء الرجال الذين تحكى عنهم لجريت أمامها وليس وراءها . فابنت شكلها بالمرى بالمرى بما يساوى ديشليون جنيه ملاليم .. وكل حركاتها وتصرفاتها برقة ودلال مصطنعين لكى تحاول أن تبدو بنت ذوات، بالماروكة الهائلة والـ « چوب » الماكسى والموش الصناعية الطويلة الممتدة أمامها كقرون الإستشعار وأكياج السهرات والحفلات فى العاشرة صباحاً ، والكلام الذى يخرج جهلا وهيافة وعبطاً .. لكنى مع ذلك لم أكشفها . فادعيت لها أننى مهتم جداً بحكايتها « المشوقة » ، وأننى « سأبرق بها » الليلة فوراً عن طريق « التيكرز » لكى تنشر فى أول عدد قادم من مجلة « الأهرام الإقتصادى » ! !

آخر تصريح أدلت به « س . » إلينا قبل إنصرافها هى أنها : « كتعاً يعنى قطعاً – لن تستنيع – يعنى تستطيع – أن تعود إلى مصر – مصر – بعد ذلك ذلك – لأنها موش ممكن – موش ممكن –

ترجع للأحكام العورفية – العرفية في البيت ، ورايحة فين ياسوسو وجاية منين يا سوسو وما تتأخريش برة بعد الساعة تسعة بالليل يا سوسو . . والا أنت إيه رأيك ؟ ! » .

قلت لها :

– كتعاً إنتي عندك حق ! ! !

سمعت

عنها

كثيراً قبل أن أراها . . كل الأولاد المصريين هم يتكلمون عنها : متعالية .. متكبرة . مغرورة .. عمتة نفسها بنت ذوات . . مش بتكلم حد من المصريين . وكل أصحابها إنجليز وأجانب .. عموماً . كانت الصورة التي تطوع الجميع لينقلوها إلى عنها أنها . بنت سيئة السمعة . حتى شاءت الظروف أن نلتقي ونتعارف . وفي اليوم التالي كانت « سهير » تحمل حقيبتها وتأتي لتسكن في الغرفة المجاورة لي . . وكانت وجهة نظرها في ذلك : « إنت المصري الوحيد اللي قدرت تفهمني في البلد دي » .

مشكلة « سهير محمد حمزة » الطالبة بكالوريوس التجارة بجامعة عين شمس هي : أنها ولدت ونشأت وتربت وعاشت حياتها كلها في مصر الجديدة . . تربت في جو مفتوح متحرر يعرف كيف يربي البنت ويعاملها ويغرس فيها ما يريد من المبادىء والقيم دون شطط ولا تطرف ولا تخويف أو إرهاب ولا أوامر ملكية لا ترد .. جو يناقش الفتاة ويعطيها حريه المناقشة وحرية التعبير وحرية إبداء الرأي ويبني شخصيتها ولا يمحوها . يسمح لها بالذهاب إلى النادي والإنطلاق في شلله وبأن يكون لها أصدقاء من الجنسين . صبيان وبنات . جو لا تستل سيوفه ولا تسن سكاكينه ولا تعمر مسدساته إذا سمع صوت ولد في التليفون .. جو يعيش شكل حياة البنت سنة ٧٤ ويعرف جيداً أن الممنوع مرغوب وأن البنت لو وضعناها

في قمقم وحبساها بين أربع جدران وكبلناها بالأغلال ووضعنا مفتاح حزام العفة في خزانة من حديد . فبرضه سوف تستعمل الفتاة « الطفاشة » لنفس كل الممنوع ، لمجرد أنه ممنوع !

وعلى هذا الأساس جاءت « سهير » إلى إنجلترا . . جاءت لتتعلم الحياة ولتتعامل مع الحياة وتمارس عملية قيادة النفس ولتجرب كيف تكون مسئولة عن نفسها وعن تصرفاتها وهي بعيدة عن الأهل . . ولم تفعل « سهير » في إنجلترا شيئاً غريباً عن مجتمعها ووسطها الذي تربت فيه في القاهرة

« طيب ليه مش بتصاحبي أولاد مصريين ياسهير ؟ » . « لأن عندي في مصر أصدقاء شبان كفاية . في النادي وفي الأسرة وفي البيت أصدقاء باختارهم أنا بنفسي ما حدش بيفرضهم عليّ . . وبساطة جداً . ما لقيتش حد من أولاد المصريين اللي هنا يستاهل الصداقة . . الأولاد المصريين اللي هنا من النوع اللي بيفكر أن ما دام البنت المصرية قبلت صداقته فهي لازم تبقى « بتاعته » : ما تكلمش حد غيره وما تعرفش حد غيره وماتصاحبش حد غيره يعني باختصار الأولاد المصريين اللي هنا - وإنت عارفهم كلهم - مفهوم الصداقة بين الولد والبنت في نظرهم أنها « علاقة » . وأنا مش جاية إنجلترا علشان « أحب » . أنا جاية علشان أعيش وعلشان أتعلم » . . « طيب ليه كل أصدقائك أجانب ؟ برتغاليين وإنجليز زي ما سمعت ؟ » « لنفس الأسباب اللي قلتها لك . . أنا جاية إنجلترا علشان أحتك وأتعامل وأتفاعل مع ناس من شعوب أخرى . وأتعلم منهم . . مش جاية علشان أحوش شوية إسترليني أرجع بيهم مصر يعني مش جاية إنجلترا علشان « أسباب اقتصادية » ! . .

حقيقة : أنا مقتنع بوجهة نظر « سهير » ١٠٠٪ . .

وبعكس

« سهير »

تماماً نوعية أخرى من الفتيات ، النوعية التي عاشت في القاهرة في وسط مختلف تماما وظروف اجتماعية عكسية تماما . ظروف بيئية وأسرية شديدة الإنغلاق والتزمت . كان الغريب أصلا أن تسمح هذه الظروف وهذه البيئة للبنت بالسفر إلى أوروبا . لولا السطر الأخير في كلام « سهير » : « الأسباب الإقتصادية » . البيئة التي ترسل ابنتها إلى لندن وفي ذهنها أولا وقبل كل شيء شكل « الحصينة السنية » التي ستعود بها البنت من لندن . وتذكرها بذلك في كل خطاب ترسله إليها من القاهرة ، مع توصيات مشددة لكنها تأتي في المرتبة الثانية - بالتمسك بالدين والمواظبة على الصلاة . ويتصورون أنها تفعل ذلك فعلا وأنها تتصرف في لندن كما كانت تتصرف - أمامهم - في القاهرة . ولا يعرفون أنها قد أجلت الصلاة مؤقتا حين عودتها إلى القاهرة ، بحجة أنها « مش عارفة (قبلة) لندن مين ؟ » .. ولا يعرفون أنها تتردد مع صديقاتها على بيوت الشبان لعزب العراب ، وتنسى شمسيتها فقط والله أعلم هناك ؟ !

البنت من هذه النوعية أو من هذه البيئة ، كانت قبل أن تجيء إلى لندن مباشرة تتقاضى مصروفها من البيت جنيها ونصفاً في الشهر ، شلن كل يوم ، لتذهب به إلى الجامعة . مواصلات مشبرقة ، فتأتي إلى هنا في لندن لتعمل في وظيفتين في وقت واحد ، وتصبح حصيلة مرتباتها والبقاشيش التي تتقاضاها تساوي حوالي ٣٥٠ جنيها مصريا في الشهر الواحد . يعني أكثر من ٢٠٠ ضعف ما كانت تأخذه كمصروف من بيتها !! . فقط حين ترى هذا المبلغ في يدها كل شهر لا بد أن تتهيل ويحرى لعقلها حاجة وتصاب بلوثة وسعار ، وتتصور أنها « عصامية » وأنها قد « وصلت بكفاحها » (!!) . فتطيح في الناس ولا أحد يملأ عينها ، وتجلس لتصع ساقا

فوق ساق وهي تقول إنها « تحتقر كل الرجال وإن مفيش راجل ر ناه وأنها هي اللي ربت نفسها بنفسها » ! .. وتقرر البقاء في لندن وعدم العودة إلى مصر . وانطلاقا من ذلك تحاول أن تتصرف كالبنات الإنجليزيات في الإرتباط بعلاقات من إناها على اعتبار أنها ، خلاص . مادامت قد ارتبطت بعلاقة مع شاب يوناني أو أجنبي فإنها إذن قد أصبحت بنت سبور وعايشة في أوروبا . . وتتصرف بطريقة « اللي يعرف خالي يروح يقول له » . فترتبط بعلاقة مع كل شاب أجنبي أو مصري تقابله في طريقها : يوناني . مصري ، طالب تجارة ، طالب زراعة ، كله محصن بعصبه . حتى يطلق واحد منهم هم أنفسهم تشنيعة عنها فيقول : « بتاعة كله . . عاملة زي خدامات ارمالك يوم الأحد » ! ! . .

ولأنها
تعرف

أنها مهما كانت ، بنت أسرة عادية لها تقاليدها الرجعية . وأنها يوما ما لابد وأن تنتهي الأجازة وتعود إلى القاهرة ، فإنها حين تقترب المدة من نهايتها تصبح عين على لندن وعين على القاهرة . وتأتي لتسألني : « حتكتب عني إيه ؟ » فأقول : « مش أكتر من اللي كان بيحصل فعلا . يعني مش أكتر من الحقيقة » .. «ولكن الحقيقة دي في مصر حايبطروا لها نظرة تانية » .. «والله يا أختاه فيه مثل شعبي في بلدنا بيقول (إن قلت ما تخافشي ، وإن جمت متقولشي) ، ولو حورناه أو فسرناه شويه ممكن نخليه (ماعيب إلا العيب) . إذا كان اللي بتعمليه عيب : بتعمليه ليه ؟ وإذا كان مش عيب : تبقى خايفة منه ليه ؟ » .. « وإيه يعني لما أصاحب ولد يوناني أو أجنبي وأخرج معه ، ماهو كل البنات هنا بيعملوا كده ؟ » .. « هم أحرار ، وإنتي كمان حرة . . إنما اللي لازم نعرفه إن الشاب الأوروبي مش فاعل خير ومش متطوع في مجال الخدمة العامة . وأنه

مع الحرية الإجتماعية والجنسية الرهيبة اللى بتسود أوروبا كلها الآن ، فإن الشاب الأوروبى لما بيخرج مع بنت – مصرية أو أوروبية أو من أى جنسية – مش بيخرج معاها تدعيما للعلاقات الثقافية بين الشعوب ولا لمناقشة مشاكل السوق الأوروبية المشتركة ولا لدراسة الآثار الإقتصادية المترتبة على عدم زراعة الكبيسة فى بلاد واق الواق .. إنما بيخرج مع البنت لأنها « بنت » ، ولأن « البنت » فى أوروبا اعتادت أن « تعطى » بغير حساب وما على الشاب الأوروبى إلا أن يتنازل و « يأخذ » . كما أن الشاب الأوروبى ليس لديه صبر الشاب المصرى الممكن أن يظل يجرى وراء البنت سنة كاملة حتى تبين ، وكلما ازدادت تمنعا ازداد هو تمسكا بها . . الشاب الأوروبى يخرج مع البنت مرة ، فإذا « عصلجت » فإنه لن يدق بابها مرة أخرى ، لأن اللاتى يعطين دون « عصلجة » فى متناول يده أكثر من المم على نفسه ! !

وجهة نظر .. واللهم إنى أبلغت ، اللهم فاشهد !!

لست

أدرى

لماذا تطفو النماذج الرديئة فوق السطح وتبدو واضحة جلية أكثر من النماذج الطيبة ؟ ! أو لعلها عين الصحفى النقادة التى تلتقط النماذج الشاذة قبل النماذج الطبيعية ..

سمعت عنه قبل أن أراه . قالوا لى عنه إنه دلوعة وابن ذوات .. كان يعمل فى الشيراتون فى تنظيف سجاجيد غرف النزلاء ... وبلغتى فى البداية شهرته التى يسميها هو «هوايته» – فى جمع التذكارات»(!!) .. والتذكارات التى يهوى «ر .» جمعها ليست أنتيكات ولا تحف ، إنما هى « حاجات بسيطة كده من متعلقات النزلاء » .. يعنى تذكارات من النزلاء أنفسهم ، دون علمهم طبعا !! .. حتى ضبط فى النهاية ومعه

٢٠٠ مارك ثمن أحذية كما تذكر من عرفه أحد النزلاء .. ويفصله الشيراتون على الفور طبعا . ويستصيغه البوبس الإنجليزى أربعة أيام تحت التحقيق الذى يدعى فيه أنه «عثر» على هذا المبلغ وكان داخل لتسليمه لإدارة الفندق .. ويقتنع البوبس الإنجليزى بهذه الحجة لكن الشيراتون لا يقتنع فيرفض إعادته إلى العمل !

الليلة كنت أستعد للخروج من بيتى فى طريقى إلى الفندق الذى أعمل به ، حين دق جرس الباب فسمحته لأجد أمامى شابا طويلا لا أعرفه وإن كنت قد استنتجت على الفور من أوصافه من هو سألنى بلهجة الإنجليزية عن مستر قدرى فبادرته بالعربية «إنت و ؟» فأجاب بالإيجاب . فأخذته معى فى طريقى إلى محطة الأوتوبيس ليحكى لى مشكلته التى أراد مقابلتى ليستشيرنى فيها . «عايز أرجع مصر حالا علشان عندى امتحان قبول فى معهد الفندق» «طيب وماله . ما تنزل» . «روحت أحجز فى الطيارة قالوا لى مفيش أماكن قبل يوم ٢٠ . ومتحانى فى المعهد لازم يكون بين أيام ٧ و ١٤ فى القاهرة» . «طيب والحل ؟» . «عصب على مصطر أسبى مادام مفيش أماكن» «وامتحانك فى المعهد ؟» «تقدر لما أرجع مصر أصل خالى هو الدكتور (.) اللى كان وزير فى مصر له كلمة أوى على بتوع السياحة والفندق لأنه المستشار القانونى بتاع شركة وادق (. . .) فى العالم كله» . «طيب كويس . يعنى المشكلة محلولة . خلاص ، خليك فى لندن لغاية ميعاد الطيارة يوم ٢٠» .. «أخليني فى لندن إزاى إذا كان مامعايش فلوس أصرف منها ؟!» . . عملت نفسى لا أعرف شيئا وسألته «هو إنت مش بتشتغل فى الشيراتون ؟» . «لأ ، مشيت منه لأنى مش عاجبنى الشغل فيه» .. «وحاتقعد من غير شغل أسبوعين كمين من دلوقتى لغاية يوم ٢٠ ؟!» . «آه .. أصلى عايز أتفسح شوية وأشوف لندن كويس !!» .. «تتفسح إزاى وتشوف لندن

كويس إزاى . وتعيش أصلا إزاى . إذا كنت معيش معاك فلوس ؟ ! »
«مش عارف» «لأ . ما ت لازم تعرف . لأن مش معقول إنك تستلف
علشان تتفسح . وهنا معيش حد أصلا بيسلف حد هنا المصريين
كل واحد فوسه على قده ومحتاجه . ومش حتلاقى حد يسلفك .
حتعمل إيه ؟ ! » .. « وسهير ؟ ! » .. « على قدر معلوماتى أنا أعرف
إن سهير مرتبها على قد مصروفها ومش محوشة ولا مايم . ثم المفروض إن
الست ما تنفق هى اللى تاخد من الولد . مش العكس » .. ويتحاهل
« ر . » كلامى ويستطرد « وتصور كمان إن صاحب الست اللى أنا
ساكن فيه ما سمع « الإشاعات » اللى بتتقال عنى (! !) أعطانى إنذار
إنى لازم أترك البيت آخر الأسبوع ده . وبعد كده حلاقى نفسى فى
الشارع » « ودى مشكلة جديدة . وحاتعمل إيه فى مشكلة السكن
كمان طول الأسبوعين اللى فاضلين لك لغاية ما تسافر ؟ » . « مش عارف
لكن على أى حال أنا معروض على شغل ستى من بكرة . ١٨٠ جنيه فى
الأسبوع مع الإقامة الكاملة سكن وأكل . يعنى أنا مكسوف أشتغل
أسبوعين بس » ! ! . وهنا تمنيت لو أننى استطعت أو كان من حقى أن
أرفع يدى وأهبده قبما يسمعه أهله فى مصر اللى دلعوه وبيصوه الدلع والمياصة
والمناعة دى كلها . ثم « أطلقوه » على لندن ليكون نموذجا سيئا
ورديئا للمصريين هناك .

الطالب المصرى

هنا يلوح دوحة الإبل فى الصحراء حتى يجد عملا فى لندن . فإذا
اشتغل تنمرد على الدور وعمل أبو على ويريد أن يمشى الإنجليز على مزاجه :
الأح « كالح » — أو « فسدان » كما أطلقت عليه « سوسن » — بعد أيام
قليلة من التحاقه بالعمل رفض أن يلبس يونيفورم الجرسونات وأراد أن

يعمل بملابسه العادية . فلما سألته : « ليه يا كالح؟ » قال : « أنا كده وإذا كان عجيبهم » !! . وظل الأستاذ « كالح » يتدلع ويتمايع ويتمايص ويقول أمام الجميع أنه ليس مصريا وأنه يريد أن يتجنس بالجنسية الإنجليزية . تحببا إلى الإنجليز وتقربا منهم وتملقا لهم . حتى برضه رفده الإنجليز في النهاية لقلة أدبه التي لم يستطع أن يداريها عنهم وخس أرض لندن بعد ذلك دون أن يجد عملا آخر ..

سمعت

حكايته

هو الآخر من صديقة مصرية تعمل في الشيراتون وتسكن في الغرفة المجاورة لي في « واي آفيو » في « كرانفورد » . « شاب » مصري قارب الستين ، يجري بالمشوار وراء فتاة مصرية في عمر أحفاده ، عمرها عشرين سنة ، طالبة في الجامعة . ظنت الفتاة في البداية أن اهتمامه بها مجرد «عواطف أبوية » . فلما اكتشفت أنه يحاول أن يستعيد معها ذكريات مراهقته الأثرية المتحفية ، جزعت منه وبدأت تتجنبه . فخطط « بابا جدو » خطوة أبعد . عرض عليها الزواج !! وهنا لم تجد الفتاة بدا من أن تذكره بأنه أكبر من « مامتها » هي شخصيا بعشرين سنة . يعني أنه حتى لو تقدم ليطلب يد مامتها نفسها لرفضته « لفرق السن » !! ، كما أنها مخطوبة — الفتاة هي التي مخطوبة وليست مامتها طبعا !! — وفيه خطيب ينتظرها في القاهرة . وحتى إن لم تكن مخطوبة وقررت أن تتزوج من تتزوج في لندن بعيداً عن أسرتها . وإذا تزوجت في لندن بعيداً عن أسرتها فإن آخر واحد تفكر في أن تتزوجه هو « بابا جدو » ، لأن الشبان اللي زي الورد مليين الدنيا هنا ، واللي يكون الورد أمامهم بالكوم لن تكون محتاجة إلى أن تتكشف في « الرايش » علشان تطلع واحد زي سعادته وتتزوجه !!

وابتعدت الفتاة عن طريق « بابا جدو » بعد ذلك تماما ، وتركت

البيت الذى كانت تسكن فيه وجاءت لتسكن فى الغرفة المجاورة لى عند شاة الباكستانية المسلمة « حفيظة » .. لكن « بابا جدو » المصدوم فى « عواطفه » راح يطاردها فى كل مكان حتى عرف عنوانها الجديد ، فجاء يطلب مقابلة صاحبة البيت ليحذرها من الفتاة ويطالب منها طردها من بيتها لأنها فتاة سيئة السمعة وتثير المشاكل أينما سكنت ، وأنه والأخوية والعيش والملح يخشى على سمعة « حفيظة » نفسها من أن ينالها رذاذ من سمعة الفتاة السيئة (! !) ..

وذهلت الست « حفيظة » وهى تسمع من « بابا جدو » هذا الكلام وقالت له : « حضرتك تعرفى أنا عمل كده ؟ » أجاب : « لأ .. لكن إحنا مسلمين زى بعض وأنا قلبى عليكى » قالت : « والفتاة دى دينتها إيه ؟ » قال : « مسلمة » قالت : « وجنسيتها إيه ؟ » قال : « مصرية » قالت له : « وإنت جنسيتك إيه ؟ » قال : « مصرى برضه » . واتفتحت فيه الست « حفيظة » وهى تسوقه أمامها إلى باب الفيللا : « بأه يعنى عايز تقول لى إنك خايف على سمعتى أنا اباكستانية وأنت داير تشنع على سمعة بنت مصرية زيك ؟ عايز تفهمنى إنك قلقك على أنا أكتر مما قلبك على بنت بلدك ؟! .. عايزنى أصدقك وإنت جاى تطلب منى أنى أطرد من بيتى بنت فى سن بنات بنتك وأرميها فى الشارع علشان تبقى أنت مبسوط ؟ ! » .

وكرشته الست « حفيظة » من البيت وورعت الباب وراءه .. وجاءت تدق بابى لتحكى لى كل ماحدث وهى ثائرة ومنفعلة .

نموذج سيىء جداً للمصريين فى الخارج « بابا جدو » هذا ، والمفروض أن أجهزة الدولة عندنا تـ « حوشى » أمثاله ولا تسمح لهم بالخروج من مصر على الإطلاق ، حتى لا يسيئوا إلينا فى الخارج بتصرفاتهم المرهقة هذه ..

(١٦)

☐ توت عنخ آمون .. رئيس جمهورية !! ☐

مستر

« ليل

جون » المدير المساعد للصدق . كان هو المدير « الوبنجى » السهران الليلة .. يبدو أنه كان هناك ارتباك فى مكتب الإستقبال . فظل مستر « ليتل جون » حتى نحو الثالثة صباحا يساعد « روبرت » موظف الاستقبال لواردية الليل . ويعمل معه فى إنهاء الأوراق المعطلة .. فى الثالثة صباحاً نهض مستر «ستل جون» واقفاً وقال : «gnod-night» . تصبحوا على خير » وتوجه إلى غرفته ليأخذ عدة ساعات حتى الصباح . روبرت « مصدق » أن المدير السهران قد ذهب إلى غرفته ، حتى روع هو الآخر وعصس واختفى تماماً وانقطعت أخباره وترك مكتب الإستقبال خاليا تماماً .

بعد نصف ساعة فقط — ومكتب الإستقبال فى مواجهة مكتبى تماماً — فوجئت بمستر « ليتل جون » وقد عاد مرة أخرى من غرفته ، ونظر إلى مكتب الإستقبال فوجده خالياً ، فنظر إلى ناحيتى وهو يبتسم كأنه يقول لى : « كنت أعرف أن ذلك سوف يحدث » .. وجلس على مكتب « روبرت » الموظف المزوع . وظل يعمل مكانه حتى الصباح !!

الشابة

الإنجليزية

الحسناء التي تحضر إلى الفندق مرة كل عدة أسابيع ومعها مجموعة من البنات الفليبينيات واضح جداً من شكلهن وملابسهن أنهن من أحقر طبقة ممكنة في الفلبين ، يعني حتى دون مستوى الخادمات .. وأفاجأ في اليوم التالي بهؤلاء البنات وقد ارتدين « بونيفورم » الفندق وعملن في خدمة الغرف « تشامبر ميدز » . قطعاً هذه الشابة الإنجليزية متعهدة توريد عاملات . يعني حاجة كده زي صديقنا « الدكتور » المصري إياه . لكنها هي بتشغلهن فعلا مش بتنصب عليهن !!

وبمناسبة صديقنا « الدكتور » المصري إياه ، غريب جداً أمر هذا الرجل : وهو في القاهرة قبل أن يبعث بنا إلى لندن ، كان كلما تكلم معنا أو أمامنا يقول : « مكتبنا في لندن ، مكتبنا في لندن ، مكتبنا في لندن .. مكتبي في لندن » . وهو يسر الدنيا بحكاية مكتبه اللي في لندن وسكرتاريته اللي في لندن ، وكل بنت مصرية مسافرة إلى لندن عن طريق مكتبه اللي في القاهرة ، ياخدها على جنب ليقول لها إنه قد عينها « سكرتيرة خاصة » له في « مكتبه اللي في لندن » !!... الذي لم أستطع أن أفهمه حقيقة . ماهو سر إصراره على حكاية « مكتبه اللي في لندن » و « سكرتاريته اللي في لندن » مادام هو يعرف تماماً أننا بمجرد أن نصل إلى لندن سوف نكتشف أن المسألة كلها « نصب » وإن لا فيه مكتب ولا سكرتارية ولا حاجة أبداً ولا يحزنون .. متأسف ، الشهادة لله : فيه « يحزنون » !!

وحين بدأت بعد ذلك أراجع كلامه الذي كنت أسمعه منه في القاهرة ، والذي يدس فيه كل شوية أنه « دكتور في القانون » و « أستاذ في معهد الإدارة العامة » وأنه كان خبيراً مصرياً في هيئة الأمم المتحدة في نيويورك ،

وأنه يوم أن استقال منها زعل جداً مستر « يوثانت » وذهب إليه لغاية مكتبه في لندن – متأسف لعبة بينه في نيويورك – لكي يلح عليه ويرجوه ألا يحرم الأمم المتحدة من جهوده !!

منك لله يامستر « يوثانت » ، إنت السبب في ده كله . بأه مش كان حقك اتحايلت عليه شوية زيادة عكن كان رضى يستني في الأمم المتحدة . وكان زمانا احنا مستريحين ! !

بالمناسبة أيضاً عرفت الليلة معلومة جديدة عن تشعين الأجانب هنا من صديقتي الإنجليزية « جوسلين كليمنتس » مساعدة مدير عام المستخدمين في سلسلة فنادق « ستر هوتيز » .. قالت لي « جوسلين » إن مكتب التوظيف الذي يورد أي عدد من العاملين الذين تحتاج إليهم الفنادق في لندن يتقاضى من إدارة الفندق عشرة جنيهات إسترلينية عن كل شاب أو فتاة تعمل عن طريقه .. أي أن المبلغ الذي يتقاضاه « الدكتور » من الذين يرسلهم ليعملوا في إنجلترا بدعوى أنه « يدفعه » للفنادق التي سوف يعملون بها . يدخل في جيبه الشخصي أيضاً ، لأن هذه الفنادق هي التي « تدفع » له وليس هو الذي يدفع لها !!

آخر مرة

التقينا فيها كانت في القاهرة منذ نحو ٣ سنوات ، وكان هو يستعد للمجيء إلى لندن سفيراً لمصر بها .. اليوم أنا على موعد معه في السفارة المصرية بلندن ومعلوماتي تقول أنه يستعد للعودة إلى القاهرة ليتولى منصباً آخر هناك : السفير المصري « كمال الدين رفعت » .. محور حديثنا هو الموضوع الذي يشغلني – والذي أنا هنا في لندن من أجله الآن ويشغل معي ربع مليون طالب في جامعات مصر ، ويشغل أيضاً وراءهم ربع مليون أسرة تفكر في هذا الموضوع بدرجات متفاوتة : موضوع اشتعال الطلبة المصريين

فى أوروبا فى أجازات الصيف . قال لى السفير « كمال الدين رفعت » :

ـ الظروف هنا فى إنجلترا ، خصوصاً السنة دى بعد دخول بريطانيا فى السوق الأوروبية المشتركة ، أصبحت أكثر صعوبة عن الأعوام السابقة . لأنه أصبح فيه تدقيق شوية بالنسبة للأيدى العاملة الأجنبية اللى من غير دول السوق . يعنى المسألة لم تعد سهلة زى زمان لكن اللى بيحصل أنهم هنا بيحتاجوا فى فترة الصيف ـ اللى هو الموسم السياحى فى إنجلترا إلى أيدى عاملة كثيرة خصوصاً فى قطاع الخدمات زى المطاعم والفنادق ، وهذه الأعمال الإنجليز بيرفضوا بشدة أنهم يعملوا فيها . وهى ظاهرة لم تكن موجودة حتى فترة قريبة يعنى من ٥ ٦ سنين فقط كنت تدخل أى مطعم أو فندق تلاقى العمال فيه إنجليز . النهارده تدخل هذه المطاعم والفنادق بالذات تلاقى كل العاملين فيها أجانب : إيطاليين ، يونانيين ، وباكستانيين ، هنود ، أسبان .. وفى فترة الصيف بالذات بيضطروا إلى الإستعانة بالأيدى العاملة الأجنبية ، فى الوقت اللى القانون الإنجليزى فيه لا يسمح لأى واحد بالعمل فى إنجلترا بأجر أو بغير أجر إلا إذا كان معاه تصريح عمل من وزارة العمل الإنجليزية ، إنما لأنهم فى الوقت نفسه عارفين ظروف احتياج الفنادق والمطاعم والخدمات إلى أيدى عاملة . ففى فترة الصيف بيتغاضوا شوية ومش بيعصعجوا فى تشغيل الأجانب ، لكن « دكاكينى » من غير القانون ما يعرف ... ونقدر نقول إنه فى الحقيقة القانون بيبقى عارف و « مطنش » .. وبالنسبة للمصريين بالذات فيه شوية تغاضى برضه نظراً لتحسن الظروف والعلاقات بين مصر وإنجلترا ، يعنى بيتركوا الأولاد المصريين يكذبوا وهم عارفين أنهم بيكذبوا وجايين إنجلترا علشان يشتغلوا . . لكن اللى بيندب ويعمل نفسه صريح ومش بيعرف يكذب وبيقول لموظف مكتب الهجرة فى المطار إنه جاى يشتغل فيرجعوه دوغرى من برة برة ، كما حدث مع مجموعة الشباب اللى جاءوا على طائرة واحدة وكانوا صرحاء جداً ـ أو ساذجين جداً ـ فقالوا فى

فى مطار لندن إنهم حين عشان يشتغلوا . فرحلوهم على نفس الطيارة ورجعوهم مصر تانى فى نفس اليوم . .

لكن حين يشتغل الأولاد المصريين هنا فيشتغلوا تحت ظروف سيئة جداً من ناحية الأجور ومن ناحية ساعات العمل . خصوصاً لما أصحاب الأعمال يعرفوا أن معيش معاهم تصريح عمل . فأقل عامل إنجليزى هنا بيشتغل بـ٨٠ بنس فى الساعة . إنما الشاب المصرى بيضطر يقبل شغل بـ٤٠ بنسا فى الساعة وأقل فى كثير من الأحيان . كما أنه بيشتغل عدد كبير من الساعات وبيقطع قلبه من الصبح يروح بعاته بالليل وبيستهلك صحياً تماماً .. وبالاقى نفسنا السفارة مش قادرين ندافع عن مصالح الشاب المصرى اللى بيعمل هنا لأنه أصلا عمله فى لندن غير قانونى . فيضطر يسكت عصب عنه وإلا سيطرد من البلد خالص لو انكشف أمره .. كما أن معظم المصريين هنا بيقبلوا أى عمل من أى نوع ما دامت المسألة شهرين ثلاثة يتوع الصيف وراجعين مصر

قلت

للسفير

المصرى « كلام الدين رفعت » .

□ « ما اللى تستفيده مصر من حكاية اشتغال الطلبة المصريين فى أوروبا فى فترة الصيف ؟ !

العدد الهائل من الطلبة المصريين اللى بيسيحوا لندن وحدها خلال الصيف . إذا تواضعنا جداً وقدرناه بـ٣٠,٠٠٠ شاب وفتاة . مضروبين فى ٣٠ جنيه إسترلينى تصرفهم الدولة فى القاهرة لكل واحد منهم = ٩٠٠,٠٠٠ جنيه إسترلينى . يعنى ما يقرب من مليون جنيه تضيع من رصيد مصر من العملة الصعبة . وطبعاً الشاب أو الفتاة منهم بيرجع مصر معيش معاه ولا تعريفة عملة صعبة . لأنه أساساً بيكسب فلوس قليلة جداً ولا يسحر

منها ، لأنها يادوب تكفيه يعيش ويسكن وياكل ويشرب ويشترى بدباقى كام قميص وكام پواوڤر وريكوردر كاسيت وساعة شكلها غريب عشان الناس اللى فى مصر يعرفوا أنه جايبها من لندن . وكان الله يحب المحسنين .. يعنى الطالب المصرى اللى بيجى لندن فى الأجازة مش بيرجع بعربية زى ما الناس فى مصر متخيله .. إنما السؤال هنا ممكن يكون : هل الطالب نفسه بيستفيد شخصياً وثقافياً وعلاقات ومعرفة ؟ !

هو ممكن يكون بيستفيد شوية لغة أكثر . وبيشوف الحياة على حقيقتها أكثر . فيستفيد من أوهامه ويكتشف أنها ليست سهلة كما كان يتصورها .. هنا بيشتغل أى عمل قد لا يقبله فى مصر بحكم الظروف الإجتماعية . لكن فيه فى لندن متاحف علمية معظم الطلبة المصريين اللى بيجوا هنا معندهمش أى فكرة عنها ولا بيحاولوا يشوفوها ولا حاجة . يعنى بيجوا لندن يتمشوا فى الشوارع ويشوفوا البيكاديللى والهايدپارك وأوكسفورد ستريت وبس . فتكون النتيجة أنه كطالب – لا يستفيد أى حاجة علمية على الإطلاق .. قد يستفيد شوية حرية بالحياة . شوية لغة إنجليزية . شوية احتكاك وتعامل بسيط جداً فى حدود الناس اللى بيشتغلوا معاه فى المطبخ أو فى المصنع . إنما فيدة علمية كطالب مش بيستفيد حاجة أبداً .. وفيه أولاد تانيين بيكونوا جايين لندن عشان يتشاقوا مع البنات الإنجليز وفاكرين ، على ما سمعوا . إن البنات الإنجليز حاينتظروهم فى المطار بالأحضان وحايجروا وراهم . فيفاجأوا بأن البنت الأجنبية عموماً والإنجليزية بالذات ، بتختار بمزاجها ومفيش بنات مترصصين على الأرصفة ولا منتظرين فى المطارات وصول الغزاة الفاتحين المصريين عشان يترموا فى حضنهم !!

بعد ٣

سوالف

سفيراً في لندن .. قلت للسفير « كمال الدين رفعت » ماهو شكل المشاكل اللي بتنتج عن وجود هذا العدد المهول من الطلبة المصريين في لندن خلال فترة أجازات الصيف ؟ ! ..

ـــ مش عارف هل من حسن الحظ أو من سوئه أنه لا تبلغنا مشاكل كثيرة بالنسبة للطلبة المصريين ، لكن قطعاً هناك جزء كبير من المشاكل يحدث ولا يصل إلينا في السفارة أو في القنصلية . . إنما بشكل عام وبالنسبة للأعداد المهولة من الطلبة المصريين اللي بيكونوا هنا في لندن في الصيف ، فالمشاكل تعتبر قليلة نسبياً ، أبرزها السرقة من المحلات . . وكانت زمان عقوبة السرقة من المحلات حاجة بسيطة وغرامة وبس .. لكن الآن لابد من المحاكمة والحبس والسجن . إنما هي نسبة ضئيلة جداً من المصريين هم اللي بيسرقوا ، يعني لا تمثل ظاهرة على أي حال . المدهش والغريب أنهم مش بيسرقوا من المحلات علشان محتاجين أو مضطرين أو جعانين ، إنما بتلاقي واحدة ست بتسرق حاجة بجنيه وهي في شنطة إيدها ٢٠٠ جنيه ، وفي الحالات دي القانون الإنجليزي بيضاعف العقوبة وبيشتد فيها ، لأنها بتكون بتسرق « دناوة » ، فبيعاقبوها بشدة علشان تحرم ، زي حكاية البنت المصرية اللي ضبطوها بتسرق من محل ، وبعدين اتضح أنها بنت سفير سابق .. وحكاية زوجة مدير المؤسسة المصرية اللي سرقت برضه ، والأميرة العربية اللي عمرها ١٥ سنة وضبطوها بتسرق .. والقانون الإنجليزي هنا مفيش فيه هزار ، ولا تستطيع أن تحمي أي مخالف ، سواء كان حرامي أو حتى مخالف لتعليمات المرور . .

وكانوا زمان مش بينشروا حكاية السرقات دي في الصحف الإنجليزية ، لكن الآن والسنة دي بالذات بينشروها وبيبرزوها بالتفاصيل وبالأسماء

بكامة . وكنا فاكرين أن المقصود بحكاية النشر فى الصحف هم العرب بس ، لكن مرة نشروا إحصائية اتضح منها أن أكثر لصوص المحلات لتجاريه هم الفرنساويين والإسرائيليين والإيطاليين واليوجوسلافيين .. وللأسف البوليس الإنجليزى هنا بيرفض التعاون معانا فى مثل هذه الموضوعات .. طلبنا منه مرة أن يعطينا أسماء الطلبة والمصريين عموما اللى بيسرقوا من المحلات ، أو النماذج غير المشرفة عشان نمنع مجيئهم إلى لندن أو سفرهم إلى خارج مصر على الإطلاق بعد كده . لكن البوليس رفض أن يعطينا أسماءهم ، هكذا بدون إبداء أسباب . فى الوقت اللى بيعطيها فيه للصحف لتنشرها . وطبعا مش ممكن فى الحالات اللى زى دى نقدر نعتمد على أن تكون مصادرنا هى الصحف وبس ..

قال

لـ « كمال

رفعت » : وماذا عن ظاهرة ضياع جوازات سفر الطلبة المصريين هنا فى لندن ؟ !

— المفهوم طبعا إن الجوازات اللى بتضيع تبقى اتباعت .. لكن المسألة لها وجهين أو حالتين : إما أنها بتسرق فعلا بواسطة عناصر معينة — غالباً إسرائيلية — للإستفادة من هذه الجوازات .. وإما أن يكون بعض الطلبة المصريين بيبيعوا جوازات سفرهم نتيجة إحتياجهم إلى فلوس . فيكونوا مضطرين يبيعوها علشان ياكلوا بثمنها .. لكن النتيجة واحدة فى الحالتين ، لأن مين ممكن يكون له مصلحة فى إنه يشترى جواز سفر مصرى إلا العملاء الإسرائيليين ؟ ! وفى الحقيقة إحنا مش بنقدر نعرف مين الصادق ومين الكذاب .. مين اللى الجواز باعه ضاع منه بصحيح ومين اللى باعه ؟ . لكن قطعا بنبلغ الجهات المسئولة فى القاهرة علشان تراقب الحكاية دى وتشوف الجوازات اللى ضاعت دى مصيرها إيه ،

وتمحص حالة الشخص اللى الجواز بتاعه ضاع إنه فى أغلب الأحيان القنصلية مش بتطلع جواز سفر جديد لشخص اللى جواز سفره ضاع . إنما تتطلع له تذكرة عودة إلى مصر فى الطيارة على طول . وفى مصر يبحث حالته .. وفى الحالتين الدولة بتسترد ثمن التذكرة منه بعد عودته إلى مصر ..

وفيه حالات بيكونوا فيها بعض الطلبة المصريين بعايين ماديًّا جداً ومش لاقيين عمل . فيلتقطوهم عملاء إسرائيل لتجنيدهم لخدمة المخابرات الإسرائيلية . وفى الحالة دى فيه بعضهم بيحكى لنا يبلغ . وفيه بعضهم بيبنى هذه العلاقة من برة برة بعد عننا من غير ما يبلغ . وبرضه فيه بعضهم بيمشى فى الموضوع ظناً منه أن عين المخابرات المصرية غافلة عنه .. علشان كده بنصح كل الشبان والطلبة المصريين اللى بتحصل معاهم إتصالات مع عملاء إسرائيل إنهم يبلغوا فوراً السفارة هنا أو جهاز المخابرات فى مصر علشان يبقى ممكن الإستفادة من المعلومات اللى بيقدمها المُبَلِّغ . أو حتى لايضار هو نفسه إذا كانت أجهزة المخابرات المصرية متابعة إتصالاته ومراقباها من الأول ..

وفيما

يتعلق

بتنظيم عملية سفر الطلبة المصريين إلى أوروبا عموماً فى الصيف ؟ ! . . قال السفير « كمال الدين رفعت » :

— يجب أن تتدخل الدولة والمسئولين عن رعاية الشباب فى مصر بصورة جدية وفعالة لتنظيم جزء كبير على الأقل من هذه العملية .. من ناحية الإتفاق والتنسيق مع الجهات المعنية بالشباب هنا فى إنجلترا . سواء فى معسكرات صيفية أو برامج موضوعة . وأتصور أنهم هنا حايرحبوا لكن أن تكون وزارة العمل فى مصر ووزارة العمل فى إنجلترا بعيدتين عن

الصورة تماماً وماهمش دعوة بخاصة أبداً كما هو حادث الآن ، فذلك مش سليم ومش مضبوط .. ومن ناحيتنا إحنا هنا كسفارة مستعدين للقيام بالإتصالات والترتيبات لعمل إتفاقيات وعقود تحفظ حقوق العمال المصريين وتعطيها « كوتة » أو « حصة عمالة » معينة تتحرك فى حدودها ، إلى جانب معسكرات العمل الصيفية وبالشكل ده نضمن أن جزءاً كبيراً من الشبان اللى جايين إنجلترا فى الصيف جايين بشكل منظم ومدروس ومحكوم وحقوقهم محفوظة . وده أحسن كتير طبعاً من أنهم يجوا يناموا فى حديقة الهايدبارك أو ميدان البيكاديللى .

□ سمعة يا وزارة العمل فى مصر ؟ ! وهو ليس رأى مسئول عادى أو سفير عادى ، إنما هو أى وزير عمل سابق أيضاً فى مصر ..

الكتاب

الكتاب

الكتاب .. شعب الإنجليزى شعب قارئ جداً ، شديد التهم فى القراءة .. لا تجد حسناء — مثلاً يعنى — واقفة على محطة القطار أو محطة المترو تتلفت حولها كالملهاء أو تستعرض جمالها وترى تأثيره فى عيون المشاهدين ، ولا تجد واحدة جالسة فى محل ماكينات غسيل الملابس وهى ترعى وتدش مع جارتها ، لكن كل واحد وكل واحدة فى يدها كتاب تقرأ فيه بانهماك شديد كأنها ستمتحن فيه بعد ساعة .

ومع ذلك . فهم شعب جاهل جداً إلى حد قريب من الأمية ، ليست لديه أية معلومات عن خارج حدود بلاده .. ضعيف جداً فى التاريخ وليست لديه أية معلومات عامة . شعب لا يقرأ إلا الروايات البوليسية ويعبد « أجاثا كريستى » التى تنتشر رواياتها فى مكتبات محطات المترو الـ « أندرجراوند » وتحتل وتملأ الرفوف الرئيسية فيها وتجدها فى كل

الأيدى فى عربات مترو كأنها كتب مدرسية مقررة .. والصحف الإنجليزية نفسها تقول فى تحقيقاتها الصحفية إن ١٪ فقط من الإنجليز الذين يدخلون المدارس يكملون تعليمهم وذلك صحيح إلى حد كبير . فإنى — على الأقل فى محيط الفندق الذى أعمل فيه — لم أجد جامعياً واحداً. حتى المديرين أنفسهم.. وأى وظيفة هنا لا تشترط الشهادات على الإطلاق. تشترط فقط أن تكون تستطيع أن تقوم بها .

الإنجليز يعرفون تاريخهم هم فقط جيداً .. لكن يأتى واحد مثل صديق وزميلى الإنجليزى « ريتشارد » منذ عدة أيام ليسألنى عن « الرئيس » توت عنخ آمون (!!) الذى شهد معرضه فى لندن من الخارج ولم يدخله . يعنى رأى الطوابير فقط . « ريتشارد » يتصور أن « الرئيس » توت عنخ آمون هو أحد رؤساء الجمهورية السابقين فى مصر ، ويتصور أنه مازال حياً حتى الآن ، ويسألنى إن كنت - كصحفى — أعرفه شخصياً وقابلته ! !

فرح « ريتشارد » جداً حين وعدته بأنى حين أعود إلى مصر سوف أرسل له صورة فوتوغرافية للرئيس توت عنخ آمون موقعة منه شخصياً !!

ومع
أن

الإنجليز يقرأون الصحف والمجلات الإنجليزية باهتمام شديد إلا أن الصحف الإنجليزية نفسها تهتم كثيراً بإبراز أتفه الموضوعات . مانشتات الصفحات الأولى والصفحات الرئيسية فيها تهتم جداً بالكورة وبالجرائم وبالصور الجنسية العارية الفاضحة التى تنشرها صحيفة يومية شهيرة مثل « دايلى مرور » كل يوم على صفحتها الثالثة : أهم صفحة فى أى جرنال .. تهتم بحوادث الخيانات الزوجية وهروب الزوجات مع عشاقهن، والبنت التى عمرها ١٥ سنة ومرت بـ٣٠ قصة حب ، والفتاة الزنجية التى

سوف يتزوجها الممثل الإنجليزى الشهير « بيتر فينش » ، والعروس التى هربت مع سائق أوتوبيس بعد أربعة أيام من زفافها ، وكيف تعادلت إنجلترا فى كرة القدم مع بولندا فخرجت بذلك من مباريات كأس أوروبا وتطالب بطرد سير « آلف رامزى » مدير فريق إنجلترا الدولى وشنقه فى ميدان الـ « ترافلجار » لأنه هو اللى كان السبب ، منه لله !!

تصدر فى لندن أكثر من ١٠ صحف يومية ، أشهرها :

☐ الجارديان . ☐ التايمز .

☐ الديلى تليجراف ☐ الدايلى إكسبريس .

☐ نيوز أوف دى وورلد . ☐ الفاينانشيال تايمز .

وهذه تصدر فى الحجم الكبير المعتاد الذى يشبه حجم الصحف اليومية المصرية أو أكبر قليلا .. وصحف أخرى تصدر فى نصف هذا الحجم الذى نسميه فى الإصطلاحات الصحفية « التبلويد » ، مثل :

☐ الدايلى ميل . ☐ الدايلى ميرور .

☐ ذى صن . ☐ الإيفينج ستاندارد .

☐ الإيفينج نيوز .

وهى تصدر فى أيام الأسبوع العادية — غير الأحد — فى ٢٤ صفحة على الأقل . أما صحف يوم الأحد فإن لها عندهم أهمية واهتماماً عظيمين . النسخة الواحدة من صحف الأحد تزن أقة وفيها عدد الصفحات لايقل عن ٤٤ صفحة ، وغالباً يزيد وتخيل أنت ٤٤ صفحة بحجم « الأهرام » مثلا يبقى شكلها إيه وتبقى قد إيه .. وبعض هذه الصحف يصدر معها يوم الأحد ملحق مجلة كاملة مطبوعة بالروتوغرافور وبالألوان فى ٨٠ صفحة ، وتوزع مجاناً مع صحيفة الأحد ، مثل « التايمز » و « التليجراف » و « الأوبزيرفر » ..

والجرائد المسائية عند الإنجليز لا تقل فى أهميتها عن الجرائد الصباحية .. الجريدة المسائية عندنا فى مصر تجدها فطسانة وغلبانة وتصدر متدارية وعلى

استحياء كأنها مكسوفة . وتورث كأنه أنف نسخة قليبس في اسر وفي الخفاء . وقد نجد ناس كثيرين عندنا في مصر لا يعرفون إن كانت عندنا جرائد مسائية أم لا لكن هنا في إنجلترا الجرائد المسائية تنافس في توزيعها الجرائد الصباحية . والإنجليز يشترون الإثنتين . .

والإنجليزي يشتري جريدته ويقرؤها في المترو ويتركها على مقعده وهو نازل أو يضعها في سلة المهملات في الشارع فلا يمد أحد يده ليأخذها . والذي يريد أن يقرأ الجرنال يجد أمامه الجرائد ملقاة على كراسي المترو بالكوم ومع ذلك يمد يده في جيبه يخرج ٣٠ بنس ليشتري من البائع نسخته الخاصة به ، يقرؤها ويرميها هو كمان . ولا أحد يفكر في أن يأخذ معه الجريدة التي قرأها إلى البيت لكي تلمع به المدام زجاج الشبابيك !

والمجلات الإنجليزية

عددها كبير مهول أكبر من أن يقع تحت حصر - على الأقل بالنسبة لي أنا - وليس فيها مجلات عامة تكتب في كل الموضوعات مثل «المصور» و «آخر ساعة» و «روز اليوسف» عندنا إنما كلها مجلات متخصصة : مجلة للبيوت ومجلة للسيارات العادية ومجلة لسيارات السباق ومجلة للدراجات ومجلة للطائرات الشراعية . وأخرى للطائرات العادية . ومجلات متعددة للأزياء وللمرأة وللأطفال ، وكل فرع يخطر على بالك سوف تجد له قطعاً مجلة تهتم بأمره وترعى شئونه . لم أكن أتصور أن تكون هناك مجلة خاصة تصدر أسبوعياً في ٨٠ صفحة كل اهتمامها بـ : « الموتوسيكلات » !! . . لو أن مثل هذه المجلة صدرت عندنا في مصر فسوف تصدر في ملزمة واحدة ٨ صفحات مليئة بالإعلانات ، ثم تشهق وتلفظ أنفاسها وتستشهد وتتوقف عن الصدور بعد عدد واحد فقط لأنها لن تجد مادة عن الموتوسيكلات

تنشرها بعد ذلك .. لكنهم هنا وسبحان العاطي الوهاب يحصون المادة الموتوسكيبية التي تملأ فراغ ٨٠ صفحة كاملة . وكل أسبوع .

هنا أيضا مجلة أسبوعية خاصة بالفندقة — من كلمة « فنادق » — إسمها « كاترر آند هوتيل كيبر « Caterer and Hotel Keeper » .. وجريدة للفندقة أيضا إسمها « كاترنج تايمز « Catering Times » . وهي ليست دعاية وإعلانات عن الفنادق كما قد يتصور البعض ، لكنها جريدة مثل كل الجرائد التي حقق رينا . لا تتردد في أن تنشر — بالإسم كاملا وبالتفاصيل والصور — خبر مدير لفندق الذي هرب بمرتبات الموظفين وحين قبض عليه بوليس لم يجد في جيبه غير نفس ونصف !!

ومحلات الجنس هي أغنى المحلات هنا . إذ تباع النسخة الواحدة بين ٣٠ و ٥٠ بنسا . ومطبوعة بطريقة مهولة على ورق كوشيه ملون من الغلاف للغلاف وبصور جنسية صحيح وفاضحة صحيح ومثيرة صحيح . لكنها أقرب إلى اللوحات الفنية والتابلوهات . يعني الواحد ممكن يقطعها من مجلة ويبرورها ويعلقها في مكتبه مش بس في غرفة نومه في البيت .. الطريف أن هذه المحلات مكتوب على غلافها الخارجي (غير مسموح بيع هذه المجلة للأشخاص الذين يقل عمرهم عن ١٨ سنة) !! . آل يعني بائع الصحف سوف يطالب الولد الإنجليزي بإبراز بطاقته الشخصية ، وآل يعني لو ذهب ولد عمره ١٩ سنة واشترى كل النسخ التي عند البائع وورعها بمعرفته على شلته حد حيقول له لأ !!

وتنتشر

هنا

أيضاً « صحف الضواحي » .. ليست صحف الأقاليم أو صحف المقاطعات أو حتى صحف المدن . إنما صحف « ضواحي » لمدن نفسها .. وهي ليست صحيفة واحدة للضاحية إنما « عدة » صحف

للضاحية الواحدة .. فى ضاحية واحدة مثل ضاحية « ميديلسكس » التى أسكن فيها والتى تشبه ضاحية مصر الجديدة عندنا لأنها ضاحية مطار « هيثرو » فى لندن . وهى تنقسم إلى عدة أحياء صغيرة .. فى ضاحية « ميديلسكس » يصدر عدد من الصحف أكثر مما يصدر فى دولتين عربيتين معا . يصدر — ومن حدثنى من الزملاء الصحفيين يغمى عليه أو يطب ساكت — ١٣ صحيفة بين يومية وأسبوعية .. يعنى صحيفة أو أكثر لكل «حى» من أحياء الضاحية !! . وحتى لا يظن أحد أنى أبالغ أو أن المسألة وسعت منى شويه . فهذه هى أسماء الصحف الـ ١٣ التى تصدر فى ضاحية واحدة من ضواحى لندن :

١ — رويسليب پوست . ٢ أوكسبريدج ويكلى پوست .
٣ هايرپوست ٤ إيرپورت هوزلو پوست
٥ — إيرپورت هيثرو پوست . ٦ — هارو پوست .
٧ — كينتون پوست . ٨ ساوثپول پوست .
٩ — إلينج پوست . ١٠ — جرينفورد پوست .
١١ ريكماتز وورث پوست . ١٢ — ويمبلى پوست
١٣ — كنجز بورى پوست .

وعقبالنا يارب لما تصدر فى كل مدينة كبيرة فى مصر ، أو حتى فى كل محافظة ، صحيفة أسبوعية واحده

وهنا

نوع

ظريف جداً من الصحف يصدر فى إنجلترا أيضا : صحف بلا محررين !! .. مثل جريدة « إكستشينج آند مارت » التى تصدر كل يوم خميس وتباع بـ ٥ بنسات فقط . ومع أنها تصدر فى ١٦٠ صفحة إلا أنك لن تجد فيها محرراً واحدا ولا مقالا واحداً ولا صورة واحدة.. لأنها كلها

من الغلاف إلى الغلاف إعلانات إعلانات عن كل شيء ، إبتداء من بيع وشراء القصور والبيوت والبحوت والسيارات الجديدة والمستعملة ، إلى دبابيس الإبرة وبس الشعر وزراير القمصان .. بحيث إن من يشترى هذه الجريدة الإعلانية يستطيع أن يستغنى بها عن النظر فى كل الإعلانات التى تنشر فى الصحف الأخرى العادية . .

ومانشتات الصحف الإنجليزية – [وهذا الفصل مكتوب قبل حرب ٦ أكتوبر ومعركة التروب وأزمة الطاقة] – مانشتات الصحف الإنجليزية من فرط الرخاء وانقطاع الصلة بالعالم الخارجى ، أو على الأقل « عدم الإهتمام به » . كلها لا تتحدث إلا عن الحوادث والجرائم وملكة جمال بورتسماوث والفتاة العمياء التى تزوجت ولد مفتح ، والأجاوة المرحة الساخنة التى تقضيها « إيرابيث تايلور » فى إيطاليا بعد انفصالها بدون طلاق عن زوجها « ريتشارد بورتون » ، والأسباب الحقيقية وراء طلاق الحسناء « لينا سكوج » من زوجها الفنان « آلان هوايتهيد » ، والقطار الذى دهس عيلين فى مانشستر . . ومين عارف . يمكن يشروا غداً تحقيقاً صحفياً فى ١٠ صفحات عن الست اللى كلت دراع جوزها ! !

ومثلماً يحدث تماماً فى دمياط أو فى المحلة أو فى الزمالك : [«الدايلى تلجراف» بتاريخ ٢٠ أغسطس] - مشجعو الكورة حين ينهزم الفريق الذى يشجعونه يكسرون الدنيا ويخربون كل حاجة تقع تحت أيديهم : مشجعو فريق « أوكسفورد يونايتد » العائدون من « هيرفورد » بعد مباراة هزم فيها فريقهم ، مزقوا مقاعد وكسب قطار إكسبريس هيرفورد – لندن ، وحطموا زجاج الشبابيك وهشموا الأحواض الصينى الفاخرة والمرايا الرائعة الأنيقة فى دورات مياه الإكسبريس وخربوا القطار الشيك ودشدشوه نشرت «الدايلى تليجراف » ذلك ونشرت خبر القبض على ١٨٠ شخصاً من الذين اشتركوا فى تخريب القطار بعد المباراة « الحبية » أو « مباراة الصداقة » كما يسمونها هنا !!

ومن

قوط

اهتمام الإنجليز بالجو وحالة الطقس. فإن الصحف الإنجليزية تنشر النشرات الجوية في صفحتها الأولى . وبعضها بالغ في ذلك - مثلما تفعل الـ « دايلي إكسبريس » أحيانا فتنشر حالة الطقس تحت إسم الجريدة مباشرة بجوار سعر النسخة وتاريخ اليوم !

وفي صحف الصواحي الإنجليزية تجد أيضا شيئاً طريفاً : صفحة ونصف كاملة « : عرائس !! .. وهنا يكتبون « مواصفات » العروس كأنها إعلان أو كأنه مطلوب لها عريس : ست مين وسنها كام سنة وشكلها إيه : شقراء والا سمراء ولا حمراء . وجسمها حلو والا لأ ومقاسات وسطها وصدرها ورجلها . درست أو مدرس إيه أو بتشتغل إيه . عرفت عريسها إزاي وحبوا بعض إزاي وتشاقوا مع بعض قبل الجواز لمدة قد إيه . وحايقضوا شهر العسل فين . وناويين يخلفوا والا حايفرجوا على التليفزيون ويحلوا كلمات متقاطعة .

هايعيش هناءة الناس دول . ألعن منا . .

لكن

الميزة

الحقيقية التي تتمتع بها الصحافة الإنجليزية هي الصراحة المهولة التي تصل إلى حد مناقشة أمور وشئون الأسرة المالكة البريطانية بصراحة بالغة وبصدق شديد .. ورغم أن الشعب الإنجليزي يعبد أميرته الطريفة ذات الـ « ضب » الوسيم « آن » بنت ملكة إنجلترا ، وتشغله جداً حكاياته زواجها .. وتفتح أي صحيفة أو مجلة كل يوم لتجد فيها موضوع مصوراً عن الأميرة الفارسة « آن » وخطيبها الكابتن « مارك فيليبس » ..إلا أن

صحيفة مثل «ديلي ميرور» - ٢٠ أغسطس - تهاجم بشدة أن تحصل الأميرة «آن» وعريسها على بيت في «ساند هيرست» به ٥ غرف نوم وإيجاره ثمانية جنيهات فقط في الأسبوع .. وتنشر خطابات القراء دافعي الضرائب الذين يعترضون كما قالت سيدة قارئة على أن تأخذ الأميرة بيتا بأكمله بثمانية جنيهات ، في الوقت الذي يتحطم فيه زواج إبنتها - إنه السيدة القارئة طبعاً وليست إبنة الأميرة «آن» !! - لأنها لا تجد مجرد «شقة» تسكن فيها !! وهذا صحيح فعلا . فقد سكن في غرفة واحدة في فندلا مواصلة وأدفع ستة جنيهات في الأسبوع . والأميرة ذات النصب الطريف سوف تأخذ بيتا (من بابه) به ٥ غرف نوم . غير السفرة والصالون . بثمانية جنيهات فقط ..

ثم ٥ غرف نوم ليه ؟! هم ناويين يعملوا إيه بالضبط ؟!

وبمناسبة

الأميرة

الظريفة «آن» لأميرة ترتيبها في وراثة العرش لتكون ملكة إنجلترا . الحادية والعشرين في ترتيب «المستحقين» . بالرغم من أنها إبنة الملكة الحالية «إليزابيث» مباشرة . وبالرغم من أنها شقيقة الأمير «تشارلز» ولي العهد لكنها ليست لديها الفرصة لتكون ملكة إلا إذا مات ٢٠ واحداً وواحدة آخرين يسبقونها في الترتيب . وأحق منها في وراثة العرش . يعني محتمل أنا شخصياً أبقى مات قبل منها !!

مادمنا

قد

تكلمنا عن الصحافة الإنجليزية فلا بأس أيضا من أن نتكلم عن الإذاعة والتليفزيون الإنجليزيين التليفزيون هنا في لندن له ٣ قنوات

نشاهد فى جميع أنحاء إنجلترا I. T. V. / B. B. C. 2. / B. B. C. 1. ...
والـ I. T. V. لها غير القناة التى نشاهد فى إنجلترا كلها ١٥ قناة أخرى موزعة على أقاليم إنجلترا طولا وعرضاً كل قناة فى كل إقليم تذيع برنامجاً خاصاً بها مختلفاً عن البرامج التى تذاع فى الأقاليم الأخرى . قد يكون محلياً فعلا : يعنى تم تصويره وإنتاجه فى دخل الإقليم ولا يعرض إلا فيه . كما فى إذاعة الإسكندرية المحلية مثلا التى لها ميزانيتها وبرامجها الخاصة بها التى تنتجها هى ولا تذاع فى إذاعة القاهرة . . وقد يكون مختارات من برامج محطة التليفزيون الـ I. T. V. الأم ، الله أعلم . . كما يحدث فى محطات التليفزيون الفرعية عندنا فى الصعيد : المنيا وأسيوط وسوهاج والأقصر وأسوان مثلا التى لا ترى القناة رقم ٩ . فتكون لها برنامج آخر محلى يذاع من هناك ليملأ فراغ القناة رقم ٩ ببرامج أخرى مختارة من برامج التليفزيون الأم فى القاهرة والفرق بيننا وبينهم هو أن الصحف الإنجليزية هنا تنشر برامج التليفزيون فى كل محطة من المحطات الـ١٥ الفرعية ؛ ونحن هنا فى مصر حتى فى مجلة « الإذاعة والتليفزيون » المتخصصة — لا ننشر برامج الـ ٥ محطات الفرعية فى الصعيد !!

(١٧)

□ الكتيبة الناعمة.. تحارب فى لندن ! □

الزمان : الساعة الواحدة والنصف ، ظهر يوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

المكان : مكتب البريد الفرعى فى حى « كرانفورد » فى ضاحية « ميديسكس » فى أطراف لندن ..

أضع
فى

صندوق البريد عدة رسائل مرسله إلى القاهرة : إلى رئيس تحرير مجلة « الإذاعة والتليفزيون » . وإلى أسرتى وبيتى فى القاهرة . أخبر الجميع بأن مهمتى التى استمرت عدة شهور هنا فى إنجلترا قد قاربت على الإنتهاء . وأننى قد حجزت فعلا للعوده على طائرة شركة « سويس إير » فى الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر . .

ألقيت الرسائل . وعدت إلى بيتى فى « واى آفينيو » لأنام حتى الثامنة مساء ، لأستريح من عناء يوم عمل شاق : ولأستعد ليوم عمل شاق آخر جديد يبدأ مع المساء وينتهى فى الصباح . .

□

الزمان : الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم السبت ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ . .

المكان . فندق « سبر إيرپورت هوتيل » فى منطقة مطار « هيثرو » فى ضاحية « ميديلسكس » فى لندن . .

أصل

إلى

الفندق في موعدي المعتاد كل ليلة بوهة الأولى أشعر أن في الجو شيئاً غير عادي . شيئاً يكاد يصل إلى حد التوتر . . بدت كلها في حالة توتر هذه الأيام بسبب القنابل الأيرلندية التي تنفجر في كل مكان دون موعد ودون إنذار . . ظننت أن الأمر متعلق بحالة الطوارئ المعلنة في كل شبر في لندن بسبب هذه القنابل . . لكن رمبي الإنجليزي الذي يعمل مورجن يبادرني وفي عينيه نظرة شماتة واضحة .

— هل سمعت ما حدث ؟

أفقتني نظرته .

— أسمع شيئاً . خير . ماذا حدث ؟ ؟

يستطرد « توني » بنفس الشماتة .

لقد حاول المصريون أن يعبروا قناة السويس . لكن الإسرائيليين ردوهم على أعقابهم وقتلوا ٣٠ ألفاً . تصور : ٣٠ ألف ضابط وعسكري مصري قتلوا في ساعة واحدة !

لو أن جبلاً انحط فجأة فوق أكتافي لما شعرت بهذا الإحساس . . شعرت لحظتها فقط كيف يمكن أن تكون السكتة القلبية . . أو كأنني دست بقدم عارية على سلك كهربائي قوته ١٠٠ ألف فولت فصعقني على الفور و « دشني » في مكان دون أن أستطيع حركة واحدة !

بعد لحظات بدأت أعود إلى نفسي . بينما « توني » لا يزال يتحدث بإنجليزيته السريعة الشامتة . أذني لستا معه على الإطلاق أسمعه ولا أسمعه كي أصبحت في القاهرة قطعاً هذا هزار إنجليزي سخيف . هكذا الإنجليز دائماً . ما بيعرفوش يهزروا ، فإذا هزروا صاروا أثقل خلق الله دماً ! . . قلت والقلق يعتصرني من الداخل .

من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟ !

قال في انتصار :

- الراديو . . « B.B.C. » . . والتليفزيون . . والصحف أصدرت طبعات مسائية . إنت كنت نايم قطعاً حرب ٦٧ انتهت فى ستة أيام ، لكن حربكم هذه المرة انتهت فى ٦ ساعات قامت الحرب وانتهت وأنت نائم . . ها ها ها »

أسرعت

إلى

صالة سينما ريفولى فى الطريق إليها تعترضنى « سوسن » و « بسمة » القلق والذعر يرسمان على وجهيهما « صحيح الكلام اللى سمعناه ده ؟ ! » « مين قال لكم ؟ » « كل الناس هنا بيقولوا كده » . .

وتتعلق عيوننا جميعاً بشاشة السينما ريفولى تنتظر أخبار الساعة العاشرة إلا ربعاً . أول خبر فى النشرة هو خبر عبور القوات المسلحة المصرية لقناة السويس ظهر اليوم السبت ٦ أكتوبر واحتلالها جزءاً كبيراً من الضفة الشرقية لقناة السويس وتوغلها فى سيناء . منتهزة فرصة انشغال الإسرائيليين بالاحتفال بأحد أعيادهم الدينية فى ذلك اليوم خريطة سيناء تظهر على الشاشة الملونة . والجزء الذى احتلته القوات المصرية مطلى بلون مختلف . المذيع يقول إن معركة كبيرة تدور « الآن » على أرض سيناء بين القوات المصرية الزاحفة والقوات الإسرائيلية التى فوجئت بهذا الهجوم الذى لم تكن تتوقعه ولا كانت مستعدة له . وقال أيضاً أن القوات المسلحة السورية هى الأخرى قد هاجمت القوات الإسرائيلية فى ناحيتها وطردتها من مرتفعات الجولان

ولم

يذكر

المذيع الإنجليزى حرفاً واحداً عن الـ ٣٠ ألف جندى وضابط مصرى الذين « قتلهم » الإسرائيليون فى سيناء فى ساعة واحدة . ولم

يذكر أيضاً حرفاً واحداً معناه أن الإسرائيليين قد استطاعوا رد المصريين على أعقابهم . .

وقفزت « بيسة » فى مكانها من الفرحة . وراحت « سوسن » كطفلة صغيرة تمرح فى كل مكان وهى تحكى بالإنجليزية والعربية فى وقت واحد . . لقد عبر المصريون قناة السويس وهذا يكفى . . لقد وضعوا أقدامهم على أرض سيناء من حديد وهذا يكفى . لقد كانوا هم البادئين بالهجوم هذه المرة ، ولأول مرة ، وهذا يكفى . .

وأغادر

صالة

التيلفزيون أبحث عن رقبة « توفى مورجن » . . قل ما تشاء يا « توفى » يا ابن « مورجن » . . لكن مذيعكم الإنجليزى فى تيلفزيونكم الإنجليزى هو الذى يقول الآن إن المصريين يشوطون بأحذيتهم مؤخرات جنود إسرائيل ويطاردونهم فى صحراء سيناء . .

لكن « منى » تأتى بسرعة لتجتذبنى من يدى لأعود من حديد إلى صالة التليفزيون : السفير المصرى « كمال الدين رفعت » يتحدث فى التليفزيون الإنجليزى . . واضح أن « كمال رفعت » ليس لديه بعد معلومات كافية عن الحرب ، لكنه يتكلم كلاماً عاماً عن أننا نحارب معركة شريفة لا بد منها فى سبيل استعادة أرضنا المغتصبة التى احتلها الإسرائيليون منذ عام ٦٧ ورفضوا الإنصياع لقرارات الأمم المتحدة فى الجلاء عنها ، ولم يكن أمامنا إلا هذا الطريق ، طريق الحرب ، طالما أن الأمم المتحدة قد فشلت فى أن تجعل إسرائيل تحترم قرارات المجتمع الدولى . .

وتتوقف

كل

الأحاديث في تلك الليلة إلا حديث الحرب بين مصر وسوريا من ناحية ، وإسرائيل في الناحية الأخرى . . ولأن في الكافيتيريا وفي الفندق عموماً تعمل مجموعة كبيرة من بنات والشبان المصريين طلبة وطالبات في الجامعات المصرية . فإننا قد أصبحنا طرفاً في الموضوع . . كل رواد الكافيتيريا من الأجنبي والأجانب يناقشون في الحرب وفي المعركة الدائرة . « سوسن » و « سناء » و « بيسة » و « منى » و « نورا » و « عصيلة » و « منى » أخرى و « شحاتة » و « ماجد » ، جميعهم فتحوا جبهة مصرية جديدة في الكافيتيريا تحارب ضد إسرائيل . . طول الليل يناقشون رواد الكافيتيريا بإنجليزيتهم العرجاء القاصرة ومعلوماتهم السطحية . لكن حماسهم واندفاعهم الشديدين وإخلاصهم وحبهم الكبير لمصر ، والحق الواضح الذي لا ينكره إلا كل مكابر أعمى القلب ، يتغلب شيئاً فشيئاً على كل الحجج الواهية التي يدافع بها الإنجليز . . واللي بمصلحة معاهم أو تعجز إنجليزيتهم القليلة عن التفاهم معه ، يأتون به إلي لكي أتفاهم أنا معه ، على اعتبار أنني بحكم عملي كصحفي أكثر معلومات وأكثر فهماً للموضوع وخلفيته التاريخية . .

وقرب

الفجر

ينعقد حول مكتبي مؤتمر مصري صغير . البنات قررن أن ينهين عملهن هنا ويعدن إلى مصر فوراً . . وأنا أيضاً معهن . كنا قد حجزنا للعودة على طائرة شركة «سويس إير» يوم ٢٠ أكتوبر . . لكن بلدنا تحارب الآن ، ولا بد أن نكون نحن أيضاً هناك . . قد لا نستطيع

شيئاً . قد لا نفيد شيء . لكن مكاننا هناك . لا بد وأن نكون موجودين هناك . . لا بد وأن يكون كل مصري على أرض الوطن في هذا الوقت بيننا تماديا حتى لو لم تكن في حاجة إلينا . . والمطلوب الآن أن نحاول مع مكتب شركة « سويس إير » لتقديم موعد عودتنا إلى أقرب تاريخ ممكن . .

لكن شركة « سويس إير » تعتذر بأنها قد أوقفت خطوط طيرانها إلى القاهرة ودمشق وبيروت وعمان وبن غيبب حتى تتضح الحالة وتهدأ الأمور . . فيس من المعقول أن حتى بإرسال طائراتها المدنية إلى بلد فيه حرب ، وحرب مع من ؟ مع إسرائيل التي هي سواء في ضرب وإسقاط الطائرات المدنية وركابها ! !

ثم يأتي الخبر الذي يحسم الأمر تماماً . مطار القاهرة الدولي نفسه مغلق . لدواعي الأمن أولا . ولأنه من الحكمة أيضاً — حتى لو كانت دفة الحرب في صالحنا — عدم المجازفة باستقبال طائرات مدنية في الوقت الحالي .

وبعدين ؟

هل

ستحبسنا الحرب هنا في لندن بعيدين عن مصر في هذا الوقت بالذات ؟ ! . هل سنقضي هنا كل الفترة التي سوف تستغرقها الحرب ، وقد تطول أكثر مما نتوقع ؟ ! وتمر بذهني وعلى ذاكرتي صور المصريين الذين حبسهم الحرب العظمى الماضية في إنجلترا أو ألمانيا أو البلاد المتحاربة ، فظلوا ست سنوات الحرب محبوسين في هذه البلاد دون أن يستطيعوا العودة إلى مصر حتى انتهت الحرب عام ١٩٤٥ هل سيحدث لنا ذلك نحن أيضاً ؟ ! . طيب أنا ومشكلتي إلى حد ما محلولة ، أستطيع أن أرتب أموري بحيث أكتب مجلتي من هنا بصورة

أو بأخرى ، لكن البنات ، وهن جميعاً طالبات فى الجامعات المصرية . ماذا سوف يفعلن ؟ ! هل يكملن دراستهن هنا فى الجامعات الإنجليزية أو ماذا ؟ ! وإلى أى مدى سوف تطول الحرب ويستمر إغلاق المطار ؟ ! .

وتقفز فكرة جديدة : « مى » تقترح أن نعود بالبحر . بالسفينة . . بالمركب . . بأى وسيلة إن شاء الله يكون قريب عجايب

وأرفع سماعة التليفون مرة أخرى وتدور اتصالات جديدة وتكون النتيجة هى نفس النتيجة . حالة الطوارئ معلنة فى ميناء الإسكندرية أيضاً ، وكل الموانئ المصرية مغلقة فى وجه السفن المصرية والأجنبية ! !

ونستسلم ، مؤقتاً ، للظروف الراهنة . وندع الأمور تجرى فى أعنتها حتى يتضح الموقف أكثر . أو يجد جديد .

ونعود

إلى

مناقشات الحرب وحديث الحرب . الصحف الإنجليزية الصباحية العشر تصلنى بحكم عملى — فى الخامسة صباحاً . قبل الخامسة بنصف ساعة تركت البنات أعمالهن وكل ما فى أيديهن ليتجمعن حول مكتبى فى انتظار الصحف وعيونهن لا تتحول عن الباب الذى تأتى منه سيارة الصحف قبل أن يضع السائق الصحف أمامى كانت الأيدى المصرية الناعمة تتخاطفها بلهفة كبيرة . يتصفحها بسرعة . يشاهدون الصور . . يحاولن قراءة العناوين الكبيرة . . ثم ، كأنهن يشعرن فى هذه اللحظة فقط بأهمية اللغة الإنجليزية كما لم يشعرن بها من قبل طيلة الشهور السابقة التى عملن فيها فى لندن . . يعدن الصحف إلىّ وهن يسألن « يقولوا إيه عن الحرب ؟ ! » . .

وتأتى « بيجى » الأيرلندية الشمطاء المديرة الليلية للكافيتيريا لتشخط

فيهن وتسوقهن أمامها إلى داخل الكافيتيريا . . لكن « سوسن » بعد قليل تهرب مرة أخرى لتأتى إلىّ . أترجم لها بسرعة ملخصاً لما جاء فى الصحف الإنجليزية عن الحرب . وتذهب لتنقله إلى زميلاتها فى الداخل ، ثم تعود متسللة لتصل برأسها الصغير من باب الكافيتيريا وهى تسألنى : « وإيه كمان ؟ » .

« بوب » :

الفتى

الإنجليزى الوسيم الذى يعمل فى مكتب الإستقبال . متحمس جداً لإسرائيل . . يتصور أنها عملاق حرائى لا يمكن دحره ويصرح بفخر بأن أخته متزوجة من إسرائيلى . « بوب » يقرأ الصحف الإنجليزية بعين واحدة . . لا يرى إلا الأخبار التى فى صالح إسرائيل . ولا يصدق منها إلا دعايات إسرائيل معلوماته عن الشرق الأوسط غريبة جداً : قناة السويس فى نظره حفرها الإنجليز فى « أرض دولية » منذ « ٣٥ » سنة ، وكان المصريون « يستأجرونها » منهم حتى عام ١٩٥٦ حين « استولى عليها » جمال عبد الناصر ! ! . . معلوماته تقول أن اليهود كانوا يعيشون فى فلسطين طول عمرهم ويحكمونها طول عمرهم ، وأن كل المشكلة بين العرب وبينهم أن اليهود أرادوا . فقط . تغيير إسم دولتهم من « فلسطين » إلى « إسرائيل » عام ١٩٤٨ فثار العرب وهاجموا وحاربوهم !! . . ليس لديه أى فكرة على الإطلاق عن الفلسطينيين أو عن الشعب الفلسطينى ، ولم يسمع أن هناك لاجئين يعيشون فى خيام مطرودين من ديارهم ووطنهم منذ عام ١٩٤٨ .

« بوب » معذور . . عمره ١٨ سنة . ولد سنة ١٩٥٥ وكبر ونشأ وتربى ورضع وشرب وتغذى على الدعايات الإسرائيلية . ثم كان تزوجت أخته من إسرائيلى فازدادت المسألة فى نظره تأكيداً ، وازداد تعاطفاً مع

إسرائيل . . لذا كان المناقش المجادل المقاوح كثيراً فى الأيام الأولى من الحرب . واستلمته البنات المصريات — لأنه قريب من أعمارهن — وهكن بدنه حواراً ومناقشة وجدلا ، ثم مسحرة وتريقة وتهزيئاً وتخفى « سوسن » وراء ظهرها نسخة من جريدة « جرديان » — أكثر الصحف الإنجليزية اعتدالا أو حياداً فى تناول موضوع حرب الشرق الأوسط — ثم تسأله فى براءة وسذاجة

— بوب . . إنت تعرف تقرا إنجليزى ؟

فيرد « بوب » مندهشاً :

— طبعاً .

فتبرز « سوسن » الصحيفة من وراء ظهرها تكاد تضعها فى عينيه وهى تشير له على أجزاء معينة فى الأخبار المنشورة فيها عن الحرب .

— أمال ما قريتش الأخبار دى ليه ؟!

لكن

« جيم »

رجل الأمن فى مصر « هيثرو » ، الذى يقترب من الأربعين ، قطعاً معلوماته عن مشكلة إسرائيل أكثر ، على الأقل بحكم عمره ، ثم بحكم أنه قضى جزءاً من خدمته العسكرية فى الجيش البريطانى فى قناة السويس ، وجزءاً آخر كحارس خاص لأمراء الخليج فى أبو ظبى والبحرين والشارقة . . « جيم » وجهة نظره مختلفة : سيناء أرض صحراوية جرداء لا تستفيد مصر منها شيئاً . فماذا لا تتركها لإسرائيل تعمرها وتزرعها وترعاها ، وتعطى جزءاً منها للفلسطينيين لكى يعيشوا فيه . فتحل بذلك المشكلة . بدلا من هذه الحروب التى لا تنتهى بين العرب وإسرائيل ، والتى تهدد بنشوب حرب مواجهة عالمية بين القوتين العظميين فى العالم . روسيا وأمريكا ! !

نفس الرأى تقريباً سمعته من مستر « بتشورتشيك » المدير المساعد الألمانى للفندق . كلف خاطره وترك مكتبه وجاء لغاية عندى ليسألنى :

ـ لماذا تحاربون إسرائيل ؟

ـ لنسترد أرضنا التى استولت عليها عنوة عام ١٩٦٧ .

ـ تستردونها لماذا ؟ ! . . ألم « تحصل عليها » إسرائيل فى « حرب عادلة » سنة ١٩٦٧ ؟ !

ـ يعنى إيه « حرب عادلة » ؟ ! لقد احتلت ألمانيا فرنسا ، مثلا ، خلال الحرب العظمى الماضية ، فهل تصبح فرنسا ملكاً لألمانيا لأنها احتلتها لفترة خلال سنوات الحرب ؟ ! . . هل تستطيع ألمانيا أن تغير إسم فرنسا وتلغى وجودها كدولة وتلغى وجود الشعب الفرنسى وتطرده خارج فرنسا . كما فعلت إسرائيل فى فلسطين ومع الشعب الفلسطينى ؟ !

ويرد مستر « بتشورتشيك » فى بساطة عجيبة .

ولكن الأمر يختلف . . فرنسا هى فرنسا . .

ياسلام . . وفلسطين هى فلسطين . . ولن تختفى من الوجود لمجرد أن يريد ذلك عدد من اليهود المستوردين من كل دول أوروبا ومضروبين بالخلاط لكى يصبحوا شيئاً جديداً إسمه إسرائيل !

ـ أنتم تكرهون اليهود . المسألة إذن فيها عنصرية . .

وأقول له وأنا لا أستطيع أن أخفى دهشتى :

مستر « بتشورتشيك » . . غريب جداً أنك أنت بالذات ، وأنت ألمانى الأصل . لدى تتكلم عن كراهية اليهود وعن العنصرية . . لم نكن نحن فيما أتذكر الذين اخترعنا غرف الغاز لنعدم فيها اليهود ، إنما الذى فعل ذلك هو أنتم : الألمان . . إنكم حتى لم تعدموهم بالرصاص ، لم تشنقوهم بالمشنقة ، ولم تصعقوهم بالكرسى الكهربائى . يعنى لم تقتلوهم « قتلا سهلا » أو « قتلا رحيماً » إذا استطعنا استعمال هذا التعبير . لكنكم اخترعتم غرف الغاز إحتقاراً لهم ولكى تقتلوهم كالفئران

بعد تعذيب شديد ومعاناة شديدة . لقد أردتم أن تعذبوهم بشدة وتنكلوا بهم قبل أن تقتلوهم . ثم تأتى أنت بالذات لتقول لى إن العرب يكرهون اليهود . . نعم . نحن نكرههم . ومن فى العالم لا يكرههم ؟ !

وبعدين ؟

الأيام

بتجرى وحرب مستمرة . . والأخبار التى تصلنا عن الحرب فى مجموعها لا تسر فكلها تصل عن طريق الصحف الإنجليزية الموالية بشدة — فى أغلبها . ما عدا « تايمز » و« جارديان » — لإسرائيل . لكننا عودنا أنفسنا على أى حال أن نقرأ الأخبار بعد أن نضعها فى معادلة رياضية بسيطة الأخبار الكويسة التى لصالح مصر نضربها × ١٠ . والأخبار التى فى صالح إسرائيل نقسمها ÷ ١٠ لكى تكون النتيجة فى النهاية هى الأخبار الصحيحة أو الموقف الصحيح . . لكن . مع ذلك . لا بد من العودة إلى مصر بأى ثمن . .

« بيسة » النشيطة . صاحبة همة وجلالة لمشاكل تحررت وذهبت وحدها إلى مطار « هيثرو » وعادت تحمل إلينا البشرى : شركة مصر للطيران عندها الحل . طائراتها تطير من لندن ٣ مرات فى الأسبوع إلى طرابلس أو بنغازى فى ليبيا . تأخذ المصريين إلى ليبيا . ثم تنقلهم من هناك إلى القاهرة — على حسابها — بأوتوبيسات خاصة على الطريق الصحراوى الواصل بين مصر وليبيا . .

الحمد لله . جاء الفرج . . وآهو ليبيا أحسن وأرحم من حسنا هنا . على الأقل تبقى قريبين من مصر . وإن شاء الله بعد كده نروح لغاية القاهرة ماشيين .

وذهبت البنات إلى المطار وحجزن للعودة إلى مصر على أول طائرة ممكنة . واشتغلت أنا يوماً واحداً ثم ذهبت بعدهن لأكتشف أن هذا

اليوم الواحد الذى تأخرته قد تسبب فى تأخير عودتى إلى الوطن أسبوعين كاملين . فإن ٦ طائرات بعد طائرة البنات قد تم حجزها عن آخرها.

على العموم . إن وجودى هنا على أى حال مفيد لاستكمال الصورة التى بدأتها عن كيف يرى الناس فى أوروبا حربنا من وجهة نظرهم . وما دمت قد أطمأننت على أن طريق العودة إلى مصر قد أصبح مفتوحاً بصورة ما . فلا بأس من أن أتأخر هنا فترة أخرى

« إنتم

محايدين ؟ !

تروحوا مصر إزاى فى الظروف دى وفيه حرب هناك ؟ ! . . حد يسيب الأمان هنا فى إنجلترا ويروح للحرب برجليه فى مصر ؟ ! . خليكم هنا أأمن لغاية ما تنتهى الحرب وبعدين روّحوا على مهلكم . وآديكم تشتغلوا وتكسبوا فلوس كويسة وبسيوطين »

هكذا كانت وجهة نظر أصدقائى وزملائى الإنجليز لكن كان الرد المصرى دائماً . وذلك ما كان يسعدنى أنا أيضاً أن أسمعه من بنات العشرين اللاتى لم أكن أتصور للحظة واحدة قبل الحرب أن يكون بعقل بداخلهن هذا الحماس الدافق والحب الكبير للبلد . مصر . . كان الرد المصرى دائماً :

ـ أبداً . هناك بلدنا وأرضنا . هناك أهلنا وأخواتنا وأصحابنا وحبايبنا . إشمعنى هم يحاربوا واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعرضوا للخطر واحنا لأ . . إشمعنى هم يتعبوا واحنا نقعد هنا مستريحين . . إحنا مسلمين ومؤمنين بأن اللى ليه نصيب فيه لازم نشوفه مهما كنا بعيد أو قريبين . . نرجع بلدنا واللى يسرى على كل اللى هناك يسرى علينا ، واللى يشوفوه هم لازم إحنا كمان نشوفه . .

أدركنا

قيمة

أن يصل إلينا صوت راديو القاهرة فى غربتنا هذه فى إنجلترا . . لم يكن سهلا أن نستطيع الحصول على صوت مصر من خلال الراديو . . أحتنا « بيسة » تفرغت أيام الحرب للمرابطة بجوار الراديو رابطة بجاية بالمؤشر تتاعه حتى اصطادت أخيراً إذاعة الجزائر ، فثبتت المؤشر عليها ، وأصبحت « بيسة » هى « مراسلتنا الإذاعية » فى راديو الجزائر : تسمع الأخبار منه ، ثم تبحث حرى لكى تبلغها لنا . وتعود إلى « موقعها » بجوار الراديو من جديد . . التليفزيون الإنجليزى وإذاعة لندن الإنجليزية وصحف إنجلترا كلها أصبحت أبواق دعاية لإسرائيل التحيز لإسرائيل يبدو واضحاً جداً فى كلامها عن الحرب . حتى أن التليفزيون الإنجليزى يسمى العرب فى كلامه الأعداء ؟ ؟

فى الوقت الذى استطعنا فيه فى « جبهة المصرية الصغيرة » التى فتحناها فى الكافيتيريا ، وبالمناقشة وبالحوار الهادئ أحياناً ، المتحمس العنيف غالباً ، استطعنا أن نستميل إلى وجهة النظر العربية أغلب الآراء التى كانت ضدنا فى الأيام الأولى للحرب . « طيب لما إنتم الحق فى جانبكم بالشكل ده ، إحنا ما سمعناش الكلام ده قبل كده ليه ؟ مش بتقولوه ليه ؟ » . . « نسمعوه منين ونقوله فين ؟ . . فى الـ « دايلى ميرور » والا فى الـ « أوبزيرفر » والا فى الـ « إيفننج ستندارد » والا فى الـ « B.B.C » وإذاعة لندن التى لا تكف عن مهاجمتنا سواء فى وقت الحرب أو وقت السلم ؟ » « على أى حال لازم تلاقوا طريقة توصلوا بيها وجهة نظركم للرأى العام فى إنجلترا وفى العالم كله » « حاضر . نفكر فى طريقة » . .

(١٨)

□ بلياردو . . □

أو :

□ بين الحب والحرب . . □

لم
تستطع

الصحف الإنجليزية أن تستمر طويلا فى تجاهل الحقائق . لم تستطع أن تنكر أن المصريين قد « أزالوا » خط بارليف من الوجود وجعلوه ذكرى غير سعيدة للإسرائيليين . خط بارليف الذى كان الإسرائيليون يقولون إنه أقوى من خط ماجينو وخط سيجفريد معاً . « نفخه » المصريون فى ٦ ساعات . . هجموا فى الثانية ظهراً ، وباتوا ليلتهم الأولى فى سيناء على أنقاض خط بارليف الشهير الذى كان الإسرائيليون يتوهمون أنه « حائط » ضد هجوم المصريين ، فباتوا هم الآخرون ليلة ٦ ـ ٧ أكتوبر يبكون على « حائط مبكاهم » الجديد .

ولم تعد الصحف الإنجليزية تذكر « أرقام » خسائر اليهود ولا المصريين . . وعلى اعتبار أن « نفى النفى إثبات » ، وحين تتجاهل الصحف الإنجليزية شيئاً ما كلية فإن ذلك معناه أن هذا الـ « شىء ما » هو لصالح العرب ، ولو كان فيه سنتيمتر واحد لصالح إسرائيل لكانت الصحف

الإنجليزية هللت له وكبرت وهتفت بحياة القائد المنتصر « موشيه ديان » .. لكن عرض الموقف بسلبية هكذا يدل على أنه إيجابي جداً لصالح المصريين ولصالح العرب . .

وجاء الوقت الذي أستطيع فيه — مؤيداً من صحافة الإنجليز نفسها — أن أنقم زملائي الإنجليز في الفندق « توني » الـ « بورتر » و « أنتوني » السائق و « بوب » فتى الاستقبال الوسيم و « ريكمار » الـ « بورتر » . جاء الوقت الذي أستطيع فيه أن أنقمهم حجراً في أفواههم . فلوحت لهم بصحفهم وطلبت منهم أن يقرأوها جيداً إذا كانوا يعرفون اللغة الإنجليزية . فرصة تتريق عليهم وأمسحهم وأدوس بدنهم وأشبعهم سخرية وتهزيئاً . . وأذكرهم بأنهم جميعهم « عيال » — إذ أن أكبرهم لم يتعد ٢٤ سنة — كلهم « أطفال » لم يعرفوا الحرب ولا جربوا مرارتها ولا كانوا موجودين ولا ولدوا بعد حين كانت طائرات الألمان خلال الحرب العظمى الثانية تدك لندن عاصمة بريطانيا « العظمى » وتطحنها كل ليلة بالقنابل ، وحين كان آباؤهم وأمهاتهم « يعيشون » في الخنادق والمخابئ ويقضون لياليهم في أنفاق محطات الـ « أندرجراوند » تحت الأرض بعد أن حرمهم الألمان طعم النوم . لكننا نحن في مصر نحارب ، ونحارب معركة شريفة في سبيل استرداد أرضنا التي اغتصبها الإسرائيليون . .

وأخذتني

العصبية

وأنا أناقش وأجادل في عنف وشراسة باللغة الإنجليزية ثلاثة نعيم الأصلية هي الإنجليزية — حتى صاب « بوب » (هلنقة) لتتكلم مهلوه وليتهمو مني سر عصبي وثورتي حتى أن صوتي قد ارتفع في أرجاء الفندق في الخامسة صباحاً هكذا . ويسألني أين هي عدالة المعركة التي نحاربها إذا كنا نحاول طرد دولة إسرائيل من « أرضها » ! !

. البيه الإنجليزى « بوب » لا يعلم شيئاً عن فلسطين إلا أنها دولة اليهود ونحن العرب الذين نحاول طردهم منها . فلما شرحت له أن إسرائيل لم تقم كدولة إلا منذ خمسة وعشرين عاماً سنة ١٩٤٨ . قال لى فى دهشة أن معلوماته تقول إنها موجودة فى هذا المكان منذ آلاف السنين . لكنها فقط أعلنت كدولة سنة ١٩٤٨ . وهذا هو الشىء الذى يعرفه منذ بدأ يسمع عن مشكلة إسرائيل مع العرب . فلما كذبت له هذا الزعم وهذا التصور والافتراء وقلت له إن اليهود لم يعيشوا كشعب فى فلسطين إلا نحو أربعين سنة فقط . وكان ذلك منذ عدة آلاف من السنين . قال بمرود : « وماله ؟ أليس ذلك كافياً لتكون دولتهم هناك ؟ » !! . قلت له إن إنجلترا احتلت مصر ٧٠ سنة كاملة . فهل معنى ذلك أن نلغى وجود مصر ونعتبرها إنجلترا ؟ . وأن فرنسا احتلت الجزائر ١٣٠ سنة . فهل ألغت وجود الجزائر ؟! . وأن العرب أنفسهم قد احتلوا أسبانيا — الدولة الأوروبية — نحو ٨٠٠ سنة . فهل تصبح أسبانيا قطعة من البلاد العربية وتلغى إسمها ووجودها كدولة أوروبية ؟ ! فقال « بوب » متعجباً إن هذه هى أول مرة فى حياته يسمع فيها وجهة نظر عربية . فلماذا لا يقول العرب هذا الكلام لكى يسمعه الإنجليز . على الأقل الإنجليز الشبان الذين لا يعرفون شيئاً عن أبعاد المشكلة إلا ما يذيعه راديو لندن وتليفزيون لندن وصحافة لندن ، وكله طبعاً من وجهة النظر الإسرائيلية وحدها ؟ » . قلت له : « وأين يستطيع العرب أن يقدموا وجهة نظرهم هذه ؟ فى تليفزيون لندن أو صحافة لندن أو راديو لندن ، وجميعها تدين بالولاء لليهود ولإسرائيل ؟ ! هل ينشئ العرب لأنفسهم محطة تليفزيون خاصة ومحطة إذاعة خاصة فى إنجلترا وفى كل دولة أوروبية ؟! هل يصدرون لأنفسهم صحفاً خاصة فى إنجلترا وأوروبا ؟! » فأجاب « بوب » فى دهشة شديدة : « ليه لأ ؟ لا أتصور أن ذلك سوف

يكفكم كثيراً إلى الحد الذى يجعلكم تضحون بما سوف تكسبونه من عرض وجهة نظركم فى المشكلة على الرأى العام الأوروبى ؟ ! » .
صحيح . ليه لأ ؟ ! .

وجع الأولاد

والبنات المصريون إلى حيث تدور بينا هذه المناقشة وما أن يعرفوا الأخبار التى جاءت فى الصحف الإنجليزية حتى يتقافزون فرحاً . وتنطط « بيسة » طالبة التجارة فى مكانها من السعادة العامرة ، ويدعو « ماجد » تلميذ الثانوى ٣ بنات من حيه ليشترى نسخة من الـ « دايلى إكسبريس » لن يستطيع أن يقرأ فيها جملة واحدة باللغة الإنجليزية ، لكن يكفى أنها تقول حتى ولو بلغة الصينية — أن العرب حتى الآن منتصرون وتنفخ « سوسن » صاحكه بطريقتها المعهودة التى تشبه حنفية باطت حلمتها وفسد محبسها وساحت على نفسها . ولا يستطيع أحد إيقافها عن الضحك إلا حين « تكتشف » هى وحدها أنها نسيت السبب الذى كانت تضحك من أجله !! .
يارب : كمل فرحتنا ولا تشمت فينا ولاد الـ إنجليز ! !

التوقيت الشتوى

فى إنجلترا بدأ الليلة ، وعادوا إلى توقيت جرينتش الأصلى . فأخروا الساعة ساعة .. الغريب فى هذا الأمر شيئان : أنهم لا يؤخرون الساعة عند منتصف الليل مثلما نفعل نحن فى مصر ، لكنهم يؤخرونها فى الثانية صباحاً لتصبح الواحدة صباحاً .. الشىء الثانى أنهم لا يبدأون التوقيت الشتوى فى أول يوم فى الشهر أو فى ١٥ منه مثلا ، لكنهم

يبدأونه ليلة ٢٨ — ٢٩ فى الشهر . ليه ٢٨ مش ٢٧ أو ٢٥ ؟ مش فاهم .. ويبدأون التوقيت الصيفى يوم ١٠ مارس . ليه مش أول الشهر ؟ مش فاهم . وتلاقيهم ولا هم كمان فاهمين . لكن للإنجليز عيا يعشقون مذاهب ! ! .

فى أيام

أجازاتى التى أبيت فيها فى بيتى ولا أذهب إلى عملى فى الصدق لا أكاد أفتح عينى فى الصباح حتى أهرع إلى مكتبة الصاحبة لأشترى صحف الصباح . حتى قبل أن أغسل وجهى أو أتشطف . وما زالت هذه هى وجهة نظرى فى صحافة إنجلترا . ما دامت لا تجد ما تطنطن به عن انتصارات إسرائيل . إذن فالموقف فى صحافتنا جداً وإسرائيل مصروبة على دماغها . حتى حين تكذب صحافة إنجلترا وتدعى . يبدو كذبها وادعاؤها واضحاً مكشوفاً . وتناقض اليوم ما قالته أمس . اليوم أيضاً لم تستطع أن تقول شيئاً عن أى تقدم لإسرائيل فى ميدان المعركة ، بينما لم تنكر أن الضفة الشرقية للقناة قد أصبحت الآن بأكملها تحت السيطرة المصرية . وقالت أن الطائرات الإسرائيلية تضرب القوات المصرية المتقدمة فى سيناء بقنابل النابالم المحرمة دوليا .. وأن ٤٠٠ دبابة مصرية محاصرة الآن فى سيناء ، دون أن تذكر شيئاً عن ٦٠٠ دبابة مصرية الأخرى التى قالت عنها بالأمس أن ١٠٠٠ دبابة مصرية قد اقتحمت سيناء !!.. وقالت الـ « إيفيننج نيوز » إن القوات المسلحة المصرية قد أسرت عدداً كبيراً من الجنود الإسرائيليين .. وقالت أيضاً أن الطيران الإسرائيلى متفوق . معنى ذلك أنه « بالكتير » هو السلاح الوحيد عند إسرائيل الذى يلعب دوراً الآن.. وقالت أنه فى خلال الـ ٢٤ ساعة الأخيرة قد ألقى على القوات المصرية كمية من القنابل تفوق كل ما أسقطه من القنابل

خلال حرب يونيو ٦٧ كلها !!

ولم تنشر صحيفة « نيوز أوف ذى وورلد » خبر الحرب نفسها إلا فى ثلث العمود الأخير من صفحتها الأولى . فى حين « تصدرت » الصفحة الأولى أخبار أخرى هامة جداً من نوع الفتاة الزنجية التى سوف يتزوجها الممثل الإنجليزى « بيتر فينش » . والعروس التى هربت مع زوج أخت عريسها بعد ٤ أيام من الزفاف !! وكان من رأى « نيوز أوف ذى وورلد » أن . « للدبابات المصرية قد (احتطفت) قناة السويس من يد الإسرائيليين » !! . . هكذا « إحتطفت » . إحنا اللى يا حرام – إحتطفنا القناة من يد الإسرائيليين !! . وبو . ليكن . إحتطفنا احتطفنا . .

وأذاع راديو الجزائر فى نفس الليلة أن مدينة القنيطرة أهم مدن مرتفعات الجولان السورية قد استردتها القوات السورية المقاتلة فى الجبهة الثانية . .

انصرنا يا رب ولا تشمت فينا أعداءنا ونحن هنا فى الغربة فى وسطهم . . وأسمعنا دائماً أحسن الأخبار عن انتصارات القوات العربية . .

اليوم

صباحاً . .

وقف بيتى . ولم يكن فيه غيرى وغير جارتى المصرية « مى » .. شعرت كأن أحداً صفعنى على قفاى بمرزبة ثقيلة فى ميدان التحرير علناً وأمام كل الناس ! .. كانت « مى » تضع بعض الملابس التى اشترتها من هنا فى حقيبتها . حين اكتشفت أن البنطلون القطيفة الجديد الذى اشترته أمس وكانت سعيدة به جداً . اكتشفت أن عليه ماركة أنه مصنوع فى : إسرائيل !! .. وبسرعة فحصت « مى » كل ملابسها التى اشترتها من لندن ، فاكتشفت أن أغلب ما اشترته مصنوع فى إسرائيل ومكتوب عليه ذلك ! ! .

يا لعظمة وبالروعة ما فعلت « منى » . وما فعلت أنا . وما يفعل كل المصريين الذين يأتون إلى هنا ويصبون أموالهم فى المحلات التجارية التى يملكها يهود !.. وبكت « منى » وصرخت وولولت : لو أصيب أخوها أو قتل فى الحرب الدائرة الآن فسوف تكون هى التى قتلته . . أخوها ضابط مهندس فى القوات البحرية المصرية . نحن إذن الذين ندفع للإسرائيليين لكى يقتلونا . . كل بنس واحد ندفعه هذه المحلات التى تبيع لنا بضائع إسرائيلية أو مصنوعة فى إسرائيل . يساوى رصاصة فى قلب أخى أو أخيك أو ابنك أو زوج أختك أو خطيب ابنتك . . كل شلن تدفعه هذه المحلات كما قالت « جولدا مائير » مرة من قبل . يساوى رصاصة فى صدر عربى مثلى ومثلك .

تصوروا كم دفعنا نحن منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن . ومنذ عام ١٩٦٧ حتى الآن . ومنذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى الآن : اليوم الخامس فى الحرب الآن ؟ ! . ولا تحسبوها بالبنسات ولا بالشلنات . وإنما احسبوها بالدم المصرى . وبالدم العربى ! !

يبدو

أننا

سنكتفى بأن نظل نصرخ صوت عمرنا من جهل الأجانب بوجهات النظر العربية فى موضوع فلسطين وإسرائيل . دون أن نفعل من ناحيتنا شيئاً جاداً لمحاولة تعريفهم بها . وكأننا ننتظر من كل من يريد أن يعرف وجهة نظرنا أن يتفضل ويشرفنا فى مبنى هيئة الإستعلامات بالقاهرة فى مواعيد العمل الرسمية من الثامنة صباحاً إلى ٢ بعد الظهر ، فيما عدا أيام الجمعة والعطلات الرسمية ، ليعرف بنفسه ما يريد ! ! .

مسيو « بتشورتشيك » المدير المساعد الألمانى للفندق جاء الليلة إلى مكتبى ليفتح معى مرة أخرى موضوع الحرب الدائرة الآن بين العرب

وإسرائيل . ويبدى دهشته الشديدة من أن « تتكالب » الدول العربية كلها على « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » . فأقول له : « ومع ذلك فقد استطاعت « الدولة الصغيرة الضعيفة إسرائيل » فى عام ١٩٦٧ أن تهزم ٣ دول عربية مجتمعة . فكيف يمكن أن تتصور إذن أنها « دولة صغيرة ضعيفة » كما تقول أنت وكما تقول هى عن نفسها ؟ ! » . فينعكس منطق مستر « بتشورتشيك » على الفور ليقول : « وسوف تهزمكم هذه المرة أيضاً » !! أقول له أن أمريكا هى التى تحاربنا من وراء قناع إسرائيل . فيقول : « قد تكونون ١٠٠ مليون عربى كما تقولون . لكن الـ ٢ مليون إسرائيلى سوف يهزمونكم . الفرق بينكم وبين إسرائيل ليس فى التسليح فقط إنما فى كيفية استخدام الإمكانيات » . فأقول له إن لدينا مثلا عربياً يقول (الكثرة تغلب الشجاعة) . وقد تكون أنت محمد على كلاى بطل أبطال العالم فى الملاكمة . لكن لو تكاثر عليك ٤ شبان لا يعرفون شيئاً عن الملاكمة . . » وتوقفت قليلا لأبحث عن معنى بالإنجليزية يساوى عبارة « مسحوا بيك الأرض » فلم أجد . فاستطردت « لجعلوا منك سجادة » !! .

وتتسع عينا مستر « بتشورتشيك » من الدهشة لحكاية « سجادة » هذه . ويبدو أنه تصور نفسه فعلا فى هذا الوضع . فتركنى وعاد إلى عمله . وتوقفت مناقشته عند هذا الحد . لكنه توقف مؤقت ؛ قطعاً سيتجدد مع تجدد الأحداث وتطوراتها . .

قلقان . .

قلقان

جداً .. يكاد رأسى أن ينشطر إلى نصفين من القلق الذى هبط علىّ فجأة الليلة فى اليوم الثامن للحرب — من أجل ابنتى « نهلة » التى تركتها ورائى فى مصر قبل حضورى إلى هنا منذ عدة شهور . . زهرة صغيرة . وردة مفتحة ، ربيتها وكبرتها ورأيتها أمام عينىّ تنمو وتشب

وتكبر وتصبح آنسة صغيرة حسناء عندى الآن إحساس عامر بأنى لن أراها مرة أخرى .. لا يهمنى لو كنت أنا الذى سوف يحدث لى شىء، لكن الخواطر والهواجس الشريرة تملؤنى وتفعم قلبى حزناً وسواداً وانقباضاً وتشاؤماً من أجلها هى .. أشعر، اليوم فقط، كأن مكروها قد حل بها نتيجة للحرب الدائرة الآن فى وطنى وأنا هنا بعيد عنه، وعنها، بآلاف الأميال لا أدرى شيئاً عما يدور هناك . كانت دائماً فى حصنى فى قلبى وبين حنينى . وطالما بعدت عنها فى رحلات صحفية سابقة، لكننى لم أقلق عليها من قبل كما قلقت عليها الآن . الليلة . .

إستر يا رب . فهى كل حياتى . وهى الإبتسامة الوحيدة على شفتى الدنيا أمامى .. وهى كل ما بقى لى فى هذه الدنيا . بدونها وبعيداً عنها أشعر أننى أنا اليتيم . هى ابنتى وصديقتى وأمى وحبيبتى . وهى كل شىء فى حياتى وكل آمال الدنيا بالنسبة إلىّ . .

يا رب إحميها واحرسها حتى أعود إليها . .

أخبار

الحرب

صباح اليوم : الصحف الإنجليزية كل يوم تردد نفس الكلام القديم عن سقوط الجبهة السورية وخروجها من القتال ، لكنها لا تسقط ولا تخرج من القتال .. وكل يوم تقول أن القوات الإسرائيلية فى طريقها إلى دمشق ، لكنها لا تصل أبداً إلى دمشق . .

على العموم ، أصبحت أقرأ الصحف الإنجليزية بلا اهتمام كأن ما تقوله لا يعنينى ، لأنه غير دقيق وغير صحيح ؟ ؟

وزنت

نفسى

اليوم اكتشفت أنى « حسيت » ١٠ كيلوجرامات كاملة منذ وصولى إلى لندن من نحو ٤ شهور الأكل الإنجليزى الخفيف «العينات»+ العمل المرهق جداً ذهنياً وبدنياً + التوتر العصبى الشديد الذى تعانيه سبب الحرب الدائرة فى لندن + مجىء رمضان بأكمله علينا ونحن هنا .

قلبى على البنات « سوسن » و « بيسة » و « منى » .. فهن « عصافير » أصلا ومش ناقصين . ولو نقصت الواحدة منهن ١٥ درهماً لأصيبت بهبوط ووقعت من طولها . .

البنات

المصريات

هنا فى الفندق: «سوسن» و «سلمى» و « بيسة» و « نورا » و « منى »، يتسمرن ويسألنن إذا حاول أحد من زملائنا الإنجليز العاملين فى الفندق أو أحد رجال أمن مطار « هيثرو » الذين يقيمون هنا . أن يمس مصرى قريب أو بعيد فى موضوع الحرب . تفتح فيه البنات كالأسود والضباع بلغتهن الإنجليزية الركيكة فيفزعنه ويوعنه . فيهرب من مناقشتهن .. حتى كف الإنجليز فى النهاية عن مناقشتنا فى موضوع الحرب ، أو على الأقل أصبحوا يسألوننا عن أخبار الحرب بلطف وبأدب وبتعاطف . .

تصورت لو أن الدولة فى مصر عندنا قد قررت على كل طالب مصرى خارج من مصر فى أجازة الصيف أن يقرأ كتاباً معيناً أو كتابين باللغة الإنجليزية — أو حتى العربية — يشمل كل الموضوعات الممكن أن يفتحها معه صديق أجنبى ويناقشه فيها . إذا كان الطالب يمتحن فى ١٠ أو ١٥ مادة وفى ١٠٠ كتاب لكى «مجرد ينتقل» من سنة دراسية إلى سنة دراسية

أعلى . أفلا يحق لنا أن نمنحه فى كتاب واحد فقط إذا أراد أن يخرج إلى خارج مصر سفيراً وممثلا لها سوف يلتقى هنا بالشعب الحقيقى الذى يريد أن يعرف وليس لديه مانع من أن يعرف؟ ! . . لماذا هذه بعدوماتين السطحية المحدودة غير الدقيقة وغير الواضحة حتى عن أنفسهم — فى أغلب الأحيان . لكن بحماسهم المتدفق كى يدفعوا الإخبار أو الأحاديث إلى الهرب عن المناقشة . . فكيف أو استطعنا أن نستفيد من وجود المصريين فى الخارج لكسب أصدقاء جدد متفهمين مشاكلنا وقضايانا . أو على الأقل لنجعلهم يعرفون عنها الصورة السليمة الصحيحة الصادقة .

مجرد رأى ، فهل من متعظ ؟ ! .

وجاء

يوم

عودة البلاد إلى مصر عن طريق ليبيا . وهنا كلمة لابد وأن تقال ، خصوصاً فى « ظروف حرب » كهذه . . فإذا كنت قد قرأت وأنا هنا فى لندن بأنه قد صدر فى مصر قرار جمهورى بوجوب تسهيل عودة المصريين الموجودين فى الخارج بأى شكل . حتى دون أن يدفعوا ثمن تذاكر عودتهم على الطائرات المصرية . . وإذا كانت مؤسسة مصر للطيران قد كلفت نفسها عبء نقل تذاكر المصريين الذين كانت لديهم تذاكر عودة إلى مصر على شركات طيران أخرى . وإذا كانت قد كلفت نفسها نفقات تسيير أوتوبيسات واستئجار سفن وبواخر تحمل المصريين العائدين من أوروبا عن طريق مطارات ليبيا . فلا يمكن أن تكون الصورة فى مصر للطيران فى القاهرة هكذا ، ثم تكون الصورة مختلفة تماماً فى مصر للطيران فى لندن ، ويتحول مكتب مصر للطيران فى مطار لندن إلى دكان « عم عبده الفرارجى » لصاحبه الحاج عبد الشكور — رجل مصر للطيران هنا — الذى حول مكتب الشركة

هذه إلى عزة خاصة يذل فيها من يشاء ويعز من يشاء ويمنح الرضا السامى الكريم لمن يشاء ويمنعه عن من يشاء. ولا يمكن أبداً أن أتصور أن الولد المصرى فى الجامعة الممتلئ بالحماس للعودة إلى مصر فى ظروف الحرب هذه . لا يمكن أن أتصور أن أصفعه فى مطار لندن بهذه الصورة ، حين يرى شنط وحقائب معالى « الوزير السابق » تدخل إلى الطائرة المصرية دون أن توزن ودون أن تحصل عنها قيمة الزيادة فى الوزن . بينما يعصبح الحاج عبد الشكور مع « الطلبة » فى عدد من الكيلوجرامات الزائدة فى وزن حقائبهم . ويصر على أن « يركبوها » وراءهم على أرض مطار لندن إذا أرادوا أن يركبوا طائرته الملاكى التى تعمل حسابه . ثم يتحول الأمر إلى مساومة . ومساومة غير منطقية ولا عادلة . حين يرى الطالب أن زميلا له معه ١٥ كيلو جراماً زيادة فى الوزن يدفع عنها ٣ جنيهات . بينما آخر معه ١٠ كيلو جرامات فقط يزعمه الحاج عبد الشكور على أن يدفع عنها ١٥ جنيهاً وإلا ترك حقائبه على أرض المطار أو لا يركب هو نفسه الطائرة والتى يتفلق يتفلق و « ابقوا روحوا اشتكوا فى مصر . . أنا عارف كويس أنى أنا بعمل إيه » ! ! . كل ذلك يحدث ومكاتب شركة « العال » الإسرائيلية فى مطار لندن فى مواجهة مكتب مصر للطيران مباشرة على بعد ٣ أمتار فقط هى عرض الممر بيننا وبينهم . ويقف الإسرائيليون العائدون إلى إسرائيل على طائرات « العال » يضحكون على المعاملة التى يعاملها الحاج عبد الشكور للمصريين العائدين إلى مصر على طائرات « عبد الشكور للطيران » ! !

أعيش
الآن

أيامى الأخيرة فى لندن . سوف تظل هذه الرحلة كلها تحيا فى وجدانى وقتاً طويلا . . فهذه هى المرة الأولى التى أتعامل فيها مع

أوروبا من القاع . . وأعاشر وأخالط الناس العاديين البسطاء ، الصريحين الواضحين في صداقتهم وفي عداوتهم إكتسبت في هذه الرحلة أشياء كثيرة تتفاعل في داخلي الآن . وأتصور أن كل طالب مصري يجيء إلى أوروبا في أجازة الصيف يكتسب هذا النوع من الخبرات والإنفعالات

ورأيت أمام عيني قلبين مصريين شابين يتفتحان لحب رقيق نظيف كنت أنا نفسي سعيداً به جداً . وأتصور أيضاً أن هذه الرحلة سوف تظل حية في ذاكرة هذين القلبين إلى الأبد . وسوف تظل ذكرياتهما - وذكرياتهما — رداً دائماً لهما ودليلا على أن الحب ممكن أن يوجد وينمو في أي وقت وأي زمان وأي مكان . حتى لو فرقت بينهما الأيام بعد ذلك . كما أتوقع من الآن — نظراً للإختلاف الشديد في ظروفهما الإجتماعية !!

منهم لله . فكروني بالذي مضى ! ! .

أخبار

الحرب

اختفت من الصفحات الأولى في معظم الصحف الإنجليزية بعد عشرة أيام من بدئها ، لكنها ظلت تحتل مكاناً بارزاً في صفحاتها الداخلية .

لكن أخبار الحرب عادت من جديد إلى الصفحات الأولى في كل الصحف صباح اليوم ، بسبب الخطاب الذي ألقاه الرئيس « أنور السادات » أمس في مجلس الشعب المصري وقال فيه أنه في الوقت الذي يفتح فيه الباب للسلام ، فإن العين بالعين والسن بالسن والموت بالموت ، وأن صواريخنا الـ (أرض أرض) موجهة الآن إلى مدن إسرائيل . وأن إسرائيل لو أغارت علينا في العمق فسوف نرد عليها فوراً بضرب مدنها نحن أيضاً . .

واضح جداً من طريقة عرض الصحف الإنجليزية لخطاب الرئيس السادات أنهم مرعوبون جداً منه . . والحمد لله على كده ، واللهم زدهم رعباً وهلعاً . .

من أخبار الحرب اليوم أيضاً أن القوات العراقية قد انضمت إلى القوات السورية في جبهتها فدعمتها وجعلتها تستر بعض المواقع من القوات الإسرائيلية وتقول الصحف الإنجليزية إن الرئيس السادات أمر بأن تعلن نتائج الحرب كما هي أولا بأول ، صادقة تماماً بلا أي تغيير أو تبديل ، الأخبار السيئة والأخبار الطيبة ، بحذافيرها ومرة . وفي الصفحات الأولى للصحف الإنجليزية اليوم كذلك تحليل عسكري عن صواريخ المصرية « الطائر » و« القاهر »

وفي المساء سمعت من « توني » البرلمان الشاب المؤيد والمحمس جداً للعرب في حربهم ضد إسرائيل ، سمعت منه أن مصر قد أطلقت اليوم فعلا صواريخها على القوات والأهداف الإسرائيلية . . ياللا . خليها تطلع وتكركب وزي ما يحصل يحصل . ولو أن بيتي في القاهرة سوف يكون أول بيت يروح في رجليه محطة السكة الحديد رنسية في ميدان رمسيس لأنه يجاورها مباشرة ! !

باقي

لي

أيام قليلة في لندن قبل أن أعود إلى مصر الأصدقاء الإنجليز هنا يحاولون إقناعي بالبقاء في إنجلترا حتى تنتهي الحرب ، ومندهشون جداً لإصراري على العودة ، لكن مكاني هناك في بلدي مهما كانت الظروف . فأنا مصري ولست إنجليزياً ، ولو كان الله قد أراد أن يخلقني إنجليزياً لفعل ، لكن بما أنني ولدت مصرياً فإن مكاني هناك في مصر حتى لو كانت هي الجحيم المشتعل . . يكفي أن البنات اللاتي تبلغ الواحدة منهن نصف عمري قد سبقني في العودة وسافرن إلى مصر منذ أسبوع كامل ، فهل هن أكثر حباً لمصر مني أنا ؟! . لا أظن ، أو على الأقل فنحن جميعاً نحب مصر بنفس القدر . هي بلدنا ووطننا وأرضنا وأمنا ، كبرنا فيها وفي

شوارعها وحواريها . ونعلمنا فى مدارسها ولحم أكتافنا من خيرها . ويجب أن نكون هناك جميعاً الآن : إذا انتصرنا فرحنا كلنا معاً ، وإذا عرفنا نغرق كلنا معاً . . مصر : بلدنا . . بلدنا . . بلدنا . وذلك يكفى . .

جاء

الليلة

« كيرون Keiron » : شاب إنجليزى صغير عمره ١٨ سنة . . جاء ليتسلم عمله فى الفندق معى كـ « بورتر » جديد ليحل محلى بعد سفرى بعد أيام قليلة . المطلوب منى أن أقوم بتدريب « كيرون » وتعريفه بالعمل تعريفاً كاملا خلال هذه الأيام القليلة . . هأنذا أرد الدين « ريتشارد برايان » و « تونى مورجن » دربانى وعلمنى ، وأنا درست « ريكمار » و « كيرون » . والعجلة تدور . .

قرأت

اليوم

خبراً نشرته الصحف الإنجليزية كلها فى صفحاتها الأولى ، جعلنى أشعر بالزهو كصحفى « نيكولاس توماليس » المراسل الحربى لجريدة الـ « تايمز » الإنجليزية مع القوات الإسرائيلية فى الجبهة السورية : لقى مصرعه أمس بصاروخ سورى إنقض على السيارة التى كان « نيكولاس » يقف إلى جوارها مات « نيكولاس » ونجا كل الذين كانوا « بداخل » السيارة التى نسفها الصاروخ السورى ! !

لم أشعر بالزهو لأن صاروخاً سورياً قتل صحفياً إنجليزياً ، إنما شعرت بالزهو لأن الناس تظن أن حياة الصحفى كلها حفلات كوكتيل وسهرات ونجوم سينما وحسناوات ومرتب مليون جنيه وسيارة شيك ومكتب فاخر بتكييف هواء وتليفونات حمراء وخضراء و « بايب » وقلم حبر شيفرز

أو باركر . لكن ذلك أيضاً هو الجانب الآخر من حياة الباحثين عن المتاعب . ذاهب إلى الحرب ورايح يكتب عن الحرب يعني ربح ميدان قتال مش ميدان العتبة . مش ربح يهرز . وهو رايح يقابل الحرب وجهاً لوجه كما يقابلها أي ضابط وأي جندي محارب . بكل ما فيها من مخاطر وقنابل ورصاص وبارود كأي محارب . ويصاب ويموت ويستشهد وهو يحمل قلمه أو كاميرته كما يصاب ويموت ويستشهد أي محارب آخر يحمل بندقيه أو مدفعاً رشاشاً .

أعرف أن ٤٣٤ صحفياً مصرياً قد استشهدوا في حرب فيتنام حتى نهاية العام الماضي . فلا دمت أعين الجبناء . .

وكأنما

أرادت

لندن أن تودعني وداعاً إنجليزياً . فقد شهدت الليلة ضباباً لم أر مثله في حياتي . يكفي أن تمد ذراعك أمامك حتى تضيع منك في الضباب . ولو فردت الخطوط قليلا لتاهت مني « منى » - جارتي في السكن وزميلتي في العمل في الضباب . . لدرجة أننا وقفنا على محطة لأوتوبيس ولم يرنا السائق ولم يتوقف عند المحطة . لأنه لا هو رأى إشارتنا ولا نحن أشرنا إليه أصلا . لأننا نحن أيضاً لم نره . وإنما سمعنا فقط « صوته » وهو يعبر من أمامنا : كتلة ضباب كبيرة في كتلة ضباب أكبر . . ولم تستوقفه إلا صرخة « منى » بأعلى صوتها . فتوقف على بُعْد قليل من المحطة . لنذهب إلى الفندق متأخرين عن موعدنا نحو ربع ساعة .

أخبار الحرب

على جبهة سيناء فى الصحف الإنجليزية اليوم سيئة جداً . ففى « إيفننج ستاندارد » نشرت صورة لـ « دايان » ووراءه نخيل على اعتبار أنها قد صورت داخل مصر بشكل ما . . وتردد أن القوات الإسرائيلية قد استطاعت فتح ثغرة وسط الخطوط المصرية عبرت منها قناة السويس إلى ضفتها الغربية لتصبح خلف الخطوط المصرية داخل الصحراء الشرقية ، وحتلت مدينتى السويس والإسماعيلية ! !

تبقى كارثة لو كان ذلك صحيحاً واستطاعوا أن يصلوا إلى مصر فى العمق ويحتلوا مدنها تبقى مصيبة من بعدها مصيبة . وتقول لنا « دايلى ميرور » والـ « صن » إن الدبابات الإسرائيلية قد توغلت فى الأرضى المصرية فى طريقها إلى القاهرة . بينما تقول لنا « دايلى ميل » والـ « دايلى إكسبريس » أن مشروعاً للسلام ولإيقاف القتال مطروح للبحث . وأن « كاسيجين » رئيس وزراء روسيا يتدخل لإنهاء الحرب . وربما يستمر وتكون كل هذه الأنباء غير صحيحة كعادة الصحف الإنجليزية المغرضة المؤيدة لإسرائيل على طول الخط .

غريب جداً

أمر مستر « هوبكنز » هذا ، المدير المساعد للفندق . . بالرغم من أنه هو الذى أعطانى الفرصة ووافق على تعيينى فى الفندق لأقوم بكتابة القصة الصحفية التى أريدها ، إلا أنه من بعدها تجاهلنى تماماً ، بل وتعامل معى أحياناً بكبرياء وغطرسة ، ورفض كل طلب طلبته منه بعد ذلك ! ! . لست أدرى لماذا ؛ لكن لعله فهم طريقتى فى العمل —

كصحفى . خطأ . . لعله تصور أنى سوف أظل طول الوقت أجرى فى الفندق ممسكاً بأوراقى وأقلامى وكاميرتى وفلاشى أصور الناس وأعمل معهم أحاديث صحفية . لكى يعرف الزبائن أن هناك صحفى يعمل فى الفندق . بدليل أن كل الناس الذين هنا فى الفندق . مصريين وأجانب . عرفوا من قبل استلامى العمل بحكاية الصحفى المصرى الذى سوف يعمل فى الفندق !

. أو لعله ظن من سكونى الطويل بعد استلامى العمل . أنى خدعته لكى فقط أعمل فى الفندق دون أن « أفعل » شيئاً صحفياً ولا يدرى أنى أراقب طول الوقت وألاحظ طول الوقت . وأكتب فقط « بعض » الوقت . .

مستر « هوبكنز » يجاهلنى اليوم تماماً وهو يعلم أنى لم يبق لى إلا أيام قليلة وأترك العمل فى الفندق عائداً إلى بلادى . حتى لم يجيئ أو يقول لى مجرد صباح الخير . .

ولو أنى مدين له قطعاً . لكن . يتعمق ! ! .

مجرد

أن تصل

صحف الصبح أتراه كل شيء فى يدى مهما كان مهماً . لكى أعرف أخبار الحرب فى وطنى فحتى لو كانت هذه الصحف منحيزة ومعادية وتطلق عساها على المصريين وعلى السوريين — إسم الأعداء ! كأننا نحاربهم هم شخصياً ولا نحارب إسرائيل . إلا أنها على أى حال هى النافذة الوحيدة التى نطل منها على صورة الحرب مهما حاولت أن تدبها سيئة وبشعة بالنسبة إلينا .

أخبار الحرب فى صحف اليوم سيئة للغاية على حد كلام الصحف الإنجليزية فإن القوات الإسرائيلية قد انتهزت فرصة وجود مسافة أو فجوة أو ثغرة بين قوات الجيشين المصريين الثانى والثالث المتقدمين فى سيناء .

عبرت منها قناة السويس على كوبرى أو كبارى أقامتها . ونزلت إلى صحراء السويس والإسماعيلية المصرية ودلك ممكن عملياً فعلا لتحتل مدن القناة ثم تبدأ تشق طريقها إلى القاهرة العاصمة وتصبح على بعد ٤٥ ميلا فقط منها . . وأن معركة مهوله بالدبابات تكاد تشبه معارك ستالينجراد ومعارك كوريا تدور الآن فى الصحراء بين القوات الإسرائيلية « المتقدمه » والقوات المصرية التى « تدافع عن القاهرة » ! !

يارب استر . . فإذا كان الإسرائيليون قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك فعلا فالخطر كل الخطر يتهدد بلادى الآن . وسوف يصبح شكلا . نحن المصريين الموجودين هنا فى لندن أو فى إنجلترا أو فى أوروبا عموماً وحتى جداً أمام وفى وسط الناس الشماتين هنا فيه بلا ضرر واضح . وينبغى أن أعود إلى مصر فوراً حتى ولو سيراً على الأقدام قد لا أستطيع أن أفعل شيئاً . لكننى على أى حال يجب أن أكون هناك وأواجه كل الأخطار التى يواجهها بيتى وأهلى وأسرتى وأصدقائى ووطنى . . ممكن هناك حتى لو كنت سأضار أو سأصاب أو سأقتل فالضرر والموت فى وسط بلدى وفى وسط قومى وأهلى وناسى ولا السلامة والأمان والحياة هنا .

يارب : بلدى . . . . . .

وفى

الصباح

سمعنا أن إطلاق النار سوف يتوقف فى الساعة السادسة من مساء اليوم . وفى نشرة أخبار التليفزيون سمعنا أن إطلاق النار قد توقف فعلا الشيء الوحيد الذى سوف يترتب على وقف إطلاق النار بالنسبة لى أنا شخصياً هو فتح مطار القاهرة . فأعود من لندن إلى القاهرة مباشرة دون الإحتياج إلى مشوار العودة عن طريق مطارات ليبيا .

لكن من صحف صباح اليوم التالى أعرف أن وقف إطلاق النار لم يستمر أكثر من ١٠ دقائق ثم استأنفت مصر الضرب مرة أخرى . . وقالت جريدة «التايمز» إن جيرالا مصرياً فى جبهة سيناء فاتح نيران قواته على القوات الإسرائيلية بشكل جعل مراسل الـ «دايلى ميرور» يكتب أنه لأول مرة فى حياته يشعر أن هذا هو الجحيم بعينه فعلا !! . والمراسلون عادة يكونون بعيدين - إلى حد ما - عن مركز المعركة الحقيقى . فما بالك بالذين يصلون نار هذا الجحيم فعلا ؟؟ . .

يالا خليهم يجربوا كيف يكون المحارب المصرى حين تتاح له فرصة حقيقية كاملة . .

ليلتى الأخيرة

فى الفندق هنا وفى لندن كلها . كنت متأثراً أشد التأثر وأنا أقوم بجولات الأمس الليلية فى الواحدة والثالثة والخامسة صباحاً . كان قلبى يعتصر وأنا أشعر أنى أرى هذا المكان للمرة الأخيرة : هذا الركن الذى لى فيه ذكريات وذكريات . هذا الطريق الذى قطعته مئات المرات جيئة وذهاباً وأنا أكاد أنشق من الملل والرتابة . أقطعه الليلة للمرة الأخيرة وكلى عواطف مشحونة . هذا عند الجانب الآخر من مكتبى كانت الرقيقة «سوسن» تهرب من الكافيتيريا لتقف أمامى ساعات طويلة تحكى لى حواديتها الطريفة طول الليل بطريقتها الطفولية الوادعة التى ظلت تصاحبها حتى بعد أن بلغت العشرين . هنا فى الجناح (H) مكانى «السرى» المفضل الذى كنت أهرب إليه لأجلس فيه خصيصاً لأريح فيها ظهرى المكدود المتعب . كنت أسمى هذا المكان «الجبأ» !! هذا الباب فى الجناح (G) الذى كنت أفتحه كل ليلة بعد سهر البنات لأطل منه عبر الشارع على «تيودور هوس» أو «بيت التشامبر ميدز» الذى كانت البنات يقمن

فيه والذى طالما أوصلت إليه « سوس » و « بيسه » فى الليالى المظلمة خوفاً عليهما من أن تتعرضا لما قد يمكن أن يحدث فى ظلمات شوارع لندن الخطرة ليلا . . هذا « ستاف كاتين » أو مطعم العاملين فى الفندق الذى طالما سهرنا فيه نتعشى أو نتسحر ونحكى لبعض كل ما حدث لكل منا فى يومه . و « سوس » الطفلة الكبيرة الشقية تترك . بعد أن تشبع . جزءاً صغيراً جداً من الطعام فى طبقها . حتى إذا ما جاءت رئيستها الأيرلندية الشمطاء « بيجى » مديرة الكافيتيريا لتستدعيها للعودة إلى العمل وجدتها لم تنته من عشائها بعد!! هنا وهنا وهنا وهناك . كل هذه الأماكن - وتكاد الدموع أن تطفر من عينىّ - بعد ساعات قليلة سوف تصبح مجرد ذكريات تفرق بينى وبينها آلاف الأميال كل هذه الأماكن لن أراها مرة أخرى بعد الليلة . على الأقل لن أراها كـ « بوتر » قد أراها يوماً ما كزبون أو كنزيل فى الفندق ولكن : هل سأجد فى نفسى الشجاعة لأعود إلى هذا المكان مرة أخرى . وحدى . وأرى كل مواطن ذكرياتى فيه دون أن تكون معى نفس المجموعة التى كانت سعادتى بوجودها إلى جوارى فى تلك الأيام ؟ ! . وهل سأجد نفس الناس ونفس الوجوه ونفس الزملاء ما زالوا يعملون فى الفندق ؟ ! . من يدرى . . وإن كنت شخصياً أتصور أننى سوف أحجم عن أن أعامل « زملائى القدامى » كزبون ولو بعد ٢٠ سنة !! . .

وعندما أشارت

ساعة الحائط المعلقة على العمود المجاور لمكتبى إلى الثامنة صباحاً ، كانت مهمتى هنا فى لندن قد انتهت تماماً . وانتهى كذلك عملى كـ « بوتر » فى فندق « سنتر إنترنيشنال هوتيل » الذى استمر نحو ١٣ أسبوعاً ، وبالتحديد ثلاثة شهور وأربعة أيام . .

وعندما غادرت الفندق صباح اليوم، كنت أغادره لآخر مرة كموظف فيه وتركته خلف ظهري وأنا أنقل قدميّ متعداً عنه ببطء وتثاقل. كأن شيئاً خفياً يربطني به ويجتذبني إليه.

وعندما وقفت عن محطة الأوتوبيس واستدرت لأواجه الفندق كله أمامي يملأ عينيّ، أغرورقت عيناي بالدموع ولم أتمالك نفسي ... وبكيت ....

□ حسين قدري □

٢٥ يناير ١٩٧٤

□ كتب للمؤلف □

- رحلة إلى جزر الكناريا . . — دار المعارف — ١٩٧٣ .
- مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن . . — (الطبعة الأولى) — دار المعارف — سلسلة إقرأ — ١٩٧٤ .
- رحلة إلى دولة ترانزستور . . — دار الشعب — ١٩٧٤ .
- راكبان على السفينة . . رحلة إلى المحيط الأطلنطى . . — دار أخبار اليوم — كتاب اليوم — ١٩٧٥ .
- مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن . . — (الطبعة الثانية) — دار المعارف — ١٩٧٥ .

□ تحت الطبع □

- هو . . والذين كانوا معه . . — القاهرة للثقافة الجديدة . .
- لعبة الأيام . . تحقيق صحفى من الحياة . . — دار المعارف
- أيام من حياتهم . . — كتاب اليوم .
- هروب إلى الفضاء . . — دار الهلال — روايات الهلال
- كلام فى الحب . . — بيروت .
- صعلكة فى بيروت . — بيروت .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

فهرس

الإهداء	:	٥
مقدمة	:	٦
الفصل الأول	: القاهرة ـ لندن . . سيراً على الأقدام .	٨
الفصل الثانى	: عليوة يفرض شروطه على لندن .	١٨
الفصل الثالث	: لوغاريتمات إنجليزية . . .	٣٣
الفصل الرابع	: دكتور : ماذا فعلت بأخيك؟! .	٤٤
الفصل الخامس	: هؤلاء الأولاد الهايفين وتصرفاتهم الطائشة	٥٩
الفصل السادس	: كيف تشترى لندن : بشلن!! .	٧١
الفصل السابع	: معالى الوزير يغسل الصحون .	٩٠
الفصل الثامن	: الرعب يجتاح المدينة . . .	١١٠
الفصل التاسع	: صاحبة الجلالة الطباخة . .	١٢٥
الفصل العاشر	: القاهرة تغزو لندن . . .	١٤٤
الفصل الحادى عشر	: حكاية الغرفة رقم ١١٨ . .	١٦٧
الفصل الثانى عشر	: فقط : إمتلك « عنواناً » . .	١٨٦
الفصل الثالث عشر	: جاك ماشاش فى روكاباك . .	٢٠٣
الفصل الرابع عشر	: إنه عالم أهبل أهبل أهبل!! . .	
	: أو : خطاب حب إلى واحدة ما اعرفهاش	٢٢٤
الفصل الخامس عشر	: بنت سيئة السمعة . . .	٢٤٥
الفصل السادس عشر	: توت عنخ آمون . . رئيس جمهورية	٢٦٤
الفصل السابع عشر	: الكتيبة الناعمة . . تحارب فى لندن .	٢٨٣
الفصل الثامن عشر	: بلياردو . . . أو : بين الحب والحرب .	٢٩٦

تم إيداع
نب والوثائق القومية
١٩٧٤
١٩٧٥ —
١

٢٥
٤٠٤٢١١/٢